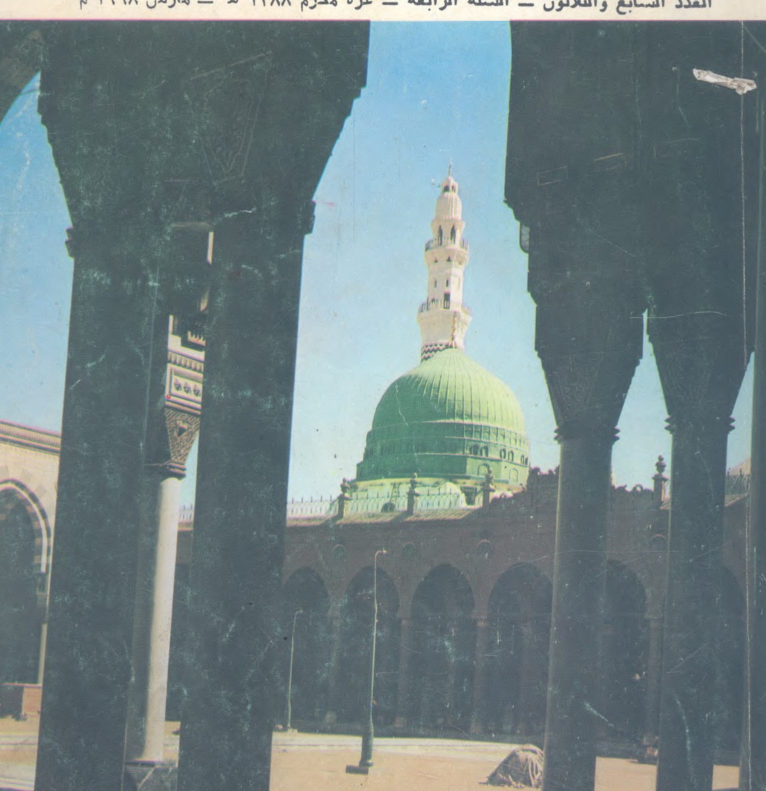
الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

عدد الهجرة الممتاز

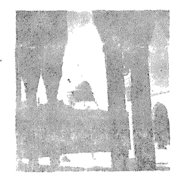
العدد السابع والثلاثون – السنة الرابعة – غرة محرم ١٣٨٨ هـ – مارس ١٩٦٨ م





حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بعد أن أدى صلاة عيد الاضحى المبارك
فى جامع السوق الكبير ، يلتف حول سموه عدد من المصلين .

صورة الغلاف



منظر فريد للمسجد النبوى من الداخل ويبدو فيه ايوان المحراب بعقوده واعمدته الجميلة وتعلوه القبة الخضراء بينما يبدو فى مقدمة الصورة صحن المسجد الواسع واعمدة البناء الجديد .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع والثلاثون

ـ السنة الرابعة ـ

غرة محرم سنة ١٣٨٨ هـ

مارس سنة ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخليج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص . ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

مع العام الهجري الجديد

للأستاذ: عبدالرحمن عبدالله المحجم
وكيل الوزارة

ان لكل امة فى ماضيها حوادث بارزة ، ومواقف حاسمة ، تملى على تلك الامة لونا من السلوك ، يتمم ما بداته الاجيال السابقة ، وينسج على منوالها ، وهذه ناحية مشتركة فى الامم ، ثم يتميز بعدئذ بعضها عن الآخر ، بحسب وضوح ذلك الماضى واشراقه ، أو عماوته وظلامه ، وتاخذ منه ايحاءات العزة والمجد ، أو تتوارى من سوء ما زخر به من انحطاط وتخلف .

وامتنا الاسلامية فى طليعة الامم التى تملك ماضيا مزدهرا ، وتعى ذاكرتها اكبر نسبة عرفها التاريخ من الصفحات المشرقة المفعمة بالمجد والسؤدد . ويظهر ذلك بصورة أكمل فى الرعيل الاول الذى عاش ولادة النهضة ، وكان وقودها وشعلة ضيائها الذى انتشر فى ربوع المعمورة ..

وان أروع تلك المواقف الفذة فى تاريخ امتنا الاسلامية حادثة الهجرة التى قام بها النبى عليه السلام والفئات الاولى من أصحابه نجاة بدينهم من الاضطهاد والايذاء وبحثا عن التربة الصالحة لغرسة الاسلام ، واسعادا بوديه للامم التى تقدره وتتطلع اليه ، وذلك ما حدث لمجتمع المدينة دار الهجرة والنصرة .

ومع كل عام هجرى يتجدد ، تتوارد ذكريات الهجرة ، لتلقى عظاتها الحسية ، وتقوم بدورها فى الامة وارثة المهاجرين والانصار ، فتذكى فى الافئدة ادراك موضع هذا الدين من الحياة للتمسك بمبادئه واللواذ بها من عواصف الاهواء ، ونعرات الضلال والارتجال .

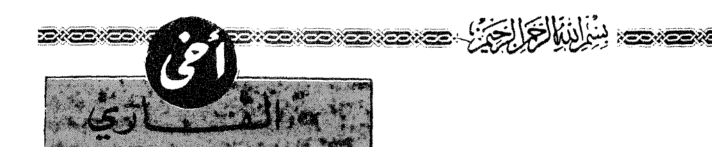
وان عامنا هذا الذى نستقبله قد ألقيت علينا فيه أعباء من العام الذى نودعه تاركا لنا ما هو أقوى من الذكريات وأبقى من الخواطر / وقائع حية عشناها كشبه الخيال ، وكان من حصادها / خسارة معركة مقدسة ، وضياع

بقاع طاهرة وسيول من المشردين ، فقدوا المأوى ومورد العيش بعد حملة التهجير التى سلطت عليهم .. والى جانب هذا نجد الصيحات الصادقة التى تهيب بامتنا للتأمل والنظر فى اسباب نكبة العام الماضى ، وتدبر وسائل الخلاص ، والتداعى الى واجب الغوث ، ونجدة أولئك الذين ضرستهم الحرب ، ونصرة المشردين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم بالعدوان والتهجير .

ففى هذه الظروف نولى وجوهنا شطر الماضى المشرق وذكرياته ـ وخاصة حادثة الهجرة ـ فناخذ من وحيها / ان صلاح هذه الامة لا يكون الا بالتفافها حول دعوة الاسلام ، واعداد البيئة الصالحة لانتعاشها والمجتمع الذى يعرف قدرها وان تلك الكبوات فى حياتنا لا يسوغ أن تمر دون اخذ العبر منها ، ومضاعفة الاندفاع للنهوض ، بعد استجماع القوى ونفض غبار الخيبة ، والانفكاك من اسباب النكبة .

وقد أوجز لنا الذكر الحكيم هذه الحقيقة الابدية ، وهذا المبدا الكونى حين قرر ان لاصلاح لاحوال الامم الا بتغيير ما بالنفوس من الاسباب التى احدثت الاضطراب والخلل (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .. فما احرانا ان نتمثل هذا المبدا ليكون منارا لنا فيما نامله فى عامنا الجديد ..

واخيرا / فان حادثة الهجرة تعتبر ثالثة الحوادث الكبرى العظيمة فى فجر تاريخ الامة الاسلامية ، بل فى تاريخ الانسانية عامة ، والتى كان اولاها ولادة النبى حامل الدعوة والمثل الكامل ، وثانيها نزول القرآن دستور الحياة الخالد ، ثم كانت الهجرة النبوية التى حصل بها تكوين المجتمع الاسلامى فى المدينة ، وانطلق منها نور الاسلام يملأ الآفاق ...



فى سبيل الحرية ، ومن اجلها ، كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
نعم ، كانت الهجرة من اجل الحرية ، ولا شيء غير الحرية ..
وهل هناك فى الدنيا كلها شيء اثمن من الحرية ، واعز منها ؟..
الأوكسجين شيء لا بد منه للحياة على هذه الأرض .. حياة كل شيء ..
والحرية كالأوكسجين للانسان ..

اذا فقد الأوكسجين تلف جسمه ، واذا فقد الحرية تلفت روحه . أو ماتت فيه انسانيته ..
وهل يسمى بعد ذلك انسانا ؟
لا ..
هل يسمى حيوانا ؟
لا ..
وليته كالحيوان لا يدرك معنى الحرية الا فى الانطلاق والجزى والاكل والشرب .
اذن لكان الأمر سهلا ..

ولكنه انسان يكابد .. فيه روح ، وعقل ، وفكر وله عقيدة .. وكل ذلك غذاؤه الحرية ، فكيف اذن يعيش وهو الانسان بدون روح ، وعقل ، وفكر ، وعقيدة ؟
هذا هو الشقاء ..
كيف يكون عند الانسان فكرة لا يستطيع ان يتحدث عنها ؟
كيف يكون له عقيدة لا يتمكن من اعلانها ؟..
كيف يضرب اذا جهر بالحق ، وتكلم بالصدق ؟
وأهل الباطل يمرحون ، ويسيطرون . .يروجون لباطلهم ، ويصفقون لاخطائهم ..
بل ويطلبون من الجماهير ان تصفق لهم ، وتشترك معهم فى اضطهاد كلمة الحق ومن يمثلونها !!
واذا كان علي اهل الحق ان يصبروا ، ويتحملوا .. فالي متى ؟
واذا كانت اشخاصهم واموالهم هينة عليهم ، فان الفكرة التى يحملونها ، ويمثلونها . ليست بهينة .
اذا ضحوا باشخاصهم ومصالحهم ، فانهم لا يستطيعون التفريط فى فكرتهم ..
انها عندهم اغلى واعز من ذواتهم ، ومن كل مصالحهم ..
وانهم ليتحملون العذاب والتنكيل باجسامهم وبمصالحهم ، ولكنهم لا يطيقون ، ولا يصبرون أن يروا فكرتهم مضطهدة ، وحريتهم فيها مكبلة .

ولقد صبر الرسول والمؤمنون على العذاب والاضطهاد سنين . فما حولهم العذاب عن فكرتهم ، ولا ثناهم عن عزمهم ، ولقد كان من الممكن أن يصبروا أكثر مما صبروا ، ولكن .. ليس هذا هو الهدف ..

انهم يصبرون من أجل عقيدة ملكت عليهم نفوسهم ، أملا فى اليسر بعد العسر ، وفى الفرج بعد الضيق .

لقد مر عليها ثلاثة عشر عاما ولا يزال أتباعها محدودين .. فماذا يكون مستقبلها لو مر عليها مثل هذه المدة ، وهي تعيش فى هذا الجو الخانق ، وتحت وطاة الاضطهاد والكبت ؟

ان اهل الباطل كانوا يزدادون كل يوم عتوا ، يثيرهم ثبات المؤمنين ، ويغريهم بالمزيد من أساليب الاضطهاد لهم ، والتفنن فى تعذيبهم ، وهم يظنون واهمين أنهم بأسلوب القوة والقهر ، وتحت وطاة السياط وحرارة الشمس ، يستطيعون أن يذيبوا الايمان فى نفوس المؤمنين ، وفاتهم أن الايمان تشقيق الروح ، لا ينزع ولا يسلب حتى تنزع الروح ، وأن الايمان كالمعدن ، كلما كان اصيلا ، ازداد على النار لمعانا وصفاء .. ولكن القوة التى كانوا يملكونها — ولا يملكون غيرها — زينت لهم ما كانوا يقترفون .

فلم يعد هناك — اذن — أمل أى أمل فى انحسار هذه الموجة الطاغية ، فى هذه البلدة التي تحجرت على معبوداتها وتقاليدها ، ورأى زعماؤها فى مبادىء الدعوة الجديدة خطرا على سلطانهم ، وايذانا بزوال نفوذهم وسيطرتهم ..

والانسان المستبد الظالم أشد ما يكون ضراوة ، وايغالا فى الشر ، حين يمس سلطانه ، أو يكاد يفلت منه نفوذه ، ويتخيل رحى الحق تطحنه فى دورانها ..

لم يعد — اذن — امل فى هذه البلدة ..

فالى أين ؟ ..

الى الحبشة ؟ ..

فليكن . فان فيها ملكا لا يستهجن مثل هذه الدعوة ، ولا يظلم اصحابها .. وليهاجر أولئك الذين يستطيعون الهجرة اليها ، حتى يجدوا حريتهم فى الجهر بعقيدتهم هناك .

وخرج الرجال والنساء الى بلاد لا يعرفونها ، وتحملوا المشقات والأهوال وركبوا البحر فى سبيل الوصول اليها ، ومن أجل الحرية .. ووجدوا فيها لأول مرة حريتهم وتحدث مهاجر منهم يقول « وقدمنا الى أرض الحبشة ، فجاورنا بها خير جار . أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذى ، ولا نسمع شيئا نكرهه » وكان هذا هو الهدف .. الحرية .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أراد ادخار هؤلاء النفر الصالحين ، وتنمية عقيدتهم وتثبيتها فى جو آخر غير الجو الكئيب المستعر الذى يعيشون فيه بمكة ..

وماذا بعد ذلك ؟

أن الاضطهاد لا يزال يشتد ، والعتو يزداد ، والكبت على الحرية تضيق حلقاته على أنفاس المؤمنين الباقين فى مكة حول الرسول ، حتى لتكاد هذه الحلقات تخنقهم ، لا تخنقهم عن الكلام فحسب ، بل عن نسائم الحياة كذلك !!

والى متى ؟
الى متى يصبر الرسول والفئة القليلة حوله على هذا الاضطهاد ؟
والى متى يظل هؤلاء المؤمنون المغتربون بعيدين عن بلادهم ، ولا يجدون متنفسا لحريتهم الا عبر البحار .. هناك فى الحبشة ؟

الى متى يظل الرسول وتابعـــوه القليلون مشتتيـــن موزعين بين مكـــة والحبشة ؟!

والزمن يمر .. والدعوة تكاد تتوقف او تتجمد .. وكانها تشق طريقها فى صخر عنيف عنيد ؟!
لا بد ـــ اذن ـــ من متنفس جديد قريب ، وعلى أرض العرب .
فى الطائـــف ؟

قد يكون .. فبين اهلها وبين مكة عداء قديم قد يحملهم على حسن استقبال الرسول ، واحتضان دعوته التى غالى اهل مكة فى حربها .

وشق الرسول طريقه الى الطائف ، وسار فى حر النهار ، وظلمة الليل ، مسافة طويلة لعلها مائة كيلومتر ، يحدوه الأمل فى هؤلاء ويخفف عنه المتاعب والمصاعب .

ولكن ـــ مع الأسف ـــ تحكم فى هؤلاء عداؤهم للدين الجديـــد اكثر من عداوتهم للمكيين ، فاضاعوا الأمل فيهم ، وأضاعوا على انفسهم وعلى بلدهـــم الجميل فرصة الحياة والخلود ، وكانوا اشـــد من اهل مكة عتوا وفســـادا ، ومطاردة لكلمة الحق ، وللرسول الذى يمثلها .. وسجلوا بعتوهم وانغـــلاق افكارهم اقسى فترة مرت بالرسول ، حتى اطلقت منه أول شكوى وآخرهـــا وامرها ايضا توجه بها لربه :« اللهم اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس . انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى .. »

وتتوتر أعصاب أهل مكة ، لأن محمدا ذهب يتلمس فى أعدائهم عونا له عليهم ، ويزيد فى اغرائهم به عدم نجاح خطته ، فيسدون عليه منافذ مكـــة ، ويتربصون به لينقضوا عليه ، ويحرموه حق الحياة فى بلده .. ويسلبوه حتى بقايا الحرية التى كان يتمتع بها قبل ذهابه الى الطائف !! فلم يستطع الرجوع الى منزله آمنا الا فى حماية عربى مشرك ، دفعته نخوته الى حمايته !!

فهل فى مثل هذا الجو تطيب حياة ، أو تنمو دعوة ؟
لا بد من مواصلة البحث عن متنفس آخر ..
والوطن ؟ .. أليس عزيزا عليهم ؟

بلى .. ولكن ما قيمة الوطن اذا فقد الانسان فيه حريته ، وفقد مع ذلك امنه وطمانينته ، وعاش مروعا مهددا فى ليله ونهاره ؟ .

أليست الحرية اغلى عند الحر ، صاحب المبدأ والفـــكرة من حفنات التراب ، وذكريات الصبا والشباب ؟! وكل مكان ينبت العزطيب .
ولكن الدار والمال والمصالح ؟.. أليس ذلك كله عزيزا عليهم ؟

بلى .. ولكن الحرية اعز واغلى . وما قيمة الدار والمال والمصالح والرفاق اذا عاش الانسان مع ذلك كله ذليلا مهينا ، مسلوب الارادة والحرية . لا يريدون له ان ينطق الا بما يشاءون ، ولا يستحسن الا الأصنام التي يعبدون ؟!!

وهل على مثل هذا التعسف والضغط والتنكيل يقيم انسان ؟

ولا يقيم على ضيم يراد بـــه الا الأذلان : عير الحى والوتد

وهل فى مثل هذا الجو تنمو دعوة الحق ، او تترعرع القيم الصالحة ؟
لا .. ((ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة))
فكانت الهجرة الثالثة .. الهجرة الى المدينة .. من أجل الحرية والأمن .

وفى جو الحرية الجديد ، تفتحت الدعوة ، كما تتفتح الأزهار فى الشمس والهواء ، وسرى عبيرها شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، وكان نصر الله والفتح .. وكانت بعد ذلك الامبراطورية الاسلامية ، والحضارة الاسلامية .. وكان كل هذا المجد الذى نعيش فى رحابه ..

نعم .. من اجل الحرية هاجر الرسول والمؤمنون وبذلوا ما بذلـــوا ..

ومن اجل الحرية ، لم يعترف الرسول باسلام من اسلم اذا آثر ان يعيش فى جو الكبت بمكة ، مسلوب الحرية والارادة ، ولم يهاجر الى بلد الحريـــة ـ المدينة ـ لينعم بحريته ، ويجهر بعقيدته ..

حتى اذا فتح الله للرسول مكة ، وسرى جو الحرية فى ارجائها من جديد ، رد الرسول اليها اعتبارها ، واعلن للنـــاس الا هجرة منها بعد الفتـــح ، ولكن جهاد ونيـــة ..

من اجل الحرية ـــ اذن ـ كانت الهجرة ، وبالهجرة عز الاســـلام وانتصر وانتشر ..

ومن اجل الحرية .. كان الجهاد بعد الفتح بدلا من الهجرة ، دفاعا عن الحرية ، وصونا لها ، لتتنفس الدعوة الصالحة فى جوها ، وتترعرع القيـــم العليا فى أرضها ، وتتكون وتقوى الشخصية الاسلامية على غذائها ..

نعم .. ومن أجل الحرية أبى الله أن يعبده انســـان عن طريـــق الضغط والاكراه .

وفى أرض الحرية وجوها نما الاسلام وازدهر وأثمر .

وفى ارض الحرية وجوها كذلك ، تنبت كل دعوة صالحة ، وتنمو كل فكرة خيرة ، ويزدهر كل علم نافع ، ويتكون الرجال الصالحون .

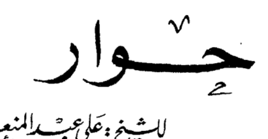
وفى جو الحرية يختنـــق الضلال ، ويهوى البـــاطل ، ويتبدد الخبيث ، وينكشف كل غش وتدليس .

الا ما اعذب الحرية ، وما اعظم قيمتها عند الله وعند الناس .. وما اسعد الذين يعيشون فى ظلها ، ويتمتعون بخيراتها ، او يموتون فى سبيلها ، ومـــا اشقى الذين يعيشون محرومين من نسماتها ، واشـــد منهم شقاء فى الدنيـــا والآخرة ، أولئك الذين يسلبون الناس اثمن ما أعطاهم الله .. الحرية ..

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشـــاد





المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن حذيفة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : فتنة (١) الرجل فى أهله (٢) وماله (٣) وولده (٤) وجاره (٥) تكفرها الصلاة والصوم ، والصدقة ، والامر ، والنهى » (رواه البخارى) .

التقيا على غير ميعاد ، وتبادلا التحيات والبسمات ، وعلقت يد أحدهما بيد الآخر وسارا متجاورين يشقان طريقهما وسط الجماهير المتدافعة كالموج ، وكانا يتحدثان كأنهما يتصايحان وأحيانا يتهامسان خوفا على حديثهما أن يحمله النسيم الى أسماع لا يحبان أن يصل اليها ، ثم اخترقا الجموع الصاخبة اللجبة ، وحملتهما أقدامهما الى ركن هادىء فى حديقة ذات ماض عريق ضارب فى القدم .

---

(١) أصل الفتنة فى اللغة : الابتلاء والاختبار ، ثم أطلقت عرفا شرعيا على كل ما يكشفه الامتحان من سوء ، وقد تطلق أحيانا على الكفر ، والبلية ، والعذاب ، والتحول من الحسن الى القبيح . وأحيانا على الميل الى الشىء والاعجاب به وقد يكون ذلك فى الخير والشر قال تعـالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » .

(٢) فى أهله : فقد يتجاوز الحد فى حبهم فيعميه ذلك عن فعل الخيرات ، أو يفرط فى رعايتهم فتسوء حالهم ، وفى كلا الحالين هو مسئول عنهم لانه راعيهم وكل راع مسئول عن رعيته كما ورد فى حديث شريف .

(٣) وماله : بأن يحاول تنميته بطريقة لا يقرها الشرع كالربا مثلا ، أو يبذره ولا يوجهه حيث أمر الله سبحانه .

(٤) وولده : أفرده صلى الله عليه وسلم بالذكر مع أنه داخل فى الاهل غالبا ـ لانه كالمال ـ زينة الحياة الدنيا والأب مغرم دائما بابنائه وكثيرا ما يؤدى به ذلك الى الغفلة عن حقوق اللـه تعـالى .

(٥) وجاره : فان كان الجار غنيا فقد يتمنى جاره الفقير زوال نعمته لشدة حقده عليه ، أو قد يهمل ذلك الغنى عون جاره الفقير ، وكلاهما ان فعل ، فهو بعيـد عن اداء الحقوق التى وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تقوم الى جوار حى من احياء مدينة دعيت ولا زالت تدعى (**مدينة النور**) (٦) . ولهذه الحديقة قصة فى تسميتها وفى وجودها المستمر ، طالما تلاقى تحت اشجارها الوارفة الظلال . وحول بحيرتها الجميلة الساكنة ــ عشاق ومحبون ، للعشق والمحبة الوان ومعان يطول شرحها ، ولا اعنى هنا العشق الغانى ؛ وانما اقصد المتيمين بالبقاء الذين احبوا الحقيقة وجاءوا هنا يبحثون عنها ــ بين هذه الاخلاط العجيبة من البشر ــ على ايدى علماء افذاذ عباقرة .

وقصارى القول : جلس القرينان الخيران . ودار بينهما حوار ليس عجيبا وان كان لا يخلو من عجب .

قال أحدهما : ان أمر الحياة والناس أمر يذهل العقول ، أيام تمر وتنقضى ، واخرى تلاحقها ثم تتابع نفس المصير ، وهذا عام من أعوام الهجرة الشريفة جديد . وقد سبقته اعوام تلاشت ثم فنيت وسيدركه ما أدركها من التلاشى والفناء . والناس هم الناس منذ أن هبط ابواهم الارض ، تسيرهم أهواء وتحكمهم رغبات . وترفعهم أو تخفضهم شهوات ، منهم من أعمل فكره ، فتأمل وبحث وعقل ودرس ، ومن الدارسين من أنتج للانسانية ما أفادها ، ومن الباحثين من مضى بالحياة قدما ، ومنهم من أضاء حنادس زمانه ولا زال يسرى على ضوء هداه المدلجون ، وعلى النقيض من هؤلاء من هوى وانزوى ولم يشعر الوجود بوجوده ، بل منهم من وجمت يوم نجم أمه ، ومضى حيوانا مكرر الهيولى لا يعدل سائمة ولا يزن قارضة ، ولا يباع ولا يشرى بدرهم ، فلم تدر به الليالى ولم تدرك عبوره لحظات عبوره .

وهنا قاطعه الثانى : على رسلك يا اخى ماذا تريد من الحياة وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا ، ولن تجد لها تحويلا كما نص القرآن الكريم فى محكم آياته البينات .

قال الاول : الق الى سمعك وانت شهيد ، وعش معى لحظات بعقلك وقلبك لأبثك شجونى ، وأفضى اليك بذات نفسى ، فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين ؛ ولم نعد نجد ملجأ أو مغارات أو طريقا نسلكه لنتوارى عن لوم اللائمين تارة ، وشماتة الحاقدين اخرى ، فنحن ورثة مجد ، وخلفاء من احسنوا قيادة العالم ردحا من الزمان ، وملأوا رحابه علما ومعرفة واصالة راى ، وحملوا مشاعل الحضارة حقبا طويلة ، ولنا من التراث الباقى ما يبلى الزمان ولا يبلى أرجه العطر ولا يختفى نوره الوضاء ــ واعلم قبل أن تعترض أن هذا لا يجدى فى واقعنا الماثل فتيلا ، (فان الفتى من يقول ها أنذا) » ولكن سأسوق القول مقتبسا من مجلس من مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبدو لك ــ لأول وهلة ــ انه قصى عن مجرى حديثنا ولكن متى تأملت وفكرت الفيت كل ما يصدر عنه صلوات الله عليه يصلح قاعدة وأساسا لنهضة عامة شاملة ومحركا قويا للهمم الوانية . والعزائم الخائرة فى يسر ولطف وايناس ، وتوجيه حكيم ، وتدبير قويم . واليك قول حبيب رب العالمين : « فتنة الرجل فى اهله وماله .. الخ الحديث الشريف » .

أليس أهل الرجل همه الذى يهمه ، يعنيه أمرهم ، ويسعى فى الحياة

---

(٦) هى مدينة (باريس) ولهذه التسمية أصل وسبب خاصان حدثنا بهما عالم كبير من علمائها الافرنسيين الأجلاء وان كنت ارى ان مدنا اخرى كانت ولا تزال تستحق المشاركة فى هذا الوصف الكريم ، وان صار علما عليها منذ آن بعيد .

جاهدا من اجلهم ، يستصرخهم فى الملمات ، ويستعين بهم فى النائبات ، ويفخر بعددهم وعديدهم فى الرخاء والسلام ، فقل لى بربك : اليس اذا احسن القوامة على أمورهم ، وسلك بهم المسالك الرشيدة التى شرعها الله ، ونأى بهم عن المهالك ، وجنبهم المزالق التى تغضب الحق ، فقوم معوجهم ، وهدى ضالهم — كون بذلك جماعة متماسكة مؤمنة بحقها فى الحياة ، حريصة على حق غيرها لا يعتدى ولا تقبل الاعتداء عليها .

والمال : وما أدراك ما المال ؟! عصب الحياة ، ومهوى الافئـدة ، يحقق الشىء ونقيضه ، فيدفع البعض الى الجبروت والعدوان ويوردهم موارد الرذيلة والفساد ، ويرفع من يحسن ادارته ، ويقدره قدره الى مصاف القادة والسابقين فى كل مناحى الحياة ، فبقوته وسيولته تشاد المصانع على اختلافها وتبنى دور العلم ، وتعد القوة المستطاعة ، وتجنى المعرفة الحقة ، وتنمو الحضـارة ، وتزدهر دروب الامم ويقوى كيانها ، وذلك اذا وضع فى موضعه وصين عن المباذل ، والضد بالضد (وبضدها تتميز الاشياء) ، ثم الم تقم باسمه مبادىء وحضارات ، كما أبيدت باسمه ايضا مبادىء اخرى وحضارات ، ولن يزال هدف المعارك والمناوشات .

وهلم يا أخى متأملا الولد : والولد اما عبء واما عون ، وما الافـراد الا أولاد الآباء ، او آباء الاولاد ، فلو سلك كل رجل مسلك الهداية الالهية ، وحافظ على هذا الكنز العظيم ، والطاقة التى لا حد لها من القوة الانسانية الكامنة فى الولد (ذكرا كان او أنثى) وافرغ خبرته فى حسن توجيههم ، فاماط الاذى عن طريقهم ، وشرع لهم نهجا قويما مستمدا من توجيه السماء ثم من خبرة عقلاء الانسانية وهم كثر — انه لو فعل — لصنع لبنة واية لبنة ، وكون فردا واى فرد — انه لو فعل — لأخرج لقومه قوة تبنى وتصنع المجد ، وتحارب الانحراف ، وتمضى لما أمر الله فى غير لين ولا هوادة ، لا تقبل الوقوف فى المؤخرة ، بل تأتى فى المقدمة دائما (١) .

ثم الجار : وما الناس الا جار ومجاور جار ، ولا يوجـد من عاش فذا وحيدا بلا جار ، ولو ضرب خباءه فى قنن النيق او وسط الصحارى او سـكن سفينة فى عرض المحيطات ، فجاره هو اول من ينتهى خطه اليه ، فلا عزلة فى الحياة عن جار ولا انقطاع عن جوار ، وتأمل ثم احكم .

وأمر الجار فى الاسلام ، فى التقييم الاجتماعى ، فى البناء الانسانى أمر عظيم ، فلا تقترب من جارك بحجر أو مدر ، وانما بقلبك وروحـك ، ولو ان

---

(١) لقيته رجلا فرنسيا من المحاربين القدماء يقيم فى مدينة تورا (TOURS) احدى مدن فرنسا الكبيرة يعمل أستاذا فى معهدها وجامعتها وقد جاوز السبعين عاما ، حدثنى انه حضر الحربين العالميتين الاولى والثانية (١٩١٤ ثم ١٩٣٩) جنرالا وله اربعة أولاد وبنتان ، كلهم اما طبيب أو قائد فى الجيش او مهندس أو أستاذ فى جامعة فاطريت نبوغهم فقال : كم من نبوغ وأراه التراب حين لم يجد راعيا ، ولكن انا الذ وجهت وجهدت حتى وصلوا . ولا يخلو قول الرجل الكبير من صدق ووعى حقيقيين جديرين بالاعتبار ، وليت كل الآباء يفعلون مثله .

الوصايا طبقت كما وردت . ولو أن الانسانية فقهت ان جبريل ما زال يوصى سيد الخلق صلوات الله عليه بالجار وشؤون الجار حتى ظن عليه السلام أنه سيورثه لتضامت وتجمعت وقويت والتأم أمرها وما تفرق شملها ، ولا فت فى عضدها ، والجار الذى لا يستل سخيمة نفس جاره بمواساته بالمال ان كان ممولا ، وبالجاه ان ضاق جاره بالحياة او ضاقت الحياة به ، وبالمروءة وطلاقة الوجه ، والعون بمختلف ضروب العون : لا يكون مؤمنا ولا ذا اثر فعال فى تكوين مجتمع متحاب متواد ، لانه فصم المروءة ، وهدم البناء ، وخان الحق ، واتبع الهوى ومن أضل ممن اتخذ الهه هواه .

الا ترى يا اخى بعد ما سقت اليك من الايضاح ان هذا الحديث الشريف يضع يد العاقل على موطن الداء ثم ها هو ذا يصف العلاج فيدعو الى الارتباط بقيوم السماوات والارض حق الارتباط ويدل على الدواء الناجع : فالصلاة تذكر بالله وبالتالى تحمل المرء على رأب الصدع ، وجبر الكسر ، ثم الصوم ولعلك وعيت ما قيل عن الصوم وما اكثر ما تحدث عن هذا الركن من أركان الاسلام ، انه يذكر الصائم الواجد بأخيه المعدم ، ويضع يده على قيمة المال ، ويهديه الى الهدف السامى لصرفه وانطلاته ، **ثم الصدقة :** انها لذات اثر فعال فى تقوية حبال المودة ، وليس المراد بها هنا الزكاة المفروضة ابدا فتلك أمر محتوم لا فكاك منه ولا مفر عنه لمن آمن بالله واليوم الآخر ، وانما المراد هنا ما تعطيه يمينك حتى لا تعلم شمالك ما تنفقه ، هى ما ورد ذكرها فى الكتاب العزيز « ان تبدو الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم . . » وقوله سبحانه : « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » (١) .

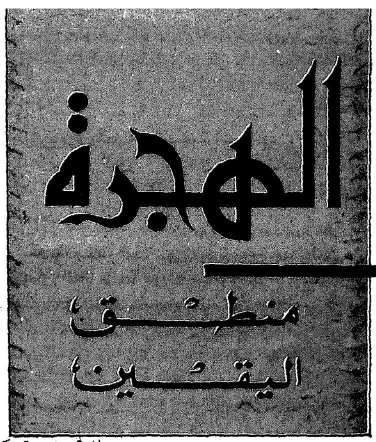
والامر والنهى : وتلك مهمة شاقة لا يلقاها الا الذين صبروا ولا يلقاها الا ذو حظ عظيم ، ولا يزال يوجد من يقوم بها ويؤديها (٢) والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

وهنا : تنفس الثانى الصعداء وعقب على حديث صاحبه قائلا : صدقت وما عدوت الحقيقة والواقع ونرجو ولا ينقطع لنا فى الله رجاء أن يفطن المسلمون لوحى السماء فان مع العسر يسرا ثم ان مع العسر يسرا ثم انفض مجلسهما على أن يلتقيا دائما فى رحاب الله وعلى مائدة رسوله خاتم الانبياء والمرسلين عليهم جميعا صلوات الله وسلامه . فتلك هى الباقيات الصالحات وهى خير ثوابا وخير أملا .

---

(١) أما الزكاة المفروضة فيكاد ينعقد الاجماع على وجوب اظهارها ليقتدى الاغنياء بعضهم ببعض فى اخراجها وليعلم الناس أن هذا الركن العظيم من أركان الاسلام لم يهدم بعد ، وان كان قد ورد ذكرها فى القرآن العظيم باسم الصدقات احيانا مثل قوله تعالى (انما الصدقا ت.. الخ)

(٢) فى عدد سابق من هذه المجلة الواعية الغراء افردت لهذا الموضوع بحثا كاملا فليرجع اليه من اراد تفصيلا .



للشيخ : محمد الغزالى

نحن فى عالم يسوده المنطق المادى ، ويعد المحسوسات وما يتصل بها هى الوجود الذى لا وجود وراءه .. !

وجمهرة البشر أخذت تستكين لهذا التفكير ، وتبنى عليه سلوكها فى الحياة ، وفرحها او حزنها لما يصيبها من نعماء وبأساء .. !

نعم ، انها تحت تأثير الدين تؤمن بما وراء المادة ، وتأوى الى هذا الايمان فى الساعات العصيبة ..

بيد ان لغوب الناس على ظهر الأرض ، وكدحهم لتحصيل ما يريدون انما يثور غباره وراء ضرورات العيش ومرفهاته — أما الدار الآخرة وما يمهد لها ، فأمر قلما يخطر على البال واذا خطر فقلما يقترن بالشعور الجياش والفكر المستغرق والعزم الحديد .. !

وحقيقة الدين تنافى هذا المسلك الخامل ، فان الايمان بالغيب قسيم للايمان بالحاضر . ولا يصح تدين ما الا اذا كان المرء مشدود الأواصر الى ما عند الله مثلما يتعلق بما يرى ويسمع فى هذه الدنيا ..

والغيب الذى اقصده هنا أوسع دائرة من عالم الملائكة مثلا ، او مشاهد الجزاء الأخروى ، أو المرويات التى أنبأنا الوحى بها ، ولا نستطيع الوصول اليها بمداركنا ..

الغيب الذى اقصده هنا ما يتصل بالسلوك الانسانى المأنوس لنا ، اى ما ننبعث عنه فى كفاحنا القريب لبلوغ ما نحب واقصاء ما نكره .. !

ان النصر على الاعداء غيب ، خصوصا اذا وهنت الوسيلة ، وقل العون ، وفدحت العوائق .

ولكن الايمان بهذا النصر المأمول ينبع من الايمان بالله وحده جل شانه ، ومن ثم فالمجاهد الموقن يمضي فى طريق الكفاح المر ، وهو واثق من النتيجة الأخيرة . . !

ان غيره يستبعدها ، أو يرتاب فيها . . أما هو فمعتقد أن اختلاف الليل والنهار يقربه منها وان طال المدى .

فاذا قال الله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فان الجماعة المؤمنة لا تهولها وعثاء الطريق ، وضراوة الخصوم ، وكآبة الحاضر . .

ان ايمانها بالمستقبل يعزيها عن متاعب اليوم . ويشعرها بأنها غيمة عارضة توشك أن تنقشع « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » والرزق — مثل النصر — غيب مرتقب . وعندما ينفق المؤمن ما عنده على أمل أن الله باعث خلفا له وعوضا عنه ، فهو يسير على منطق اليقين المحض .

ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال — لما ادخر له صبرا من طعام :

« أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا » .

ولماذا يخشى الاقلال وقد وعد الله أن يخلف على من انفق ؟ ووعده منجز لا ريب فيه .

ان هذا الايمان بما عند الله هو الذى يرجح عند المؤمن جانب العطاء عندما توسوس له نفسه بالامساك والمنع ، خصوصا مع التأميل فى الحياة ، والرغبة فى سعة الثراء ، والقلق من أحداث الزمان . . !

ولذلك جاء فى الحديث « افضل الصدقة أن تتصدق وانت صحيح شحيح تحب الغنى وتخشى الفقر » . والايمان العميق يجعل المرء كما وصف الرسول الكريم : « أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك » .

كان المسلمون قبل الهجرة يملكون أنصبة وافرة من الايمان بالمستقبل ، يعتقدون أن دينهم لن يغلب — وأن ضعف اليوم حملته — ويؤدون فرائض الجهاد والبذل وهم راضون عن ربهم ، راجون ما عنده .

والمجاهدون فى سبيل الله بشر تجيش فى أنفسهم المشاعر التى تجيش فى نفوس غيرهم ، من تقدير للحياة ، والرأى العام ، وكفالة الأولاد ، وتأمين العيش لأنفسهم واهليهم ! بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق ، واشواق الدنيا ، ثم آثروا وعد الله على وحى العاجلة .

وتأمل هذا الحديث الذى يصور الصراع النفسى لدى انصار الحق ، وكيف يخرجون من غباره أوفياء لله ، أحقاء بكرامته .

عن « سبرة » بن « الفاكه » رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الشيطان قعد لابن آدم بطريق الاسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟

فعصاه ، فأسلم ، فغفر له !

وقعد له بطريق الهجرة : فقال له : تهاجر ، وتذر دارك ، وارضك ، وسماءك ؟ فعصاه فهاجر . .

فقعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد وهو جهد النفس والمال ، فتقاتل ، فتقتل ، فتنكح المرأة ويقسم المال .

فعصاه فجاهد .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك فمات ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة .
وان وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة » .
هذه طبيعة الاستمساك بالحق والتفانى فى نصرته .

والواقع أن ايمان هؤلاء بالغيب مثل ايمان غيرهم بالمحسوس . ان الرجل الذى يقطع تذكرة للسفر من القاهرة الى الاسكندرية لا يخامره شك فى أن الاسكندرية موجودة وأن القطار المنطلق ذاهب به اليها !

والمجاهد المسلم يؤمن بأن الموت نداء الحق ينقله يقينا الى جنة عرضها السموات والأرض ، ايماننا اليوم بأن السفر من عاصمة الى عاصمة أو من قارة الى اخرى يصل بنا الى ما نريد .. !

وعندما يرتفع الايمان بالغيب الى هذه القمة الراسخة ، فان اصحابه ينتصرون بمبادئهم حتما وناشروها فى الحياة نشرا لا يدركه طى ، ومكتسحون ما يضعه المبطلون أمامهم من عوائق .

والمستقبل الذى تنتصر فيه الرسالة وينتصف فيه أصحابها يتكون من جزاين احدهما قريب والآخر بعيد .

اما القريب ففى هذه الدنيا وعلى ارض الميدان الذى تدور فيها المعارك .. اما البعيد فعند الله حيث تنكشف خبيئات النفوس وينال المحقون والمبطلون جزاءهم العدل ، وفى المرحلتين كلتيهما يقول الله تعالى : « أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » .

.. وجاء فى سورة أخرى « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

والمسلمون الأوائل لم تنقصهم الثقة فى مستقبل الدعوة التى آمنوا بهـا وكل ما عناهم أن ينهضوا بحقوق الدين الذى اعتنقوه ، وأن يثبتوا على صراطه المستقيم مهما تكاثرت المحن وترادفت الفتن .

من أجل ذلك هاجروا لما اقتضاهم الأمر ان يهاجروا ، وخاضوا غمرات الحروب لما كلفهم الحق أن يبذلوا النفس والمال .
ولو شققت عن ضمائر القوم لوجدت الهجرة عندهم اشبه بانتقال الموظف اليوم الى بلد اتصل فيه رزقه أو نال فيه ترقية !

غاية ما هنالك من فرق أن هذا مسلك بدت فيه بواعثه المادية التى تواضع الناس على الاحتفال بها ..

اما المهاجرون الأوائل فهم ينتقلون من بلد الى بلد اقامة لدين مضطهد ، ويعاملون رب العالمين وحده حين يحلون وحين يرتحلون ، ويستيقنون من رضوانه ، تعبوا أم استراحوا .

ان هجرات الاحياء على ظهر الارض كثيرة ، بل ان الطيور فى الأجواء ، والاسماك فى المحيطات تقطع مسافات كبيرة وراء غاياتها المادية المحدودة .

لكن الهجرة التى علت بها اقدار . وخلد بها اقوام تلك التى قامت ودامت ببواعث الايمان المحض ، والغضب لله والارتباط بتعاليمه ، والعيش بهـا أو الموت دونها .

ومع أن الوحى الاعلى لقن المؤمنين أن رسـالتهم ستستقر . ورايتهم ستعلو ، وأن الكفر سيذوب ، وينخذل حزبه ، الا أنه تملق أفئدتهم بالمسـتقبل البعيد ، أعنى الدار الآخرة وما حوت من ثواب وعقاب « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون . أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون . فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

ولهذه الآيات معنى ينبغى أن نقف عنده طويلا . فان المؤمن المجاهد قد يترك هذه الحياة دون أن يعرف نتائج الصراع المحتوم بين الهدى والضلال . وهذا جائز ، بل كثير الوقوع . لأن انتصار الحق ربما اقتضى هذا المؤمن نفسه ان يقدم حياته ، فيكون استشهاده ، واستشهاد غيره من المؤمنين الجسر الذى تعبر عليه المبادىء وتشق طريقها الى مستقبل وطيد .

لكن هل ذهاب عدد قل او كثر من أهل الايمان يفيد الضالين شيئا ؟ كلا ، ان الانتقام الالهى لاحق بهم يقينا .

ولذلك يؤكد القرآن الكريم هـذه الحقيقة « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ، او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون » .
والخطة المثلى أن يؤدى الانسان واجبه المجرد دون استعجال المصير فى هذه الدنيا ، والا يتعلق بالفوز الشخصى له ، أو الاندحار الشخصى لخصومه .

فمن يدرى ؟ ربما رشد هؤلاء الخصوم يوما ، وتحولوا الى الايمان الذى جحدوه من قبل .. !

وفى أعقاب أحد ، ومع مرارة الهزيمة التى أصابت المسلمين ، يبين الله لنبيه هذه الحقيقة فيقول « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين . ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم .. »

فى اطار هذا اليقين العميق ، لبى المسلمون النداء الى الهجرة عنـدما طولبوا بالهجرة ، واستجابوا لله ورسوله غير ضائقين ولا جازعين .

ان الحياة بالنسبة الى المؤمن خط طويل يمتد مع الزمن لا يقطعه الموت ، ولا يعروه الفناء .

والمؤمنون حين يغرسون فى هذه الدنيا فهم يرتقبون ثمار غرسـهم فى المستقبل القريب ، أو المستقبل البعيد ، بين أهليهم هنا أو عند الله هناك .

ولن يخامرهم قنوطه لأن ما ارتقبوا تأخر ميعاده .
ولن يسأموا تكاليف الجهاد ولو كلفتهم أن يحرموا وطنهم الغالى . وان يرغموا على ترك معايشهم به وذكرياتهم فيه .

دروس حول الهجرة

للدكتور: محمد محمد خليفة
المفتش بالازهر

من الخير للمسلمين حين يذكرون هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وحين يعيشون مع هذه الذكرى بخواطرهم ومشاعرهم ان يتخذوا منها دروسا لحاضر امتهم الكبيرة ومستقبلها .

وما اكثر الدروس التى تدور حول الهجرة من اسباب ونتائج ، وخوارق وتدبير ، وقصص وتضحيات ، وصبر وقوة احتمال .

وما اكثر الآثار التى خلفتها وراءها من تربية النفوس ، وبناء المجتمع الاسلامى ، ومن كسب غير مجرى التاريخ العربى ، بل اثر فى التاريخ الانسانى حقبا من الزمان .

وحسبنا ان نقدم جانبا من تلك الدروس ، لعل اشراقات من فيضها تهدى عالمنا الحائر الى الخير الذى ينشده كل غيور على بناء هذه الأمة الذى يوشك ان يتداعى .

« الدرس الأول »
« الصبر والتضحية فى سبيل العقيدة »

لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الله ضروبا من العنت وصروف الأيذاء ، فقد كذبه قومه ؛ وهو الذى عرف بينهم قبل بعثته بالصدق والأمانة ، وحين ضاقت نفسه بذلك التكذيب نزل عليه الوحى يسليه « وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك » وقد عذبوه ونال منه رجالهم ونساؤهم ، فهز الأسى قلبه ؛ وسرعان ما امره ربه بالصبر : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » واوذى أصحابه المؤمنون وعذبوا فبين لهم أن من كان قبلهم كان يمشط بمشاط من الحديد ما يثنيهم ذلك عن دينهم » .

وقد مر بآل ياسر وهم يعذبون على الرمضاء . والسياط تأكل جسومهم ؛ والصبيان يعبثون بهم فقال لهم : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة » . ولو أن الدعوة على الرغم من كل هذا لقيت بعض النجاح لهان على نفس الرسول ونفوس أصحابه كل ما يلقون من القرشيين ، ولكن قريشا لم تدخر جهدا فى محاربة الدعوة ، والوقوف فى وجهها بكل ما تملك ، حتى يخيل أن قريشا جمدت الدعوة داخل مكة ، فعاشت فى قلوب من كانوا اسلموا فى الأعوام الأولى من المكيين ، وبين قلة قليلة من أبناء

القبائل الذين وقفوا على أمرهــا فى موسم الحج .

لكل هذا أذن الله لرسوله بهجرة أصحابه الى المدينة بعد بيعة العقبة ؛ فلبى الصحابة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهجروا وطنهم ، ولهم فيه ذكريات وأهل وولد ومال ، وضحوا بكل ذلك فى سبيل عقيدة منحوهــا قلوبهم ، ومبادىء ملكوها أرواحهم ، فآثروا العقيدة والمبادىء التى جاء بها الاسلام على كل ما لهم فى الحياة ، وطلبوا بذلك رضاء الله .

ثم أذن الله لرسوله بالهجرة ، بعد أن عبأت قريش لقتله من كل بيت من بيوتها فتى جلدا ؛ ليضربوه ضربــة رجل واحد ؛ فيتفرق دمه بين البيوت ولكن عناية الله تولته وحمته حتــى بلغ المدينة ..

ما أفقر المسلمين اليوم الى شىء من صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر أصحابه يواجهون به التعبئة التى عبأهــا الانحــلال ، ويواجهون به الردة المستترة المتنكرة لكل ما يدعو اليــه الدين والخلــق

وما أحوج المسلمين الى شىء من التضحية بجهد اللسان والقلــم فى سبيل الله ، وشىء من التضحيــة بالمال ، يفتحون به للاسلام طريقا بين الشعوب المتخلفــة التى تغزوهــا المسيحية واللادينية .

اننا حين نذكر تضحية المهاجريــن الأولين بأوطانهم فــرارا بدينهــم ، واستعدادا لحمــل رســالة الحــق ونشرها فى الآفاق ، يجب أن تدفعنا هذه الذكرى الى أن نهيىء نفوســنا للهجرة برسالة الاســلام الى مــن يجهلونها .

وحين نذكر تخليهم عن أموالهم فى مكة يجب أن نقدر تلــك التضحيــة ونتخذ منها درسا للبذل فى ســبيل عزتنا وعزة ديننا وانشــاء مراكــز اسلامية فى أقطــار الأرض تحتضن التائهين بين ضــلالات الديانــات ، والضاربين فى مجــاهل الدنيا ؛ لا يدرون عن الديانات شــيئا ؛ لأن الاستعمار ضرب عليهــم سجونـــا عاشوا وراء أسوارها بعيدين عــن نور الاسـلام ..

....

« الدرس الثاني »
« التربيــة »

كان جل هم الرسول صلى اللــه عليه وسلم حين يلتقى بالمسلمين قبل الهجرة يتجه الى تبليغهم ما نزل عليه من القــرآن ، وتعميق الايمــان فى قلوبهم ، بتوجيههم الى النظر والتدبر ، وقــد شغلتــه منــاوآت قريش له ولأصحابه وخوفه على أصحابه عن المغامرة والانتقال الى القبائل لتبليغها دعوة الاسـلام ، وبخاصة بعد أن رأى موقف أهل الطائف منه ومن دعوته ، وموقــف قريش من المهاجريــن الى الحبشة .

فلما استقر به المقام فى المدينــة ، وأقبل الناس أفواجا على الاسلام ، اتخذ من مسجده مدرسة تحلق حوله فيها المهاجرون والأنصار ، يتلقــون القرآن ومبادىء الاسلام ، ويربيهم فى هذه المدرسة تربية قوامها الاخلاص والطاعة والصدق والأمانة والبــذل والحب فى الله ، والبغض لله والايثار والتفانى لخير الاسرة الاسلاميــة الكبيرة ، والعمل المتعاون لبناء الكيان الاسلامى ، فكل فرد فى تلك الأسرة لبنة صلبة يشتد ويطول به البناء ، فلا مكــان بين تلــك الأسرة لأنانى ، ولا لجشـع ، ولا لمستغل ، ولا لانتهازى ، ولا لاحتكارى ، كلهم سلم لمن ســالم تلك المبادىء ، وكلهم حرب على من حاربها .

هكذا عاشــوا أعوامهــم الأولى فى المدينة ، أعوام التربية الصادقة فى مدرسة الرسول ، فلا تنفض حلقاتهم الا لأداء فريضة ، أو سعى قانع وراء عمل يجتنون منه لقيمات تقيم أصلابهم وأصلاب ذويهم . فلما اطمأن الرسول

صلى الله عليه وسلم الى تربية أصحابه ،و تهذيب طباعهم وتأديب نفوسهم بعثهم الى الآفاق مع السلاح أو وراء السلاح أو بلا سلاح ، روادا الى الخير ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقفون بهم على ينابيع الحق التى تفيض بها دعوة الاسلام .
وهكذا كان الدرس الثانى من دروس الهجرة تربية المسلمين وتهيئتهم للرسالة العظيمة التى سيحملونها الى العالم .

وكان لهذه التربية اثرها فى بناء الأمة الاسلامية فى حياة الرسول وفى عهد الشيخين .

ومن هنا غيرت الهجرة مجرى تاريخ العرب الدينى والخلقى ، بل كان لها أثرها فيما بعد فى تغيير التاريخ الانسانى فى بعض الأرجاء التى سطع فيها نور الاسلام .
ولا يخالج أحدا شك فى أن قوة الأمة الاسلامية فى فجر حياتها كانت نتيجة للتربية الاسلامية الخالصة .
فما أحوج قادة المسلمين ورؤساءهم — وكلهم يؤمن بأثر التربية فى البناء — الى أن يعنوا بتربية شعوبهم ، وتعميق الايمان بالحق والمبادىء فى النفوس ، قبل أن يخوضوا بشعوبهم معارك الحياة والعزة والكرامة .

ان الانحرافات الملموسة بين صفوف القيادات ، وفى مراكز التوجيه تفرض على المسئولين العناية بتربية النفوس ، واعدادها لحمل الرسالات . وما أحوجنا الى مدرسة كمدرسة محمد صلى الله عليه وسلم تنهل منها العقول والقلوب والأرواح خير زاد للمستقبل .

« الدرس الثالث »
وطن المسلم هو الوطن الذى يجد فيه العزة لـه ولدعوته

لقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قاعدة لدعوة الاسلام بعد هجرته اليها ، فأصبحت بذلك مركزا للاشعاع الروحى ينبعث منها الى أرجاء الجزيرة ، ثم الى آفاق الأرض فى عهد الخلفاء ، واصبحت لهذا مثابة لطلاب العلم والمعرفة ينزحون اليها من الأقطار والحواضر والبوادى ثم يرجعون الى ذويهم دعاة الى الخير موجهين الى الحق ، مجاهدين فى سبيله ، وبهذا صارت المدينة موطنا للدعوة التى عزت فيها وبها ، كما صارت موطنا حقيقيا لأصحاب الدعوة وحملة رسالتها ، وقد نسوا جميعا أوطانهم التى شبوا بين مرابعها ، حين لاقوا فى المدينة اخوة انستهم اخوة الأرحام وابوة انستهم ابوة الأصلاب ، ولقوا بين وشائج العقيدة ما ربط ارواحهم بالمدينة التى عاشوا فيها حياة زاخرة بالسمو الروحى ، فى كنف دين تفاعلوا مع توجيهاته ودعوته .

......

« الدرس الرابع »
« تكوين البناء الاجتماعى للمسلمين »

لقد بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة الأسرة الاسلامية الصغيرة من الاحرار والعبيد من الرجال والنساء ، وقد تفانى أفرادها فى التعاون لخيرها ودرء الشر عن اعضائها ، ولا يغيب عن احد عاطفة الأخوة الاسلامية التى حملت أبا بكر رضى الله عنه على أن يشترى بلالا من سيده بالثمن الذى غالى فى طلبه ، ليعتقه من الرق ، وينجيه من سياط الاستعباد التى كانت تمزقه فوق بطاح مكة .

كما لا يغيب موقفه من قريش حين تكالب قساتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت الله الحرام فأخذوا بخناقه حتى احمرت عيناه ، وعندئذ ثارت اخوة ابى بكر غير مكترثة بقوى الكفار ولا ببطشهم

وصاح فيهم : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » ؟
ولما هاجر الرسول صلوات الله وسلامه عليه حرص على بناء المجتمع الاسلامى وتوطيد جوانبه ، فكان أول ما قام به لتدعيم بناء الوحدة الاسلامية هو ذلك التآخى الذى سنه ، فآخى بين المهاجرين والانصار وجعل لكل انصارى أخا من المسلمين المهاجرين يؤويه فى بيته ويطعمه من طعامه ويكسوه من كسائه ، ويتعهده بالرعاية ، وبذلك الاخاء نسى المهاجرون مرارة الاغتراب التى قد تعانيها نفوسهم فى الوطن الجديد .

وظل المجتمع الاسلامي ينمو ، وتشد قواه وعراه رابطة العقيدة تحت رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعناية خلفائه من بعده ، حتى أصبح عمر يرى أنه مسئول أمام الله والأمة عن كل فرد فى هذا المجتمع الكبير ، وكان لايمانه بحقوق الفرد على الخليفة وعلى الدولة أثره فى توطيد بناء الوحدة الاسلامية ، وله أثره كذلك فى تفانى الفرد فى العمل لخير الأمة . ولم يعرف ذلك البناء الاجتماعى روح الأثرة المخربة ، بل كثيرا ما كانت ثروات الأفراد تستغل لخير الكيان الاسلامى أو المعوزين من المسلمين ، ولا ننسى فى هذا الموطن تجهيز عثمان لجيش العسرة ، وتصدقه بحمل الف بعير على المسلمين فى عام الجدب ، وكم جهز غير عثمان الكثير من المجاهدين بالخيل والسلاح ، وان لم يبلغوا مبلغه ، وكم ضحى بعض المسلمين بماله كله أو أكثره فى سبيل الله والأمة .

وكم صادر عمر كثيرا من اموال ولاته ووضعها ببيت مال المسلمين وكان يقول لهم : لم ابعثكم تجارا وانما بعثتكم هداة ومعلمين ولم يبرح عمر يسائل ولاته فى كل عام : من أين لكم هذا ؟ حتى لقى ربه .

ان تماسك البناء الاجتماعى فى السلم والحرب هو الذى تحطمت أمامه دسائس اليهود وتكسرت دونه قوى الفرس والروم ، فلم تفتهم كثرة ولا عتاد أمام هدير القوى الاسلامية المتدفقة التى لم تسلم ظهورها الى الأعداء ، ولكن كان شعارها : تلقى الطعن فى النحور والصدور أكرم من تلقيه فى الأدبار والظهور » .
هذا هو الدرس الرابع من الدروس التى يجب أن ننتفع بها فى ذكرى الهجرة . فليتنا نذكره ونحن نرى بناء مجتمعنا وقد أصبح كبيت العنكبوت تخفق الأرياح فيه ، وتلعب بخيوطه نفثات الضعفاء ، وتعبث فيه الأهواء .

ان مئات الملايين من المسلمين يعيشون حيارى فى متاهات آلامهم حين تسترجع خواطرهم ذكريات أولئك الحفاة وهى يقتحمون ايوان كسرى ، ويقلبون عرش القيصر ، ويجتاحون بايمانهم وتماسكهم خطوط القتال التى كانت تموج بكل فتاك من الحديد .

« نداء ورجاء »

ان الهجرة خلقت فى العالم امة صنعتها عناية الله ، وربتها رعايته ، وهيأت مشيئته لها وطنا جديدا عزت فيه ، وشدت مبادىء الحق بناء مجتمعها وانا لنضرع الى الله ان يعيدها على الوجود كما كانت امة قوية البنيان يشد بعضها بعضا .

وان اعنف جراح تستنزف قوى هذه الأمة هى جراح التفكك الاجتماعى والانحلال الخلقى، وطغيان الأثرة ، وسيطرة اعداء الله على مقاليد العالم ، فأضرع الى الله أن يجمع الأمة على الوحدة ، وأن يطهر قلوب الرعايا والرعاة من كل جرح يضعف كيانهم وسلطانهم لتعود الى الوجود خير أمة عرفها الوجود .

ملحمة الهجرة

خطة وتصميم

للدكتور: صبحي الصالح

اذا استشففنا حجاب التاريخ الفينا فيه هجرة الرسول أبرز حادثة من حوادث الدهر . ولكي تكون كذلك — وهي حقا كذلك — لا بد أن يكون لبطولة الرسول فيها اثر ، ولا بد أن يكون لشجاعته ونضاله وجميل صبره وطول اناته فيها اثر ، ولا بد بوجه عام من ربط عوامل نجاحها بشخصيته الكاملة وفكره الثاقب وعقله الراجح ، فبهذا كله يسعنا أن نقول : ان تلك الهجرة كانت ملحمة خالدة ، بل اخلد الملاحم ، وان بطلها هو النبي العظيم . لانها قبل أن تختم بالنصر افتتحت بالاضطهاد والعذاب ، وكانت بين الفاتحة والخاتمة سلسلة من صور بطولة النبيى ، ومواطن شجاعته ، ومشاهد نضاله وجهاده .

ومن الناس من يقتنع في سذاجة عجيبة بأن ملحمة الهجرة لم تك الا وحيا من عند الله خالصا . واقل ما يعنيه هذا القول المدهش الغاء كل عمل شخصي للنبي الكريم في انجاح هجرته أو رسم خطته ، كأنه عليه الصلاة والسلام لم يستشعر قط ضرورة القيام بها والتفكير فيها ثم تنفيذها على الوجه الاكمل . ومثل هذا القول كان يقتضي بداهة أن يقدم الله لنبيه الحبيب موعد هجرته انقاذا له من قومه الجفاة العتاة ، ومن اذاهم واضطهادهم له وسخريتهم به ، ولكن الله حين ترك نبيه البطل ثلاثة عشر عاما في مكة يلقى صنوف العذاب ما ودعه وما قلاه ، وانما اراد أن يذيقه حلاوة النصر بعد مرارة الصبر والمصابرة والكفاح والنضال ، حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته في خلقه ، فلا يغتروا بانتسابهم الى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا الى الوهن وهم يحسبون أنهم على ربهم يتوكلون .

كان الجو في مكة قاتما مكفهرا في كل ناحية ، وكان كل شيء في مكة يدعو الى اليأس ، ولكن النبي لم ييأس وما كان لنبي أن ييأس ، فان عليه تبليغ ما أنزل اليه من ربه وان لم يفعل فما بلغ رسالته ، والله يعصمه من الناس ! رأى عليه السلام من كفر قريش وكبرها وعنادها ما أكد له أنها لن تعرف طريق الايمان ، وعرض نفسه على القبائل فردته ردا غير جميل ، ولا سيما في الطائف التي لقي فيها أشد العذاب ، حتى لجأ الى كرمة يتفيأ ظلها ويبتهل الى ربه بهذا الدعاء الضارع المستغيث : « اللهم انت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، الى من تكلني ؟ الى عدو يتجهمني أم الى عدو ملكته امري ؟ ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي » فلم يكن بد — بعد هذا الجو المكفهر المقيت — من أن يلتمس النبي الكريم للدعوة

جوا تستطيع التنفس فيه ، ولم يكن بد من أن يجد عليه السلام الجو الآمن الجديد المبشر بالخير فى غير مكة التى نبت به وهى مسقط رأسه ومربى طفولته ومزدهر شبابه .

وفكر النبى الـذى لا ينطق عن الهوى — أول ما فكر — بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأمرهم بالهجرة الى الحبشة ، لأن بها النجاشى الملك النصرانى الذى (لا يظلم عنده أحد) كما قال الرسول الكريم .

وحين أذن الله لنبيه بالهجرة أمره بتنفيذ الخطة التى ألهمه رسمها وتصميم مراحلها ، فلم تكن هجرته فرارا من الأذى وهربا من الاضطهاد ، اذ لو أراد ذلك لهاجر الى بلد بعيد كالحبشة مثلا ، بعد أن نصح أصحابه بالهجرة اليها ، ولكنه صلوات الله عليه كان المثل الأعلى للشدة فى الحق ، والثبات على المبدأ ، فظل يصبر ويصابر حتى تسنح الفرصة ويأذن الله ، فلم يتألم من عدوان سفيه ، بل كان يجد فيما يحسبه الناس آلاما لذة سامية ، وكان سعيدا بآلامه الفوادح ، لا يبالى ما دام الله معه يهديه ، ويسمع سره ونجواه ، ويكلؤه فى متقلبه ومثواه . ولذلك حاول وهو فى مكة لما يفارقها أن يضع خطة حكيمة يتابع تنفيذها طورا بعد طور واثقا من النجاح ، مطمئنا الى تأييد الله ، صابرا الصبر الجميل !

ان النبى عليه الصلاة والسلام ليعلم أن موسم الحج هو الملتقى الطبيعى للوافدين الى مكة من غير المكيين ومن غير القبائل التى عرض نفسه عليها ودعاها الى دين الله . ويشاء الله أن تكون بداية الفرج خروج نفر من الخزرجيين الى مكة فى موسم الحج بعد وقعة بعاث المشؤومة التى قتل فيها مئات من الاوس والخزرج ، فلقى النبى هؤلاء الحجيج ودعاهم الى الاسلام فشرح الله صدورهم لدينه الحنيف .

ومع استدارة العام وحلول موسم الحج اتى مكة اثنا عشر رجلا من أهـل المدينة ، فالتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه عند العقبة البيعـة الاولى ، وأرسل معهم عليه السلام مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين .

ولما جاءه فى العام القابل فى موسم الحج سنة ٦٢٢ م . خمسة وسبعون من أهل المدينة بينهم امرأتان ، بايعهم عليه السلام سرا فى جوف الليل على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، واتخذت هذه البيعة الكبرى عند العقبة صورة الحلف أو الميثاق ، فقد قال الرسول الكريم للقوم يومذاك : « انتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » ، واختار منهم اثنى عشر نقيبـا يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وهو عليه السلام كفيل على قومه .

ولقد قال حينئذ البراء بن معرور سيد قومه ، وهو من الذين أسلموا بعد العقبة الاولى ، معلنا البيعة بلسان الجميع : « بايعنا يا رسول الله . فنحن والله أبناء الحـروب ورثناها كابرا عن كابر » . واعترض أبو الهيثم بن التيهان يقول : « يا رسول الله ، ان بيننا وبين يهود المدينة عهودا نحن قاطعوها ، فهل عسيت ان قطعنا هـذه العهود ثم نصرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ » وأجاب النبى الصفى الوفى . « بل الدم الدم والهدم الهدم » .

ورغم ما احيطت به بيعة العقبة الكبرى من سرية بالغة . ورغم اتمامها فى جوف الليل عند شعب العقبة فى عزلة عن الناس . تسرب الى قريش نبأ هذه المعاهدة الخطيرة ، واحسب قريشا قد احست قبيل هذه البيعة بنشاط النبى فى الدعوة ودأبه المتواصل لتبليغ الرسالة . فأرسلت بعض عيونها وجواسيسها يتابعون حركاته ، اذ ما كاد الحلف يتم وما كاد الانصار يقسمون للنبى على تنفيذه نصا وروحا حتى سمعت قريش مناديا يناديها بأنفذ صوت سمعته قط : يا اهل الجباجب ! يا اهل المنازل بمنى ، هل لكم فى مذمم (١) والصباء الخارجين على دينهم معه قد اجتمعوا على حربكم ؟ وربما كان هذا المنادى يريد فى آن واحد تحذير قريش وتثبيط عزائم الانصار . اما قريش فقد بلغ بها الحذر منتهاه حتى جاءت منازل الخزرجيين فى شعب العقبة وانشأ رجالها يعاتبون القوم قائلين : يا معشر الخزرج . نحن لا نريد حربكم . وما نكره أن نقاتل قوما كما نكره أن نقاتلكم ، فما بالكم تبايعون محمدا على حربنا وتخرجونه من بين اظهرنا ؟

ولما ايقنت قريش أن هذا الحلف قد تم حقا . وأن الانصار سينفذونه فعلا . خرجت تطلب من قدرت عليه منهم فلم تظفر الا بسعد بن عبادة بأذاخر قريبا من مكة . فربطوا يديه الى عنقه بجلد رحله . وجروه من شعره ، وردوه الى مكة وظلوا يعذبونه حتى أجاره حليفان له فى الجاهلية جبير بن مطعم والحارث بن امية .

وأما الانصار فما ازدادوا الا ايمانا وتسليما حتى قال العباس بن عبادة للنبى : « والله الذى بعثك بالحق . ان شئت لنميلن على اهل منى غدا بأسيافنا ! » ولكن القائد الحكيم عليه السلام اجاب : « لم نؤمر بذلك . فارجعوا الى رحالكم » .

وبينما كانت قريش تفكر بالقضاء على حركة الانصار فى مهدها . وتفكر فى حماية أصنامها وعبادها . وفى الابقاء على سيادتها وزعامتها . اقدم النبى صلى الله عليه وسلم ببراعة وحكمة على عمل سياسى عظيم . فأمر اصحابه بالهجرة الى المدينة فرادى أو نفرا قليلا ، فسوف يجدون النصر والتأييد فى يثرب اوسها وخزرجها بين قوم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . وخافت قريش من هجرة المؤمنين الى المدينة . ففرقت بين المرء وزوجه ومنعت الزوجة القرشية من المسير الى يثرب مع زوجها المؤمن . ونكلوا اشد التنكيل بكل من اصابوه يعتزم الهجرة والرحيل .

وظل النبى البطل الشجاع فى مكة دؤوبا على الدعوة الى الاسلام . وقال لصاحبه أبى بكر حين استأذنه بالهجرة : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا » . وفى رواية أخرى « لم يؤذن لى » وكأنه كان ينتظر الفرصة السانحة التى يلهمه الله انها ملائمة لتنفيذ خطته الحكيمة البارعة !

ومن يتتبع السيرة النبوية المطهرة بعمق ودقة يوقن بأن الدوافع النفسية التى كانت تحمل الرسول الكريم على اختيار المدينة مهاجرا له تكاد تقطع بأن عمله الشخصى فى رسم خطة الهجرة لم يكن ضئيلا : فقد كانت للرسول فى المدينة علاقة قربى . ففيها اخوال جده عبد المطلب من بنى النجار . وفيها قبر ابيه عبد الله بن عبد المطلب . وفى السادسة من عمره زار النبى عليه السلام مع امه آمنة بنت وهب قبر أبيه . ومرضت آمه فى الطريق فماتت ودفنت بالأبواء فى

(١) لم يقل المنادى « محمد » عكسها فقال « مذمم » بغيا من نفسه اثارة للقوم .

منتصف الطريق بين مكة والمدينة . ومن المعلوم ان النبى عليه السلام كان أول الامر يتجه فى صلاته الى ناحية المدينة جاعلا قبلته المسجد الاقصى ببيت المقدس مقام النبيين . فهل يلغى الدارس هذه الدوافع كلها ولا يرى فيها شيئا مذكورا ؟.

على أن وضع النبى عليه السلام خطة الهجرة لا ينبغى ان يتعارض مع تاييد الله له فيها بالوحى . فان كلا من الامرين يتمم الآخر ، وينسجم معه بدلا من ان يناقضه : اذ المعروف عن الرسول الكريم فى جميع مراحل حياته انه قد امتاز بمضاء العزيمة ، وعلو الهمة . والكفاح الدائب . والثبات على المبدأ . والثقة بالنجاح ، وما كان يستمد هذه الخصال كلها الا من اطمئنانه الى الله حتى ذهب مذهب الامثال قوله لعمه ابى طالب : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه » .

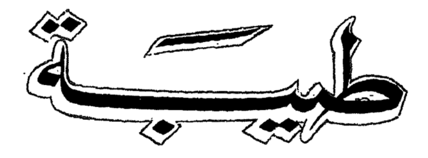
وحين اوى النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابو بكر الى غار ثور ، وقفا المشركون آثارهما ، قال أبو بكر فى جزع شديد : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فهمس النبى الشجاع فى اذن صاحبه همسته الخالدة : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله معنا » ولذلك عد الله نجاح نبيه فى هجرته نصرا ربانيا أيده به . فقال فى سورة التوبة : « إلا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » وصرح فى سورة الانفال بأن الله هو الذى مكر بالقوم الذين مكروا برسوله ، فقال : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

ليس من الخطأ اذا ان نقول : ان الله ايد بالوحى محمدا فى الهجرة ونفخ فيه من روحه حتى نصره وانجحه . فلا ريب أن هذا التأييد قد وقع ، ولم يكن بد من ان يقع تكريما من الله لنبيه وتثبيتا لفؤاده . ولكن الخطأ فى قول من يقول : ان هذه الحادثة الكبرى كانت وحيا من الله خالصا . كما أن الخطأ فى قول من يزعم ان النبى انفرد برسم خطته . وأنه انتصر بمحض قدرته الشخصية وارادته . فالحق أن احدا من البشر مهما تبلغ مقدرته وحكمته وارادته لا ينفرد بشىء . والنبى الكريم لم يكن بدعا من البشر . ولا بدعا من الرسل ، ولكم قص الله على نبيه قصص الانبياء السابقين : « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ الا ان نصر الله قريب » .

وعلى هذا الاساس . يمكن الجمع بين الامرين : فقد قام النبى البطل الشجاع المقدام بالهجرة . تبعا لخطة وضعها وأحكمها ثم نفذها ، وقد استمد عناصر النجاح من تأييد الله له ونصره . وانتظر الاذن الربانى بالشروع فيها واتمامها على ما يرضى الله . وهكذا تجلت فى ملحمة الهجرة مشاهد البطولة النبوية التى ما عرفت الايام ولن تعرف لها نظيرا .

وعلى هذا الاساس ايضا يمكننا ان نعالج آثار النكسة التى اصابت العرب والمسلمين فى الصميم ، فعلينا اليوم ان نحصر طاقاتنا كلها فى مواصلة النضال . متوكلين على الله رب العالمين . واثقين ان النصر من عنده وحده . وهو العزيز الحكيم .

رحلة إلى



للشيخ : حمد الجاسر

قام الاستاذ المحقق العلامة الشيخ حمد الجاسر صاحب مجلة (العرب) وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق برحلة الى المدينة يحقق فيها الطريق الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته . ونشر هذا التحقيق في مجلة (العرب) . .

وقد رأينا نظرا لاهميته ان نستأذن الاستاذ الفاضل في تقديمه لقراء (الوعي الاسلامي) ، فاذن مشكورا .

وفي العدد القادم ننشر البقية ان شاء الله .

الغاية من الحديث عن هذه الرحلة ، تكاد تنحصر في جانب واحد ، هو ان كثيرا من مواضع بلادنا لا يزال محتفظا باسمه القديم الذي نقرأه في كتب التاريخ والرحلات وفي شعر الشعراء المتقدمين .

وقد خطر لي — أثناء تعليقي على القسم المتعلق بتحديد الامكنة من كتاب اللغوي المعروف مجد الدين الفيروز آبادي عن تاريخ المدينة النبوية المسمى « المغانم المطابة من معالم طابة » — خطر لي القيام بزيارة البلدة الطيبة ، لعلي استطيع أن أحدد بعض الاماكن القريبة منها مما ذكره الفيروز آبادي أو التابعة لها على ما جاء في كتابه تحديدا صحيحا .

وكنت ضعيف الامل في الاهتداء الى معرفة تحديد كثير من الامكنة لتغير الاسماء وانقطاع تدوين تحديدها منذ أمد بعيد .

وقلت في نفسي لتكن تجربة ، اقوم بها متتبعا طريق هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ العلماء اولوا آثاره عليه الصلاة والسلام ، عناية فاقت كل عناية .

وكان ان رجعت الى اقدم المؤرخين الذين حددوا معالم ذلك الطريق . واقدم من استطعت الحصول على تحديده ، هو ابن هشام مختصر سيرة ابن اسحاق ، ثم ابن جرير من بعده ، فنقلت أسماء المواضع التي ذكرها هذان العالمان من كتابيهما المعروفين .

ووجدت من كرم اخي الاستاذ أبي الخضر عبد الرحمن الشيباني ، ما يسر لي وهيأ كل وسيلة لتحقيق اربي ، فكان أن قمت بتلك الرحلة القصيرة الى المدينة ، وان لم تكن كاملة من كل ناحية ، الا أنها بعثت في نفسي آمالا طيبة ، وكان لها من الآثار الحسنة ما ملأت فؤادي تفاؤلا بأن كثيرا من معالم تاريخنا ، وما يتعلق بتحديد المواضع الاثرية في تاريخنا لا يزال سهلا ميسورا .

للمدينة المنورة من مكة طرق كثيرة اشهرها ثلاثة :

١ ــ الطريق الساحلية التي تسير بمحاذاة ساحل البحر الاحمر ــ بحر القلزم ــ حتى تحاذى بلدة (بدر) التي كانت في السابق احدى المحطات الرئيسية لطرق القوافل في غربي الجزيرة الى الشام والتي حدثت فيها الوقعة العظيمة التي انتصر فيها الاسلام أعظم انتصار في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

ومن بدر يتجه المرء الى المدينة ذات اليمين ، سائرا مع واديها الذي أعلاه (وادي الصفراء) حيث تجتمع أودية كثيرة تنحدر من السلسلة الجبلية جنوب المدينة ــ وسيأتي الحديث عنها ــ ثم يسلك المرء احد تلك الاودية متجها صوب الشمال ، حتى ينتهي منحدرا في واد آخر ويفضي به الطريق بعد ذلك الى وادي العقيق مدخل المدينة المنورة .

٢ ــ الطريق النجدية وهو طريق يتجه من مكة مشرقا حتى يقطع سلسلة جبال الحجاز ثم يسير منحرفا نحو الشمال بمحاذاة تلك السلسلة الجبلية مارا بأودية كثيرة ومخترقا قسما من بلاد هذيل ، ثم بلاد بني سليم وطرفا من بلاد مزينة ، ثم يأتي الى المدينة من الناحية الشرقية ، وهذا الطريق كان مسلوكا الى عهد قريب ، وقد كان للعمل في معدن بني سليم ــ الذي يمر ذلك الطريق بقربه في الأزمنة الاخيرة ــ كان للعمل في ذلك المعدن من الاثر ما أحيا هذا الطريق ، وأصلح كثيرا من المواضع التي تحتاج الى اصلاح وتقع محطات له او قريبة منه .

٣ ــ الطريق الأوسط الذي يعتبر الطريق الرئيسي الى المدينة من مكة ، وهذا يمر بكثير من الأودية ويعترضه عقبات ، وأمكنة وعرة ، وكانت قوافل الحجاج والزوار في العصور القديمة تسلك هذا الطريق ، وقبل عشر سنوات أصلح بعضه حتى صار طريقا للسيارات ، ومن اشهر العقبات التي تقع في هذا الطريق ، عقبة (هرشا) وقد عبدت قديما لسلوك القوافل ثم سهلت لمرور السيارات .

ويجتمع هذا الطريق مع طريق الساحل في محطة تعرف قديما باسم (المنصرف) وحديثا باسم (المسيجيد) قرية كبيرة الآن .

وهناك طرق فرعية اخرى ، الا أن فيها كثيرا من الوعورة بحيث لا تجتازها الابل الا بمشقة كطريق (الغاير) الذي يتجه الى المدينة قبل محطة (المسيجيد) بما يقارب مرحلة بسير الابل .

ولحسن الحظ فان هذا الطريق على وعورته ومروره في أودية رملية وتلاع صخرية ، فانه لا يزال يسلك حتى عهدنا الحاضر ، لأن الزوار في شهر رجب يسلكونه لاختصاره ولكونه هو الطريق القديم واكثر من يسلكه راكبو (الحمير) الذين يسيرون في موكب معروف في شهر رجب من مكة ، ويجوزون ثنية الغائر ، مشاة أو ركبانا فوق دوابهم فيصلون الى قمة السلسلة الجبلية الواقعة بقرب المدينة ثم ينزلون مع وادي (ريم) الى وادي العقيق في المدينة .

ومما ينبغي الانتباه له ، ان بعض المتقدمين قد يحددون جبلا أو موقعا بأنه على الطريق بين مكة أو في شمال الطريق او يمينه . واذا لم يكن لدى الباحث العام بمعرفة تلك الطرق وتعددها ، قد يقع في أشكال من هذه الناحية .

ومثال ذلك ما ذكره بعضهم من أن جبل « عير » — وهو جبل عظيم لا يزال معروفا ومشاهدا بقرب المدينة يقع على يمين طريق المتوجه من المدينة الى مكة ، وهذا الكلام حق بالنسبة لمن سلك طريق « ريم » ونزل من ثنية « الغائر » ولكن من أتى مع الطريق الاوسط مارا بالسيالة فملل فالفرش ، يدعه عن يمينه اذا اتجه الى المدينة ، وعلى يساره اذا اتجه الى مكة .

وملاحظة أخرى ينبغي ادراكها : هي أن الاسم قد يطلق على عدة مواضع ، وكثير من المتقدمين لا يفرقون بين تلك المواضع ، فيوردون تعاريفها وما قيل في تحديدها . عند الكلام على احدها فيقع الالتباس ، ويقع التضارب عند المتقدمين عندما يحاولون تحديد موضع من المواضع ، اذ يعتمد احدهم على قول ، ويعتمد الآخر على قول ثان يخالفه في ظاهر الامر ، وقد يكون في الواقع منطبقا على موضع آخر ، بعيد عن الموضع المقصود . وامثلة ذلك كثيرة فيما بين ايدينا من معجمات الامكنة ، وكتب التاريخ والرحلات ، التى حاول مؤلفوها ايراد ما جاء عن المتقدمين في تحديد بعض الامكنة التى يتعرضون لذكرها .

ولقد سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر الى المدينة طريقا غير الطريق الذى اعتاده الناس في ذلك العهد سلوكه . يقول السهيلي — في الروض — ، حاكيا عن دليلهما : فكنت آخذ بهم في أخفاء الطريق . وفقه هذا أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم أخفاء الطريق ومخارمه . ا هـ .

وعندما خرج هو وصاحبه الصديق رضي الله عنه ، اخذهما دليلهما فسلك بهما اسفل مكة ، ثم مضى على الساحل ، حتى عارض الطريق اسفل (عسفان) ثم سلك بهما على أمج ، ثم جاز بهما ، تاركا الطريق على يمينه ، وقد فعل ذلك خوفا من ترصد قريش للرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا أردنا أن نبحث عن تحديد المواضع التى ذكرها ابن هشام وغيره فانها تبدو بهذا الترتيب :

١ — أسفل (عسفان) معروف وهو أسفل الوادى عندما يصب في البحر بقرب (ذهبان) الذى يبعده عن جدة (٥٠) كيلا .

٢ — أمج : وأمج هو أسفل وادى (ساية) الوادى الذى يقع فى أسفله (خليص) .

وقد حدد المتقدمون المسافة بين (عين خليص) وبين أمج ، بميلين : أى ان العين بعد أمج للمتوجه الى المدينة ، وهذا الوادى يجتمع مع وادى (غران) فيكونان واديا واحدا يفيض فى البحر فيما بين (ذهبان) (وثول) .

٣ — قديد : واد طويل ، ويظهر أن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم كان على أسفل الوادى ، لأن ابن هشام وغيره ذكر أن الدليل سلك بهما الخرار بعد قديد .

٤ — والخرار على ما ذكر المتقدمون قريب من (الجحفة) وبعضهم يعده فيها و (الجحفة) لا تزال معروفة ، فكأن الدليل جاز وادى (الستارة) وهو أسفل (قديد) ويصب فى البحر فيما بين (القظيمة) و (ثول) ثم سار قريبا من الساحل حتى جاز (الخرار) ثم أخذ ثنية تدعى (ثنية المرة) .

٥ — وثنية المرة لم أجد من يعرفها ولكن يوجد بجهة (كلية) فيما بينها وبين (رابغ) ثنية يسلكها المتوجه الى (كلية) والمتقدمون يقولون : عن ثنية المرة انها قريبة من ماء يدعى (الاحياء) وانه فى وادى (رابغ) .

٦ — ويسوق المتقدمون خبر الطريق فيذكرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد (ثنية المرة) سلك (لقفا) .

ولقف هذا واد لا يزال معروفا ، وهو من روافد (وادى النخل) يقع بين وادي (الفرع) ووادى (مجاح) ويفيض فى وادى النخل عند محطة (بئر رضوان) التى تبعد عن (بئر مبيريك) مسافة تقرب من (٣٠) كيلا من جهة مطلع الشمس .

ووادى النخل يصب فى (القاحة) عند بئر مبيريك) ووادى (القاحة) يصب فى وادى (الابواء) وقول ابن هشام : ان (لقفا) يقال له (لفت) واستشهاده بشعر معقل بن خويلد الهذلى على ذلك ، يظهر انه تصحيف فابن اسحق أعرف منه بتلك المواضع لتقدمه ولاقامته فى المدينة . وقد سماه (لقفا) .

ويظهر من سياق الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك طريق ثنية (هرشا) يسارا اذ هو الطريق المعروف وانه نزل من (مدلجة لقف) .

٧ — و (مدلجة لقف) تلعة كبيرة ، تصب فى وادى (لقف) تبعد عن (بئر رضوان) مسافة ١٠ أكيال اذا سندت فى وادى (لقف) تفيض فيه من جهة الشمال .

٨ — وفى الخبر : ثم استبطن بهما (مدلجة مجاح) .

و (مدلجة مجاح) رافد من روافده لا يزال معروفا .

٩ — أما (مجاح) فقد ورد بصيغ مختلفة (محـــاج) و (مجاج) و (مجاح) والاخيرة هي الصواب ، وقد لاحظ هذا السهيلي حيث قال : وقد الفيت شاهد الرواية ابن اسحق في (لقف) وفيه ذكر (مجاح) بالحاء المهملة بعد الجيم ، وهو قول محمد بن عروة بن الزبير :

لعن اللـــه بطن لقف ، مسيـــلا و (مجاحا) وما احب (مجاحا) !!
لقيــت ناقتــي بـــه ، وبـ (لقف) بلدا مجـــدبا ، وارضا شـــحاحا !

ان وادي (مجاح) لا يزال معروفا ، وهو من فروع وادي النخل ، يصب فيه قبل اجتماعه بوادي (القاحة) ، بما يقرب من ٥ اكيال قبل (بئر مبيريك) .

١٠ — وورد في الخبر (مدلجة مجاح).

وهي رافـــد من روافده ، ولا يزال معـــروفا ومدلجة (لقف) ومدلجة (مجاح) يتقاربان حتى يلتقيان .

١١ — ثم سلك بهما (مرجح مجاح) .

(مرجح) رافد من روافد (مجاح) مقابل لمدلجة مجاح ، يصب فيه :
وقد ورد في كتـــاب البلدان لنصر بن عبـــد الرحمن الاســـكندري مصحفا : (مدجج) بضم الميم ، وفتح الدال وتشديد الجيم الاولى وكسرها — والصواب : بفتح الميم وسكون الراء ، وجيم مكسورة ، بعدها حاء مهملة .

١٢ — وجاء في الخبر : ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضـــوين : قال ابن هشام : ويقال (العضوين) ، واقول : المعروف الآن عند اهـــل الجهـــة (العصوين) بالعين والصاد المهملتين ، تثنية عصا ، وهما تلعتان كبيرتان ، كل واحدة منهما تسمى (العصا) تلتقيان ، ثم تصبان في وادي (مجاح) بقرب اجتماعه بوادي النخل . وارى أن الغضوين أو العضوين تصحيف .

١٣ — ثم بطن (ذي كشر) .

يعرف هذا الموضـع الآن باسم (أم كشد) بكاف مكسورة ، وشين معجمة ساكنة ، ودال مهملة ، لا كما جاء في (سيرة ابن هشام) وفي (معجـــم البلدان) (وأم كشد) هذه تلعة تصب في وادي يدعى (ثقيب) وهو واد يجتمع مع وادي (القاحة) بعد ان يتجه المرء من (بئر مبيريك) الى جهـــة المدينة ، بما يقرب من ١٥ كيلا .

فكأن طريق الرسول صلى الله عليه وســـلم ترك وادي (القـــاحة) يسارا في هذه الجهة ، ثم التقى بهذا الوادي فيما بعد .

١٤ — وفي الخبر : ثم اخذ بهما على (جداجد) وهو واد صغير من روافد وادي (ثقيب) .

١٥ — وورد في الخبر ذكر (الاجرد) و (ذي سلم) .

والاجـــرد يســـمى الآن (اجيرد) بالتصغير (وذا ســـلم) يسمى (ام السلمة) .

بعد أن يقطع المسافر ما يقرب من ثمانية أكيال سائرا فى وادى (ثقيب) يصل الى موضع يدعى (البستان) مسكون ، ومنه طريق الى (الفرع) حيث اتجاه أعلى (ثقيب) وعلى بعد أقل من كيل واحد تقع (أم كشد) وهى واد . (أجيرد) على الشمال منها و (أم السلمة) تلعة كبيرة تصب فى (اجيرد) وكلها تصب فى (ثقيب) ثم يسير الطريق المتجه الى (القاحة) تاركا (اجيرد) على يمينه ، جازعا أعلاه ، وبعد أن يتركه ينحدر فى تلعة تصب فى وادى (القاحة) حيث يرجع الطريق اليها مرة أخرى .

١٦ — وورد فى الخبر أسماء منها (تعهن) و (أعداء) .

أما (تعهن) فانها واد كبير يصب فى (القاحة) عند المحطة المعروفة الآن باسم (أم البرك) وقديما باسم (السقيا) — كما سيأتى الحديث عن مراحل الطريق العام .

والغريب أن أهل تلك الجهة ينطقون هذا الاسم (تعهن) بفتح التاء بامالة نحو الكسر ، وكسر العين بالهاء المشددة المكسورة بعدها نون .

١٧ — وذكر ابن هشام فى سياق خبر الهجرة بعد اعداء مدلجة تعهن قال : ثم العبابيد ، قال ابن هشام : ويقال : العبابيب ، ويقال : العثيانة ، يريد العبابيب .

لم أجد أحدا يعرف شيئا عن هذا الموضع الذى ذكر له ابن هشام ثلاثة أسماء ، مع أن من قابلتهم لم يكونوا من أهل الموضع الذى يقع بعد (تعهن) ذلك اننى مررت بتلك الناحية ليلا ، فلم أصادف أحدا من أهلها .
ولعل أخى الاستاذ سليمان سليم مدير التعليم فى تلك النواحى يكرم — وهو كريم — فيحقق للقراء هذا الموضع وغيره مما تقدم أو سيأتى ذكره ، فالمار والذى من غير أهل البلاد يفوته الشىء الكثير .

١٨ — قال ابن هشام : (ثم أجاز بهما الفاجة — ويقال القاحة فيما قال ابن هشام) .
وقول ابن هشام هنا هو الصواب ، فالقاحة بالقاف ثم الحاء المهملة المفتوحة بعدها هاء ، واد عظيم يفيض فيه فى أعلاه وادى (تعهن) والسالك مع هذا الطريق بعد (تعهن) يجوزه ، بقرب ما يدعى الآن (أم البرك) جمع بركة وهى قرية كانت كبيرة ، الا أنها ضعفت الان ، وكانت تدعى قديما (السقيا) بالسين المهملة المشددة المضمومة بعد قاف ساكنة فياء مثناة تحتية مفتوحة معدودة ، وهى سقيا بنى غفار قبيلة معروفة قديما كانت من مساكنها فى القديم ، وأعالى (السقيا) تبتدىء من مكان يبعد عن (أم البرك) بما يقارب ٤٥ كيلا بعد أم البرك للمتوجه الى المدينة ، عند محل يدعى (الرصفة) وهو جبل منحوت قديما لسلوك المسافرين أرضه مرصوفة .

ويمتد وادى (القاحة) من هذا المكان متجها صوب الجنوب ، حتى يفيض فى وادى (الابواء) وتجتمع به أودية كثيرة من أشهرها وادى (ثقيب) ووادى (النخل) الذى يفيض فيه سيل واديى (مجاج) و (لقف) وأودية أخرى كثيرة تقدم ذكر بعضها .

١٩ — وقال ابن هشام : ثم هبط بهما (العرج) .
والعرج على ما ذكر المتقدمون يبعد عن أول وادى (القاحة) بما يقارب ثلاثة عشر ميلا .

ولعله هو اعلى ما يسمى الآن وادى (الجى) بجيم مكسورة بعدها ياء مشددة ، وهو يبعد عن أعلى وادى (القاحة) بما يقارب الميل الواحد . هذا اعلاه ، فكأن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم جزءه من اثنائه .

ووادى (الجى) ليس له ذكر عند المتقدمين فهم لا يذكرون الا (موضع الجى) ويقولون انه منازل فيه بثران ، عذبتا الماء ، وانه فى سفح جبل ، وان ورقان الجبل العظيم المعروف ينتهى عنده ، ويحددون المسافة بينه وبين (عقبة العرج) باقل من عشرة أميال . ويقولون بأن عقبة العرج بين جبلى (قدس) و (ورقان) وهذا الوصف ينطبق على أعلى وادى (الجى) فكأن اسم (الجى غلب على وادى العرج لوقوع الجى فى اعلاه .

اما (قدس) هذا فكان من اشهر الجبال القديمة واعرفها . ويسمونه الآن (ادقس) بهمزة مكسورة بعدها دال ساكنة ، فقاف فسين ، تحريف للاسم القديم .

من أول وادى الجى تتجه سيول الطريق مغربة حيث تجتمع كل الاودية الواقعة دون المدينة عن يسار جبل ورقان وهى السلسلة الجبلية الممتدة من نهاية وادى الجى الى نهاية وادى (الروحاء) مما يسيل من هذه السلسلة وغيرها فتكون أودية عظيمة تجتمع بهذا الوادى المسمى الآن بوادى الجى ثم يجتمع معها وادى الروحا ، ووادى (النازية) بتخفيف الياء ووادى (وحقان) وتفيض كلها بوادى الصفراء ثم تتجه صوب البحر غربا حتى تصب فيه جنوب (مستورة) موضع (ودان) القديم .

لقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذه المواضع بيساره وعدل عن الطريق المعروف وسلك ثنية الغائر .

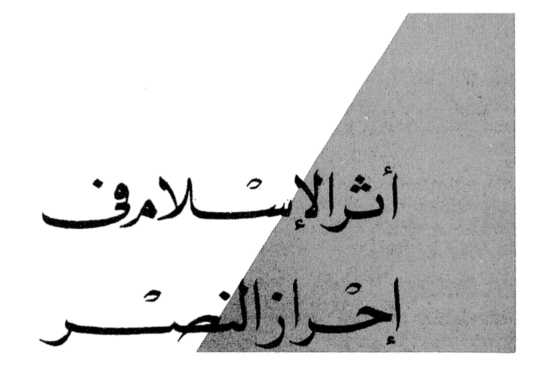
٢٠ — وجاء فى السير من رواية ابن هشام وغيره ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هبط العرج ، خرج منه ، فسلك ثنية العائر عن يمين ركوبه ، ويقال (الغائر) .

والعائر بالعين المهملة تصحيف صوابه الغائر بالغين المعجمة وهى ثنية لا تزال معروفة ، ويسلكها الذين يذهبون للزيارة قديما مشاة أو على الدواب ، وهى ثنية صعبة السلوك ، وغير معبدة فى الوقت الحاضر ، ولا تسلكها الابل الا بجهد ومشقة .

وعندما رغبت المرور بها ، لم اجد فى تلك الناحية احدا يرشدنى الى الطريق ، وقيل لى ، ان الابل — فى هذا العام لتوالى الجدب — هزيلة ومن الأيسر ان أنزل معها نزولا من جهة المدينة .

٢١ — وقال ابن هشام بعد ذكر ثنية الغائر : « حتى هبط بهما بطن (رئم) » .

ورئم هذا وهو ينطق الآن بتسهيل الهمزة (ريم) — وهو واد من روافد وادى عقيق المدينة — لا يزال معروفا .



اللواء : محمود شيت خطاب

— ١ —

حارب النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته العرب المشركين وانتصر عليهم ، فلم يلتحق بالرفيق الاعلى الا وكانت شبه الجزيرة العربية موحدة تحت لواء الاسلام .

كان جنود النبي صلى الله عليه وسلم من العرب المسلمين ، قليلي العدد ، فقراء بالسلاح والقضايا الادارية .

وكان أعداء الاسلام من العرب المشركين ، كثيري العدد ، اغنياء بالسلاح والقضايا الادارية .

كان التفوق العددي والعددي مع العرب المشركين على العرب المسلمين ، ولكن الفئة القليلة من العرب المسلمين ، غلبت الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين باذن الله .

وفي أيام الفتح الاسلامي العظيم ، حارب العرب المسلمون الغساسنة في معركة (اليرموك) الحاسمة التي فتحت أبواب أرض الشام للمسلمين ، وحاربوا المناذرة في معركة (القادسية) الحاسمة التي فتحت أبواب أرض العراق للمسلمين ، وكان الغساسنة والمناذرة من العرب الأقحاح ، وكانوا أعرق مدنية واكثر حضارة ، وأغنى مالا وسلاحا ، وأعرف بأساليب القتال ، واقرب الى قواعدهم من أولئك العرب المسلمين القادمين من قلب الجزيرة العربية .

وانتصر العرب المسلمون على العرب غير المسلمين ، وعلى غير العرب من اليهود والروم والفرس والبربر في أيام الفتح الاسلامي العظيم ، لا لأنهم عرب وكفى ، بل لأنهم عرب مسلمون .

لقد كان انتصار العرب المسلمين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي أيام الفتح الاسلامي العظيم انتصار عقيدة لا مراء .

فما أثر العقيدة الاسلامية في احراز النصر ؟

— ٢ —

كان العرب فى الجاهلية متخلفين سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا ، فرفع الاسلام مكانتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية .

كان الفرس والروم سادتهم ، وحتى الأحباش كانت لهم صولة وجولة ومكانة فى اليمن ، فأصبح العرب بالاسلام سادة الفرس والروم والاحباش والبربر وسادة أمم اخرى لا تعد ولا تحصى من الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، ومن سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا .

وكان العرب اقل حضارة ومدنية من الفرس والروم خاصة ، فاصبحوا بعد الاسلام قادة الحضارة العالمية ورواد المدنية فى الدنيا .
وكانوا فقراء معدمين يسكنون الخيام فى الصحراء ، فاصبحوا بعد الاسلام اغنياء مترفين يسكنون القصور والبيوت فى الحواضر على ضفاف الانهار .
وكانوا من الناحية العسكرية لا يطمعون ان يحموا أرضهم من الفرس والروم وحتى من الاحباش ، فأصبحوا بعد الاسلام لا يطمع احد فى حماية أرضه من قوتهم القاهرة التى ملأت الارض سماحة وعدلا .
اذن كان للاسلام اثر اى اثر على العرب ، بدلهم من حال الى حال ، وجعل منهم امة لها مكانتها ولها اعتبارها ولها تأثيرها على سير الاحداث الكبرى ، ولها كلمتها المسموعة بين الامم .

ولعل الباحثين المنصفين من المسلمين وغير المسلمين ، يستطيعون ان يقولوا كثيرا عن اثر الاسلام فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العرب .

ولكننى سأقتصر هنا ، على اثر الاسلام فى العرب من الناحية العسكرية فقط ، مذكرا أن العرب لو لم ينتصروا فى الحروب ، ولو ترفرف راياتهم شرقا وغربا ، لما كانت لهم مكانة بين الامم فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لذلك يمكن القول بأن اثر الاسلام عسكريا على العرب هو الأساس الأول لمكانتهم السامية بين الامم ، ذلك لأن الدول لا تحترم غير الاقوياء ، وان القوى وحده هو الذى يستطيع أن يؤثر فى سير الاحداث العالمية ، سواء أكان هذا التأثير هدفه الخير للعالم ، أم هدفه الشر والخراب والدمار .

— ٣ —

كان فى العرب أيام الجاهلية مزايا متميزة : الذكاء الفطرى ، وحب الحرية والمساواة ، والشجاعة والاقدام ، والكرم والسخاء ، فعمل الاسلام على تطوير هذه المزايا وصقلها وأفاد منها ، ونجح فى مسعاه أعظم النجاح .

وكان فى العرب أيام الجاهلية صفات رديئة : تفرق كلمتهم ، وفقدان الضبط والنظام بينهم ، وعبادة الاوثان والأصنام ، وسيطرة روح القبيلة عليهم ، فعمل الاسلام على محاربتها والقضاء عليها ، وانتصر عليها انتصارا باهرا .
وصدق الله العظيم : (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) (١٠٣ — آل عمران) .

وكان العرب قبل الاسلام ، ماهرين فى حروب العصابات ، وفى استعمال السلاح ، وفى الفروسية ، وكانت لهم قابلية عظيمة على الحركة من مكان الى آخر بسهولة ويسر ، وبأقل وقت ممكن ، وأقل تكاليف ادارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد :

واحيانا على بكر اخينا   اذا ما لم نجد الا اخانا

لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية ، تذهب عبثا فى المناوشات المحلية بين القبائل .

فلما جاء الاسلام ، وحد عقائدهم ، ووحد أعمالهم ، ووحد صفوفهم ، ونظمهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاما ماديا ومعنويا فأصبحت — لذلك كله وبذلك كله — قوتهم المبعثرة ، وجهودهم المضاعة ، تعمل بنظام وضبط ، بقيادة واحدة ، لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون فى مشارق الارض ومغاربها أخوة ، يتحابون بنور الله بينهم ، وهم أمة واحدة ، تحيتها السلام ، ودينها الاسلام .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤم الفين فى عمرة القضاء ، ومائة الف فى حجة الوداع ، يسيرون كلهم فى نظام أدق نظام : هرولة ، ومشيا ، واستلاما للركن والحجر الاسود — هذا النظام المتصل بروح الاسلام ، سبب من اسباب القوة ، بل هو مصدرها ، وملاكها ، وهذه الامامة يقوم بها رجل مطهر يؤمن أصحابه بصدقه ، هى روح هذه القوة وقوامها .

وفرضت الصلاة على المسلمين ، ثم قامت صلاة الجماعة التى اداها المسلمون وراء امام واحد . ومن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفا للصلاة ، يؤدون ركعاتها وسجداتها فى تناسق مدهش وفى نظام ووقار ، لا يمكن أن يغفل لما لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية فى نفوس المسلمين . ان العرب أباة لا يخضعون لمشيئة خارجية ، ولكنهم كانوا يفتقرون الى الشعور التام بالطاعة والنظام ، فكانت لهذه الصلاة اهمية بالغة فى (ايقاظ) روح النظام فى نفوس العرب المسلمين ، لذلك غدا مكان الصلاة أول ميدان حقيقى للتدريب على النظام عند المسلمين .

ثم ان انتظام المسلمين فى الصلاة ، شجع روح الوحدة بينهم ، وخلق بينهم شعورا بالمساواة التى كانت أفكارا جديدة على بلاد العرب ، اذ كانت الوحدة الموجودة حتى ذلك الوقت هى رابطة الدم ، فأصبحت الوحدة السائدة هى وحدة العقيدة .

لقد وجد الاسلام بتعاليه التى تغرس الضبط والنظام فى النفوس ، وتدعو الى توحيد الله وتوحيد الصفوف ، أرضا خصبة فى العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة فى الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشقون الحرية ، فكان من فضل الاسلام على العرب ، انه جمع شملهم ، ووحد قلوبهم ، واشاع فيهم النظام والضبط ، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها (متنفسا) فى توحيد شبه الجزيرة العربية أولا ، وفى الفتح الاسلامى ثانيا .

والمعروف ان الجندي لا يمكن أن يقاتل فى الحروب قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه مقبلا غير مدبر ، الا اذا كان يؤمن بعقيدة تدفعه الى التضحية والفداء ، وتجعله صابرا فى البأساء والضراء وحين البأس .
والجندى الذى يقاتل بغير عقيدة ، لا يمكن أن يصمد فى الميدان ابدا .
وما يقال عن الجندى ، يقال عن الجيش ، ويقال عن الشعب ايضا ، فليس الجيش الا مجموعة من الجنود ، وليس الجيش الا جزءا من الشعب .

فما اثر تعاليم الاسلام على العرب ؟

لا شك ان هذه التعاليم ، رفعت المستوى العقلى للعرب الى درجة كبرى ، فهذه الصفات التى وصف الاسلام بها الله سبحانه وتعالى ، نقلتهم من عبادة أوثان وما يقتضيه ذلك من انحطاط فى النظر واسفاف فى الفكر ــ الى عبادة اله وراء المادة : (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار) (١٠٣ ــ سورة الأنعام) .
كان الاله عند اكثرهم اله قبيلة ، وان اتسع سلطانه فاله قبائل او اله العرب ، فأبانه الاسلام اله العالمين ، ومدبر الكون وبيده كل شيء وعالما بكل شيء ، فاستطاع العربى بهذه التعاليم ان يرتقى الى فهم اله لا مادة له ، واسع السلطان ، واسع العلم ، وأفهمهم الاسلام أن دينهم خير الاديان ، وأن العالم حولهم فى ضلال ، وأن نبيهم نبى الناس جميعا ، وأنهم ورثته فى حمل دعوته الى الأمم ، فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الأمم يدعونهم الى دينهم ويبشرونهم به ، فمن دخل فيه كان كأحدهم ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم .
وكان لعقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنة والنار ، أثر عظيم فى بيع كثير منهم نفوسهم فى سبيل نشر الدعوة : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) (١) .
وكان للاسلام اثر كبير فى تغيير قيمة الاشياء والاخلاق فى نظر العرب ، فارتفعت قيمة أشياء ، وانخفضت قيمة أخرى ، واصبحت مقومات الحياة فى نظرهم غيرها بالأمس .
ان الاسلام رسم للحياة مثلا أعلى غير المثل الأعلى للحياة فى الجاهلية ، وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيرا ما يتناقضان فالشجاعة الشخصية ، والشهامة التى لا حد لها ، والكرم الى حد الاسراف ، والاخلاص التام للقبيلة ، والقسوة فى الانتقام والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل ــ هذه المثل التى كانت اصول الفضائل عند العرب الوثنيين ، اصبحت فى الاسلام الخضوع لله والانقياد لأوامره والصبر واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين ، والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة ــ هى المثل العليا للمسلم فى الحياة (٢) .

---

(١) سورة التوبة (آية ١١١) .
(٢) انظر ــ فجر الاسلام (٩٣/١ ــ ٩٥) ــ أحمد أمين .

ان الاسلام . صهر نفسية العربى ، ونفى عنها الخبث ، فاصبح العـربى المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يزنى ولا يخـون ولا يغش ولا يتجسس ، يخلص لعقيدته اكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع أوامر الله ورسوله وأولى الامر ، وبذلك اصبح فردا مفيدا باع نفسه لله اخلاصا لعقيدته .

هذا العربى المسلم ، بهذه المزايا النادرة ، اصبح بدون شـك ، عنصرا مفيدا كل الفائدة لتكوين أمة صالحة : تعبد ربا واحدا ، وتعمل بانسجام وتعاون ونكران ذات ، لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هى العليا .
لقد تصرف العربى المسلم فردا تصرفا لا يزال يعتبر من الأعمال الفـذة النادرة فى حياة البشر : تحمل التعذيب والموت صابرا راضـيا مطمئنا ، وترك أهله وماله مهاجرا الى الله ورسوله ، وضرب بمصلحة أهله الاقربين وعشيرته وقبيلته عرض الحائط حين وجدها تعارض مصلحة عقيدته العليا .

وتصرف العربى المسلم ضمن المجموع من أمته تصرفا لا يزال يعتبر حتـى اليوم مفخرة من المفاخر : اندفع يجاهد فى سبيل نشر عقيدته وحمايتها ، فخرجت القوة المؤمنة التى اختزنتها الصحراء عبر الاجيال ، تحمل راية الله سبحـانه وتعالى وتبلغ عن أمره ، فتتابعت انتصاراتها الباهرة ، فلم يشهد التـاريخ فى أحقابه المديدة انتصـارات مظفرة وفتحا (مستداما) مثلما شهد انتصـارات الفتح الاسلامى[١] ، تلك هى العقيدة التى جعلت العربى المسـلم يقاتل قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه من أجلها .

وهذه العقيدة هى التى دفعت العـربى المسلم الى التضحية والفـداء ، وجعلته صابرا فى البأساء والضراء وحين البأس . وهذه العقيدة هى التى قادته من نصر الى نصر ما دام متمسكا بها ، فلما أعرض عنها لم ير النصر بعينه أبدا .

— ٥ —

فكيف يربى الاسلام ملكة الجندية الحقة فى المسلم فردا وفى المسـلمين جيوشا وأمة .
هناك صفات خالدة للجندى الحق هى التى تميز الجندى الامين عن الجندى المزيف الذى لا قيمة عسكرية له .

هنا لا بد لى من أن أذكر ، بأنه ليس كل من ارتدى البزة العسكرية وقضى ردحا من الزمن فى الجيش أصبح جنديا حقا .

بل لا بد أن تتوفر فى الجندى صفات معينة ، ليكون جنديا يفيد ولا يضر ويبنى ولا يهدم ويقاتل ولا يفر .
من هذه الصفات الطاعة ، والطاعة هى ما نطلق عليه فى المصطلحات العسكرية الحديثة تعبير : الضبط[٢] .

والضبط : معناه اطاعة الأوامـر وتنفيذها نصـا وروحا بدون تردد وعن طيبة خاطر وبحرص وأمانة واخلاص .
لقد وردت كلمة (طاع) ومشتقاتها فى تسع وعشرين ومائة آية من آيات

---

(١) انظر التفاصيل فى كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٢٦٧ — ٢٧٦) .
(٢) يطلق على كلمة : الضبط فى قسم من الجيوش العربية كلمة : الانضباط .

القرآن الكريم . قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله)(1) وقال تعالى : (ويقولون آمنا بالله وبالرســـــول وأطعنا)(2) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم)(3) .

والفرق الكبير بين الجندى الجيد والجندى الردىء ، هو ان الأول مطيع والثانى غير مطيع ، أى ان الاول يتحلى بالضبط المتين ، والثانى قليل الضبط ، كما يعبر عن ذلك العسكريون المحدثون .

وقد ضرب السلف الصالح أروع الامثال بالطاعة لله ولرســـوله ولاولى الامر ، وتاريخ الصدر الاول من الاسلام ملىء بأمثلة الطاعة التى ادت بالكثير من المسلمين الى التضحية بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله .

كما أن الفرق الكبير بين الجيش والمدنيين ، هو ان الجيش يتحلى بالضبط المتين ، ولا جيش بدون ضبط ، ولا ينتصر جيش فى الحرب بدون ضبط مهما يكن حسن التنظيم كامل التجهيز جيد التدريب قوى القيادة .

— ٦ —

ومن صفات الجندى الخالدة : الصبر على المشقـــات العســــكرية وفى الميدان .

ولقد ورد كلمة (صبر) ومشتقاتها فى ثلاث ومائة آية من آيات القـــرآن الكريم . قال تعالى : (يا أيها الـــذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله)(4) ، وقال تعـــــالى : (ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا)(5) ، وقال تعالى : (سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار)(6) ، وقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)(7) ، وقال تعالى : (ثم جاهدوا وصبروا ، ان ربك من بعدها لغفور رحيم)(8) .

ومن صفات الجندى الخالدة : الثبات فى الحرب .

والثبات له معنيان : الأول الصمود الى آخر اطلاقة وآخر رمق ، فليس جنديا من يفر أو يستسلم للعدو ومعه سلاح وعتاد ، حتى يتحطم سلاحه وينفد عتـــاده .

والثانى الشجاعة فى مجابهة العدو والقتال بتصميم وعناد .

ولقد وردت (ثبت) ومشتقاتها فى ثمانى عشرة آية من آيات الذكر الحكيم قال تعـــالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا)(9) ، وقال تعـــالى وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام)(10) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا

---

(1) سورة النساء (الآية ٨٠) .
(2) من سورة النور (الآية ٤٧) .
(3) من سورة النساء (الآية ٥٩) .
(4) سورة آل عمران (الآية ٢٠٠) .
(5) سورة البقرة (الآية ٢٥٠) .
(6) سورة الرعد (الآية ٢٤) .
(7) سورة النحل (الآية ١٢٦) .
(8) سورة النحل (الآية ١١٠) .
(9) سورة الانفال (الآية ٤٥) .
(10) سورة الانفال (الآية ١١) .

ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)(١) ، وقال تعـالى : (ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا)(٢) وقال تعـالى : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا ، وثبت اقدامنا)(٣) ، وقال تعـالى : (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم ، فثبتوا الذين آمنوا)(٤) .

اما الشجاعة وهى من اهم صفات الجندى ، فيكفى ان نذكر ان المسلم لا يجبن ابدا ، وان التولى يوم الزحف بالنسبة للمسلم من الكبائر ، قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)(٥) .

وجعل التولى يوم الزحف من صفات الكفار والمنافقين ، قال تعالى : (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا)(٦) ، وقال تعالى : (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قاتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)(٧) ، وقال تعالى : (لن ينصروكم الا اذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار)(٨) ، وقال تعالى : (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ، وكان عهد الله مسؤولا)(٩) .

ولست أعرف عقيدة سماوية ولا ارضية حثت على الشجاعة حثا حاسما جازما كما فعلت العقيدة الاسلامية ، ويكفى انها اخرجت الجبناء من حظيرة المؤمنين ، فالجبن والاسلام على طرفى نقيض وهما ضدان لا يجتمعان .

واذا كانت الشجاعة هى التى تؤدى الى احراز النصر ، أو هى من اهم عوامل النصر على الاطلاق ، فان الشجاعة فى العقيدة الاسلامية هى مزية من مزايا المسلم الذى لا يكون مسلما بدونها .

— ٧ —

ومن صفات الجندى الخالدة الحذر واليقظة .

قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم)(١٠) وقال تعالى : (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم)(١١) وهى صـلاة الخوف كما يعبر عنها الفقهـاء .

واذا كان الجندى حذرا يقظا ، صعب على عدوه أن ينال منه او ان يباغته ليقضى عليه ، والمباغتة مبدأ من اهم مبادىء الحرب .

وليس جنديا حقا من ينام عن عدوه ، لأن المبدأ السليم فى الحرب هـو ادخال أسوأ الاحتمالات فى الحساب .

---

(١) سورة محمد (الآية ٧) .
(٢) سورة البقرة (الآية ٢٥٠) .
(٣) سورة آل عمران (الآية ١٤٧) .
(٤) سورة الانفال (الآية ١٢) .
(٥) سورة الانفال (الآية ١٥ — ١٦) .
(٦) سورة الفتح (الآية ٢٢) .
(٧) سورة الحشر (الآية ١٢) .
(٨) سورة آل عمران (الآية ١١١) .
(٩) سورة الاحزاب (الآية ١٥) .
(١٠) سورة النساء (الآية ٧) .
(١١) سورة النساء (الآية ١٠٢) .

وتطبيقا لمبدأ الحذر واليقظة ، كان المسلمون الأولون فى الحرب لا ينامون ولا ينيمون ...

وما أصدق المثل العربى القائل : « اذا كان عدوك نملة ، فلا تنم له » .

والاستهانة بالعدو اعتمادا على الكثرة الكاثرة والعدد العديد ، يؤدى الى الكوارث فى الحرب ، وقد علمنا الله سبحانه وتعالى درسا عسكريا سجله القرآن الكريم ، فقال تعالى : (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين) (١) .

ان الاستهانة بالعدو تؤدى الى الهزيمة ، ومن حق المنتصر أن يستهين بعدوه بعد احراز النصر عليه ، أما قبل المعركة فلا بد أن يدخل فى حسابه عن عدوه أسوأ الاحتمالات .

— ٨ —

من تلك الصفات الخالدة للجندى الحق ، أن يجاهد بماله ونفسه فى سبيل مثله العليا .

وقد وردت كلمة (جهد) ومشتقاتها فى احدى وأربعين آية من آيات الذكر الحكيم . قال تعالى : (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله) (٢) ، وقال تعالى : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله) (٣) ، وقال تعالى : (وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله) (٤) ، وقال تعالى : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) (٥) .

وقد فرض الاسلام على المتخلف عن الجهاد عقابا نفسيا فى الدنيا ، اذ يهجر المتخلف أهله حتى زوجه ، كما يهجره المسلمون جميعا ويقاطعونه ، وينظر اليه المجتمع الاسلامى نظرة احتقار وازدراء قال تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) (٦) .

ان عقاب المتخلف عن الجهاد فى الاسلام يقتصر عليه فقط ولا يشمل اهله وعشيرته ولا سكان قريته ، كما حدث فى القرن العشرين عند بعض الدول الكبرى اذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف وعشيرته وحتى بأهل قريته فى بعض الاحيان .

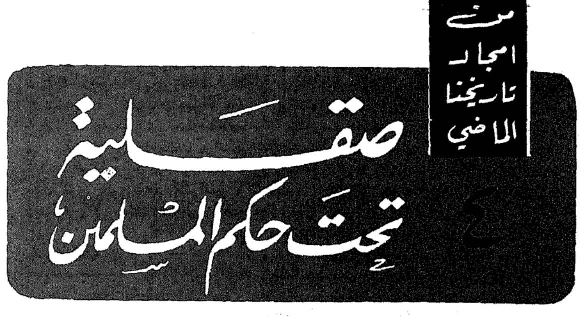
ويهمنا أن نعرف أن كثيرا من عوائل المتخلفين أبيدت عن بكرة أبيهم فى الدول التى طبقت الحرب الاجماعية خلال الحرب العالمية الثانية فى القرن العشرين .

أما فى الاسلام ، فقد عاقب المتخلف وحده عقابا نفسيا صارما ، فأين هذا العقاب الذى طبقه المسلمون على المتخلف فى القرن الأول الهجرى من هذا العقاب الذى طبقته ارقى الدول فى القرن الرابع عشر الهجرى ؟ .

لقد سبق الاسلام الأمم بتعاليمه العسكرية قرونا طويلة ، ولكن .. يا ليت قومى يعلمون !

---

(١) سورة التوبة (الآية ٢٥)
(٢) سورة الصف (الآية ١١)
(٣) سورة التوبة (الآية ٨٨)
(٤) سورة التوبة (الآية ٤١)
(٥) سورة النساء الآية ٩٥)
(٦) سورة التوبة (الآية ١٨)



للدكتور: زكي محمد غيث
رئيس قسم التاريخ بجامعة الأزهر

اصبح « الأغالبة » أصحاب صقلية منذ عام ٢١٦ هـ (٨٣١م) ، وصاروا سادة العاصمة الرومانية (بلرم) في الجزيرة . واتخذوها مركزا لامارتهم الجديدة ، واستمر حكمهم للجزيرة زهاء الثمانين عاما (٢١٦ ــ ٢٩٦هـ) (١) . قضوا منها نصف قرن فى الصراع مع الصقليين بالجزيرة ، وقوات القسطنطينية فى البر والبحر ، يتنازعون المدن والحصون والقلاع فيما بينهم ، حتى كتب النصر للأغالبة أخيرا .

وكان الأغالبة قد أخذوا ــ منذ وطئت اقدامهم ارض الجزيرة على التوالى ، وفى اثناء فترة هذا الصراع الطويل ــ يستقرون فى السهول الخصبة المحاطة بالجبال الشاهقة ، وينزلون فيما يفتحونه من مدن وحصون ، واقاموا بناء امارتهم الجديدة فيها ، وعنوا بادارتها وتنظيمها وترتيب شئونها ، فاستقامت لهم الأحوال ، ونجحوا فى تأسيس نظام ادارى ومالى بالجزيرة ، التزمه كل من اتى بعدهم حتى (النورمان) المسيحيون .

مع الفاطميين

ثم انتقل حكم الجزيرة من بعد الأغالبة الى أيدى الفاطميين سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) واصبحت صقلية جزءا من ممتلكات دولتهم التى اسسها المهدى فى شمال افريقية ، فأخذوا يرسلون اليها الولاة من قبلهم ، ولكن حدث بعد أربع سنوات من حكمهم أن أعلن مسلمو صقلية بزعامة « أحمد بن قرهب » انفصالهم عن الفاطميين سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) وخطبوا يوم الجمعة للخليفة العباسى

(١) بدأ غزو صقلية سنة ٢١٢هـ (٨٢٧م) ولكن بسقوط (بلرم) مكن للمسلمين فى الجزيرة واصبح الفتح حقيقيا ، وملك الأغالبة الجزيرة من يومها حتى قضى الفاطميون عليهم سنة ٢٩٦هـ ، وورثوا املاكهم فى البر والبحر بما فيها جزيرة صقلية .

المقتدر (٢٩٥ ــ ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ ــ ٩٣٢م) ، ثم عادت الى الطاعة فى سنة ٣٠٤ هـ (٩١٧م) ، واستأنف الفاطميون ارسال الولاة اليها من جديد ، وقد ظلت صقلية طوال الأربعين السنة الأولى من الحكم الفاطمى مثار فتن وقلاقل ، استنفدت من الدولة مجهودا كبيرا ، وكلفتها من الأموال والرجال شيئا كثيرا ، وصارت الحياة السياسية خلالها قلقة وغير مستقرة ، والحالة الداخلية غير مرضية ، ومع ذلك كانت مراسم الملك تجرى عليها ، فيأتيها الولاة ، والقضاة ، ويقوم الولاة بواجبهم الأول من الغزو والفتح ، ثم يرتبون حكام الأقاليم ونوابهم ، ويشرفون على تنفيذ القوانين والأحكام ، ويتولون جمع الضرائب والجزية ، وينظرون فى أوجه الدخل والصرف .

مع الكلبيين

وفى سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧م) عين الخليفة المنصور العلوى واليا على الجزيرة هو القائد : « الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى » فوضع أساس حكومة قوية مستقلة ، واعاد بحسن سياسته ، وجميل صنعه حياة الأمن والاستقرار فى الجزيرة ، وعلى عهده وعهد خلفائه من بعده نمت الحياة فى جميع مرافقها وازدهرت حتى بلغت غاية الكمال على عهد الأمير الكلبى : ابى الفتوح يوسف بن عبد الله (٣٧٩ ــ ٣٨٨هـ) وبذرت بذور الثقافة العربية ، ونمت فى تلك الجزيرة المتعددة اللغات والأجناس ، واعتبر عصر (أسرة الكلبيين) فى صقلية « العصر الاسلامى الذهبى لها » لأنها تمتعت فيه بما لم تتمتع به فى أى عصر اسلامى آخر .

وقد استمرت جموع المسلمين تفد على الجزيزة الغنية منذ الفتح حاملة معها دينا جديدا ، ولغة جديدة ، وتقاليد وعادات جديدة ، كان لها بحكم ما لأهلها من سلطان وسيادة ذيوع وانتشار فى المجتمع الصقلى ، ومع ذلك لم تختف المسيحية ، ولا اللغة اللاتينية أو اللغة اليونانية بتاتا ، وظلت الكنائس والأديرة تجاور المساجد ، وتقام فيها الشعائر الدينية ، وبقيت اللغة اللاتينية ، ثم اللغة اليونانية مستعملة فى الجزيرة بجانب اللغة العربية .

وأدخلت هذه الهجرة كذلك دما جديدا ، كما حمل المهاجرون معهم وسائل جديدة فى الزراعة والصناعة ، كان لها أثرها فى رخاء الجزيرة ونمو ثروتها ، وقد نشأ حينئذ مجتمع جديد فى ظل حكومة اسلامية جديدة على رأسها وال يحكم باسم حكومة افريقية المركزية .

مجتمع الجزيرة

طبقت فى الجزيرة نظم الحكم السائدة فى الولايات الأخرى التابعة للحكومة المركزية بافريقية ، سواء من الناحية السياسية ، أو الادارية ، أو التشريعية ، غير أن صقلية كان لها مجتمعها الخاص ، اذ كان المجتمع الصقلى على عهد المسلمين يتألف من أجناس مختلفة ، وطبقات متعددة ، فقد وفد المسلمون على الجزيرة فوجدوا فيها أقلية من الفينيقيين ، الذين امتزجوا بالعناصر الأخرى، كما وجدوا الرومان اللاتين ، واليونان أو الروم البيزنطيين ،

كما وجدوا اليهود ، ثم الرقيق الذين استوطنوا الجزيرة منذ أزمان بعيدة ، أمـــا المسلمون الفاتحون فقد كانوا خليطا من العرب والبربر من قبائل مختلفة ، بينهم عدد من الموالى الفرس ، وكان المسلمون العنصر الغالب فى المجتمع الصقلى بما انضم اليهم من الموالى الصقليين ، ومن الأرقاء الذين اعتنقوا الاسلام ، وقد مصر المسلمون الفاتحون الحواضر وسكنوها ، وكانت لهم يد فى الســــياسة والصناعة والتجارة ، فوق ثقافتهم العربية التى نمت وازدهرت فى الجزيرة على أيامهم ، واستمرت بعد انقراض دولتهم .

وكان بطبيعة الحال يقف على رأس السلم الاجتماعى الوالى وأهل بيتـــه وحاشيتهم ، ويقف الى جانبهم كبار الموظفين من حكام الأقاليم ونوابهم ، وقواد الجند ، والقضاة ، وكان هؤلاء جميعا يعيشون غالبا فى سعة ورغد من العيش لهم الثروة والجاه ، والسلطان ، واليد الطولى ، والكلمة النافذة بعد الأمير ، أما اتباع هؤلاء فيكونون الطبقة الأولى فى المجتمع ، ويمكن أن يضاف اليهم الجنـــد والحرس .

أما جمهور الشعب أو العامة فكان يتكون من طبقتين : عليا تقترب مـــن الطبقة الأرستقراطية الأولى ، وتضم رجال الأدب والفنون ، والعلماء ، والعمال والتجار ، وأرباب الحرف والصناعات .

وطبقة دنيا تكون أغلبية الشعب ، وتضم الزراع ، والرعاة ، وأهل الريف الذين كانوا يمثلون فى الأصل السكان الوطنيين ، وصاروا الآن موالى مسلمين ، وأهل ذمة من المسيحيين واليهود ، وكان أهل الذمة يتمتعون على عهد المسلمين بقسط وافر من الحرية ، والتسامح الدينى ، كما كانـــوا يحتفظون بقوانينهـــم الدينية والمدنية ، ويشتركون مع المسلمين على قدم المساواة فى الاحتفـــالات العامة ومعهم أعلامهم الخاصة بهم ، ويظهر قساوستهم وأحبارهم بملابســـهم المزركشة . (١)

وفى أسفل درجات السلم الاجتماعى كانت تقف طبقة الرقيق الذين كانوا يستخدمون فى فلاحة الأرض والخدمة الخاصة ، وهذه الطبقة وان لم يكن لها من الحقوق ما يجعلها فى مستوى الطبقات السابقة ، الا أن الرقيق فى صقلية تحت الحكم الاسلامى كان أحسن حالا بكثير من السكان الايطاليين فى شبـــه الجزيرة تحت حكم اللمباردو الفرنجة(٢) .

وكان بالجزيرة سوق رائجة لتجارة الرقيق الذين يقبل على شرائهم الأغنياء وهم من أسرى الحرب ، أو من الأجناس السلافية (الصقالبة) الذين كان يجلبهم

---

(١) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، هذا اذا استثنينا فترة وجيزة سرت فيها موجة اضطهاد لأهل الذمة فى دولة الخلافة العباسية والامـــارات التابعة لها زمـــن الخليفة العباسى المتوكل منذ سنة ٢٢٥هـ (٨٤٩م) ووصلت صقلية التى كانت تابعة للعباسيين اذ ذلـــك ففرضت عليهم تلك القيود كسائر الولايات الاخرى ، وقد أورد الطبرى فى تاريخه ج ١١ ، ص ٣٦ — ٣٨ ، وابن الأثير فى تاريخه ج ٥ ص ٢٨٥ صورة للقيود التى فرضها المتوكل على أهل الذمـــة ، حيث منعوا من حمل السلاح ، وركوب الخيل ، وعدم تشييد مبان تعلو على ابنية المســـلمين أو تساويها ، وتمييز دورهم بعلامات خاصة .. الخ ولم تكن تلك سياسة خاصة بأهل الذمة فى صقلية بل عمتهم وعمت غيرهم فى سائر أرجاء دولة الخلافة العباسية .

(٢) جاكسون (صقلية) : ف ٣ .

التجار للبيع والشراء ، ولم يكد يتم فتح الجزيرة حتى اعتنق الأرقاء الخلص الاسلام ، وانتشر الاسلام بين باقي السكان حتى أصبحت الغالبية الساحقة من السكان مسلمين ، فغربى الجزيرة ، ووسطها كله مسلمون ، وكذلك معظم الاجزاء الشرقية[1] .

ومع أن الاسلام قد كسر من حدة النعرة الجنسية ، واضعف من نظام الطبقات الاجتماعية الا انا لا نستطيع ان ننكر ما كان يقوم فى المجتمع الصقلى من منافسات ، كانت تصل فى معظم الأحيان الى اسالة الدماء ، والتى كان سببها فى الغالب العداوة الجنسية بين العرب والبربر !! والعصبية القبلية بين العرب انفسهم !! والحسد للدولة الحاكمة نفسها ، وبسبب الفروق الواضحة بين الفاتحين عامة وبين الموالى من الصقليين مما كان يسبب قيام الثورات والفتن ضد الحكام فى الجزيرة ، بل وضد الحكومة المركزية بافريقية !

داء العصبية

وكان من اخطر الظواهر الاجتماعية شعور العناصر العربية بأنها اسمى هذه الأجناس كلها حتى اخوانهم من البربر الذين شاركوهم الفتح ، وأقاموا معهم بناء هذه الامارة الجديدة ، وكان يقوى هذا الشعور عند العرب اعتماد الحكام والولاة عليهم فى غالب الأحوال ، ولعل الذى حمل الحكام والولاة على ذلك هو ما كانوا يرونه فى البربر والموالى الصقليين من الطاعة الزائفة لالتماس مأرب ، او تحين فرصة ، وكانت تقوم بسبب ذلك الفتن والثورات فى كل حين ، ولم ينس العرب ابدا ارستقراطيتهم وسموهم عن سائر الأجناس حتى كانت النتيجة الحتمية اخيرا ، وهى : « تقويض سلطان المسلمين السياسى فى الجزيرة على يد النورمان » .

الحالة الاقتصادية

وكما كان لصقلية مجتمعها الخاص ، كذلك كان لها ظروفها الاقتصادية والمالية الخاصة ، فان الحالة الاقتصادية والمالية فى الجزيرة كانت داعية الى التفاؤل لأول عهد الحكومة الاسلامية ، فمع أن الحروب والفتن والثورات من شأنها عرقلة سير الحركة الاقتصادية ، والتأثير فى الحالة المالية ، الا انها لم تكن لتضربها ضررا يخشى منه قتل هذه الحركة ، أو فشلها على الأقل فى أثناء هذه الاضطرابات ، بل بالعكس رأيناها تزداد نموا ونشاطا واتساعا فى وسط هذا المعترك المشحون بحوادث الحرب والفتن ، واستطاعت الحكومة الاسلامية الأولى أن توجه معظم جهود أهل الجزيرة الى الانتاج العام فى الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى اذا استقرت الحياة السياسية فى الجزيرة على عهد الكلبيين ، رأينا الحالة الاقتصادية والمالية قد استقرت تبعا لذلك ، واخذت جهود كل الأجناس تتحد وتمتزج بعضها ببعض فتتشكل بعد ذلك فى صورة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦١٠ ، وشارل دييل (بالرموسيراكيوز) ص ٩٥ ، وجاكسون (صقلية) ف ٢ .

خاصة عليها سمات الأجناس ، وملامح الشرق والغرب ، فعمد الناس الى الزراعة والصناعة فأحيوها ، وأدخل العرب فى الجزيرة أصنافا من النباتات وانواعا من الأشجار جديدة فنقلوا اليها شجيرات القطن من الشام ، وقصب السكر من طرابلس الغرب ، وادخلوا فيها أنواعا جديدة من أشجار الزيتون ، ونبات البردى الذى لم ير (ابن حوقل) له مثيلا الا فى مصر ، وجلبوا اليها غير ذلك من النباتات المفيدة التى نقلت من اليمن ووادى الفرات ، وشمالى افريقية ، كشجر الصنوبر ، والفستق ، واللوز ، والبندق . (١)

وقد أصلح المسلمون فى الجزيرة نظام الرى بما كفل زيادة الانتاج الزراعى الى حد كبير ، فأقاموا المجارى ، وعلموا الناس عمل القنى ذات الأنابيب العقف (السيفونات) وكانت غير معروفة قبلهم ، ورفعوا المياه من الآبار ، بما أقاموه عليها من النواعير (السواقى) ، ونهضوا بالزراعة والفلاحة نهضة مباركة ، كان لها أثرها العظيم فى زيادة الحاصلات وتعدد أنواعها ، واقبال الناس على فلاحة الأرض لاخراج كنوزها . (٢)

وقد عدنوا المناجم فى الجزيرة ، وفيها الذهب ، والفضة ، والنحاس ، والحديد ، والزئبق ، والرصاص ، والكبريت ، والملح ، والكحل ، والنوشادر ، والشب ، وزيت النفط .. واستعملوا أنواع الرخام والصوان فى المبانى(٣) ؛

واعتنوا بتربية الماشية من الخيول ، والبغال ، والحمير ، والبقر ، والغنم عناية فائقة ، وكانت تعد منها مقادير عظيمة للتصدير الى ايطاليا والاندلس ، وكان المسلمون مهرة فى حفظ الأسماك بالتمليح وغير ذلك من الوسائل ، وكانت هذه الثروة الحيوانية مصدر رخاء ، وعاملا كبيرا من عوامل تدعيم المركز المالى والاقتصادى فى الجزيرة بجانب الصناعات الأخرى والزراعة والتجارة .
وقد كانت التجارة قبل العرب ضيقة النطاق ، قليلة الأهمية فى هذه الجزيرة ، فأصبحت على عهدهم متشعبة النواحى ، غزيرة المواد ، تحملها سفنهم الى ثغور أوربة فى ايطاليا الجنوبية ، والأندلس ، وتوزع فى داخلية البلاد ، فيعجب أهل أوربة بها ويقبلون عليها(٤) .

وثب الأهلون بالزراعة والصناعة والتجارة وثبة كأنما نشطوا من عقال ، فكثرت الأموال ، وفاضت الخيرات الى الحد الأقصى ، وافتن الناس فى ضروب الترف والنعيم ، واتساع العيش ، والتأنق فيه ، والتلون بأزهى الوانه ، فقد كان أمراء الكلبيين يعيشون فى قصور فخمة ، فى مدينتهم الزاهرة (بلرم) التى كان بها مقر الوالى ، وقاضى القضاة ، وديوان الحسبة ، ودار الصناعة وفى

---

(١) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، سيديو (خلاصة تاريخ العرب) ص ١٤٦ ، ولويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣ .

(٢) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ ــ ٦ (ومعجم البلدان لياقوت) ج ٥ ص ٣٧٤ (وحضارة العرب لغوستاف لوبون) ف ٧ ص ٣١٨ ، و (المدنية العربية فى الغرب للويجى رينالدى) ص ٢٠ .

(٣) ياقوت (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٧٤ ، والمكتبة الصقلية (آثار البلاد .. للقزوينى) ج ١ ص ١٤٢ ، وغوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، وسيديو (خلاصة تاريخ العرب) ص ١٤٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣

(٤) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، ولويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣

مينائها كان يربض أسطولها العظيم الذى طالما فتح به المسلمون الثغور الايطالية وغزو الجزر القريبة والبعيدة من صقلية . (١)
ولقد أعطانا صورة مشرقة ومشرفة عن مقدار عمارة الجزيرة ، وسعة رخائها . ورواج تجارتها ذلك الرحالة الشرقى (ابن حوقل) الذى زارها سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢ — ٩٧٣م) على عهد الأمير : أبى القاسم بن الحسن الكلبى (٣٥٩ — ٣٧٢هـ / ٩٦٩ — ٩٨٢م) فقد وصف الجزيرة بقوله : « واكثر ارضها مزرعة » ، كما انه يشير كذلك الى الحدائق الغناء ، والأسواق العامرة المحيطة (ببلرم) العاصمة ، ويصف نظام الرى الدقيق بواسطة المياه المجلوبة من الآبار . . . الخ . (٢)

ويعتبر وصف ابن حوقل للعاصمة (بلرم) لا اقدم وصف فحسب ، بل الوصف الوحيد الذى كتبه شاهد عيان من المسلمين ، فيقول : « وهى (بلرم) قصبة صقلية على نحر البحر من الشمال ، وهى خمس حارات محدودة غير متباينة ببعيد مسافة ، وان كانت حدودها ظاهرة » ، ويعدد هذه الحارات ، ويصفها ، ويذكر ما فيها من مساجد كثيرة ، وأسواق ، وما فيها من متاجر وصناعات ، ويدهش من كثرة المساجد فى الجزيرة ، وبخاصة فى العاصمة (بلرم) ويقول : « لم أر مثل هذه العدة فى بلد من البلدان الكبار على ضعف مساحتها ، ولا سمعت به الا ما يتذاكره أهل قرطبة » ، ويذكر أنه كان واقفا بجوار مسجد لأحد الفقهاء الأعيان فى (بلرم) فرأى من مسجده فى مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصره .

ثم اخذ يعدد رباطاتها على الساحل . . وذكر اخيرا أن فى المدينة (بلرم) اكثر من ثلاثمائة معلم فى مكاتبها لتعليم الناشئة ، وكان يعتبرهم القوم أشد الناس تقى ، واقربهم الى الله ، وأعلاهم قدرا(٣) .

لعل فيما قدمناه من مظاهر الحياة الاجتماعية ، والحالة الاقتصادية والمالية واستبحار العمران فى الجزيرة على عهد المسلمين ما يضع أمام القارىء صورة امارة عظيمة طموحة ، وشعب قوى البنيان ، كامل العدة ، بارز الحيوية ، ومجتمع منسجم يسوده الوئام والسلام الا فى بعض الفترات القصيرة ، كما تدلنا هذه الصورة أيضا على أن الحضارة فى صقلية على عهد المسلمين كانت من أزهى الحضارات الاسلامية المعاصرة لها ، وانها كانت المنار الذى يضىء الجانب الغربى من حوض البحر الأبيض المتوسط ، وتتلألأ انواره على سواحل أوربة الجنوبية والغربية بجانب الأندلس الينبوع الذى استقت منه أوربة أصول حضارتها الحديثة .

أما الحديث عن: « الثقافة العربية فى جزيرة صقلية » على عهد المسلمين فموعدنا به المقال القادم باذن الله تعالى .

---

(١) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ — ١٠ .
(٢) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ — ٦ ، و (معجم البلدان لياقوت) ج ٥ ص ٢٧٦ وهو ينقل عن المسالك والممالك لابن حوقل .
(٣) راجع نصوص ابن حوقل فى المكتبة الصقلية (المسالك والممالك) هـ ١ ص ٤ — ١٠ ، وياقوت (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، وهو ينقل المسالك والممالك لابن حوقل .

نظرة الإسلام إلى

الإنسان والكون

الأسس والآثار الحضارية في الإسلام

للدكتور : مازن المبارك
جامعة الرياض

بين المادة والروح

لقد أتى على الانسان حين من الدهر ، ظن فيه أن بلوغ الكمال في الحياة ، لا يكون الا عن طريق الرقى المادى ، فانطلق فى ميدان المادة ، كما ينطلق وحش الغابة ، حتي وصل الى القمر او كاد ، وحقق فى ذلك نصرا لا ينكر ، ولكنه نسى فى غمرة انطلاقته المادية جانب الحياة الآخر ، انه أهمل الجانب الروحى ، فاذا هو قوى فى جسمه ، منتصر بمادته ، متخلف فى روحه ، ضعيف فى خلقه .

وقد ادرك عقلاء العالم اليوم ، أن الطريق المادى ليس كافيا وحده لبلوغ الانسانية درجة الكمال ، وأن رقى الانسان المادى لم ينقذ العالم من الويلات التى تزداد يوما بعد يوم ، فالاستعمار والحروب . والثورات وسحق القوى للضعيف ، والتعصب العنصرى .. كل ذلك اخذ يزداد مع الايام ، ومع ازدياد الرقى المادى !! بل ان الرقى المادى لم يكن فى هذه المعارك الظالمة على الحياد ، وانما كان على العكس سلاحا للفتك والدمار فى ايدى الظالمين .

ان العالم اليوم اشبه بمدرب عنى بتدريب انسان « أحمق » حتى اصبح عملاقا قوى العضلات ، ثم سلحه بالحديد والنار ، واطلقه ليعيث فى الارض فسادا ، وليس فى قلبه رادع من ضمير ، وليس فى عقله غاية غير منفعته الخاصة .

والانسان مخلوق من طين وروح ، ولا بد لرقيه من العناية بعنصريه جميعا ، ولذلك كان للاسلام وكشفه عن حقيقة خلق الانسان فضل فى تغيير نظرة العالم الى علاقة الجسد بالروح ، فلم يعد هناك جسد ينطلق يائسا من

وجود حياة روحية فماذا هو آلة مادية ، ولم تعد هنالك روح تتنكر للجسد ، وتزعم أن رقيها لا يكون الا باهماله ، وطهارتها لا تتحقق الا بتعذيبه .

لقد اصبح واضحا أن الجسم مستقر مؤقت للروح ، وزالت تلك الاوهام القائمة على افتراض العداء بينهما ، فالجسم مخلوق فى أحسن تقويم لا ليهان ويحتقر ويعذب ، ولكن ليقوى ويحقق وجوه نشاطاته بما فيها اللذة الحلال . وبذلك يكون الجسم أقوى على مسايرة الروح فى انطلاقتها ، لأنها انما تحقق نشاطها أولا فى اطاره .

وليست الدنيا فى نظر الاسلام مباءة ، على المرء ان يفر منها ، وليست طيباتها مكروهة ، وانما الدنيا دار امتحان ، وعلى المرء أن يجد فيها ويكدح ، وان يتعاون فيها مع بنى جنسه فى كل ميدان ، ليحقق فى الحياة الدنيا عمارا ورقيا وازدهارا ، وليقرب هذه الحياة من المثل الاعلى فى الحق والخير والجمال .

ان الجانب الروحى والخلقى فى حياة الانسان ذو أثر بعيد وهام فى أمن الانسان ورفاهه ، بل ان بعض العلماء ليرى ان اهمية هذا الجانب تفوق أهمية المعرفة العلمية التى تتوخى سيطرة الانسان على الطبيعة ، لأن العالم اليوم يعانى ازمة خلقية ودينية ، اكثر مما يعانى من التخلف العلمى ! انه ليعانى من كيفية استثمار نتائج العلم أكثر مما يعانى فى الوصول الى تلك النتائج[1] .

الاسلام دين واقعى

ولقد كان الاسلام هو المذهب الوحيد الذى ادرك حاجة الانسان الى الرقى الروحى والمادى فى وقت واحد فجمع بين الامرين وقرن بينهما من غير افراط ولا تفريط ، انه لم يجعل الكون المادى غاية ، كما هو الامر عند الماديين ، ولم يتناس الطبيعة ، أو يتنكر للجسد ، كما هو شأن الروحيين ، وانما كان واقعيا معتدلا يعترف بالمادة ، فلا يغلو الى درجة جعلها غاية ، ويعترف بالروح اعترافا لا يعنى انها اهلاك للجسد .

ان الاسلام الذى كشف القناع عن خلق الانسان من طين ليعترف للانسان بغرائزه ، فى الوقت الذى يحتم فيه اتباع الطريق الذى رسمه للتنفيس عنها ، ثم هو بعد ذلك — تمشيا مع عنصر الروح فى خلق الانسان — ينظر الى ابعد من الكون المادى ، ويجعل الغاية اسمى من أن تقف عنده ، ان الكون المادى مسخر للانسان ، ولكن غاية الانسان تتعدى هذا الكون .

نعم ان الدنيا لك ايها الانسان ، ولكنك انبت للآخرة ، فتمتع من الاولى وهيىء نفسك للثانية (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)[2] .

بل لقد جمع القرآن ما فى الاكل والشرب وطيبات الرزق والزينة من مادة الى ما فى العبادة من جانب روحى فقال « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق »[3] وامرنا أن يكون دعاؤنا شاملا لحسنتى

---

(١) انظر كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » .

(٢) سورة القصص .

(٣) سورة الاعراف .

الدنيا والآخرة فقال « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق(١) ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »(٢) .

فالاسلام — اذن — لم يتنكر للدنيا ، ولم يحرم التمتع بالرزق الطيب . والزينة التى أخرج الله لعباده ، ولكنه من ناحية ثانية حذر من أن يركن الانسان الى الدنيا ، ويغرق فى لذاذاتها . ويغتر بها ، وينسى أنها فانية .. انه حذر الانسان من أن تكون دنياه حجابا دون الآخرة ، وكثيرا ما لفت نظره الى سرعة زوال الدنيا ونعيمها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا »(٣) . « من كان يريد الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون .. »(٤) وذلك لأنكم « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة »(٥) « بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى »(٦) .

وعلى هذه الصورة جمع الاسلام بين الروح والمادة ، وقرن بين الدنيا والآخرة ، فكانت صورة رائعة لا نظير لها فى أى دين أو مذهب آخر ، ان عمار الدنيا واتقان الصناعة والتوسع فى العلوم امور حض الاسلام عليها ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يجعلها غاية نهائية ، يقف الانسان عندها ، وينتهى طموحه لديها ، وانما جعل الغاية وراء ذلك سموا وعلوا ، ودعا الانسان الى الرقى ، ليصل الى ما يستطيع من مشارف تلك الحياة السامية الخالدة .

الأسس والآثار الحضارية فى الاسلام

ولنقف الآن عند نظرة الاسلام العامة الى الكون والى الانسان لنرى ما فيها من أسس صالحة لبناء الحضارة ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان اثرها البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها اثرها فى تطور حياة الانسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد كان من أبرز خصائص هذه النظرة الاسلامية أنها ارست للحضارة أسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال ، وأنها نظرة واقعية تحققت فى عالم الواقع لا فى أوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين ، فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

---

(١) أى نصيب ..
(٢) سورة البقرة ..
(٣) سورة الكهف ..
(٤) سورة هود ..
(٥) سورة الانفال ..
(٦) سورة الاعلى ..

١ ـــ ففي مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة اسس :

اولا : ان للفرد حرية تكفل له نشاطه ، ولا تصل الى حد الاضرار بمصلحة غيره .
وثانيها : انها ايقظت في نفس الانســـان ضميره . فأصبح له من نفسه حارس عليه .
وثالثها : انها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .

اما الاساس الاول : وهو ان تترك للانسان حرية لا تضيق حتى تشـــل حركته ، وتقتل موهبته . ولا تتسع حتى تطغى على مصالح الآخرين ، ففيه حل لمشكلة من ابرز مشاكل المجتمعات البشرية التى يدور فيها اليوم صراع شـــديد بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد انه اذا اردنا ان نحفظ على الانسان انسانيته ، وعلى المرء مروءته ، فلا بد ان نتركه حرا ينطلق في تحقيق مواهبه ، واستثمار كفاءاته ، ليتنافس الافراد في تقديم الخير لأنفسهم ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس في ظل الاسلام وتحت اشرافه ، الا تنافسا خيرا ، يرعى حقوق الفرد ، وحقوق الجماعة .

ونحن نستطيع أن نطبق هذا المبدأ القائم على الحرية المعتدلة في كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه في ميـــدان الفكر ، كما نطبقه في ميـــدان الاقتصـــاد ، وذلك بأن نترك للأفراد أن يفكروا كيف يشـــاؤون ، وأن يكتبوا ما يشاؤون ، على الا يكون في شيء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها . ولقد كانت لهذا المنهج الحكيم ثمراته الخيرة في تاريخ حضارتنا . يوم طبق فلم يشل حركة الفكر ، بل هيأ للعالم علماء أفذاذا ، كابن سينا ، والغزالي ، وابن رشد ، وغيرهم ، ممن قال عنهم علماء الغرب : انهم ظلوا اساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قال غرونباوم « ليس ثمـــة ميدان من ميـــادين الخبرة الانسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ، ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيـــه غنى » .

وأما الاساس الثاني : وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالاساس الاول ، اذ قد يجنح بعض الافراد أو ينحرفون ، تستعبدهم شهوة الكسب او شهوة الشهرة ، فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة ، كاحتكار القوت ، او يسيئون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة .. فكان لا بد لهؤلاء واولئك من رادع ورقيب . فكان الاســاس الثاني لذلك قائما على ايجاد ذلك الرادع وايقاظه دائما ليكون حارسا أمينا ، او صمام أمان ، يحرص المسلم على بقائه نقيا طاهرا يقظا ، لأن الله سبحانه مطلع عليه ، وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى .

واما اذا صدىء هذا الضمير ، أو قصر في واجبـــه ، فان الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ، ليحفظ حقوق الجماعة من المنحرفين ، ويعيـــد الى المجتمع توازنه المطلوب .

وأما الاساس الثالث ، وهو تحرير الانسان من عبودية الانسان ، أيا كان ، وربطه مباشرة بالله الخالق القوي ، فقد كان ذا آثار بعيدة في الحياة الانسانية من اقربها انه انقذها من حياة الفوضى والقلق ، تلك التى كانت تعيشها ، واوجد

فيها سكينة وطمأنينة أتاحت لها فرصة العمل المثمر ، والانتـــاج النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قوة كبرى تفزع اليه عند الملمات « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين » .

ولقد قرر العلماء أن الايمان بالله هو الدواء الناجع الوحيد للتخلص من القلق والاضـــطراب النفسى ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هـــذا الجانب الروحى ، وبيان قيمته فى العلاج النفسى . وحسبك ان تقرأ كتاب (دع القلق وابدأ الحيـــاة) « لديل كارلنجى » (وكتاب العودة الى الايمـــان) « لموريس كريسون » . . فكارلنجى يقول **« ان أطباء النفس يدركون أن الايمـــان القوى والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبى »** ويقول الدكتور بريل **« ان المرء المتدين حقا لا يعانى قط مرضا نفسيا »** .

والحقيقة أنه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، واصغت الى ضميرها ، وراقبت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناءة فى ميدان الخير ، تعمل لنفسها ولمجتمعها وللانسانية جميعا . هـــذا الى جانب ما لصلة الانسان بربه من أثر فى رفعة الخلق وسمو الغاية .

فى الحيـــاة الاجتماعية

٢ — **وفى مجال الحياة الاجتماعية** ، وضع الاسلام التكافل الاجتمـــاعى اساسا يقوم عليه المجتمع ، وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات ، أو اعانة الفقراء ، وانمـــا يمتد ويعم حتى يشمل ميـــدان الصناعات ، وذلك أن الاسلام أوجب على المجتمع الاسلامى أن يكفى نفسه ، فان خلا مجتمع أو بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون ، فكل أهل البلد آثمون ، ومعنى ذلك أن على المسلمين اليوم أن يسهموا فى كل ميادين الصناعة مثلا — من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم ابناؤه الاعبـــاء والمغانم . وانما جعله أسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم ، تلك المثل التى يفتقدها عالم اليوم ، وواضح أن هذا الشعور العاطفى لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثـــالا للنظرة الموضوعية الاسلامية فى دراسة المجتمعات البشرية .

فى ميدان الانســـانية

٣ — **وأما فى ميدان الانسانية عامة** ، فكان الاســاس الذى ارســاه الاسلام ان البشر جميعا من اصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متســاوون ، لا يفرق بينهم نسب ، ولا لغة ، ولا لون ، ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم وأممهم ونسائهم . . مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية أن التقت لأول مرة فى تاريخ الانســـانية امم وشعوب ، تعاونت على بناء العالم ، ورقى حضارته ، رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من أثر هذه النظرة ايضا أن فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم اجمع ، فتمتعت بها اقوام وامم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

فى ميـــدان العلم

٤ ــ **وفى ميدان العلم** قامت نظرة الاســـلام على أساسين : ايمـــانى وتجريبى .

أما الايمانى فخاص بما اخبر به الله تعالى . وما تنزل به الوحى ، وليس للمسلم الا أن يقبل ويسلم . وقد أخبر الله تعالى أنه قد تمت الرسالة وانتهى الوحى ، وختمت النبوات .

واما العلم التجريبى فهو الذى لفت القرآن اليه اذهان الناس ، وحثهم على البحث فيه ، واخضاعه للتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم ، وقد رأينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر فى الآيات الكونية ؛ فكان صوته أول نداء مزق فى العالم حجب الوهم والخرافة ؛ ودعا الانسـان الى اكتشـاف قوانين الكون ومعرفة أسراره .

وكان من اثر هذه النظرة ان نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر ؛ الى مرحلة العلم والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية ؛ وعرف النابغين من العلماء ، كالبيرونى ؛ وابن الهيثم ، والجاحظ ، والرازى .. وغيرهم ممن كانوا اساتذة العالم فى الطب والفلك والـسكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضـــارة الاسلامية عصر العلم والعلماء(١) .

ولقد اثبت الاسلام ــ كما يقول غوستاف لوبون ــ **انه من اكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم** ، بل ان لوبون يصرح : **بان المناهج العلمية الحديثة مدينة للمسلمين وحدهم بالفضل الاول** فيقول : (يعزى الى بيكون على العموم انه أول من اقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الاستاذ ؛ ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم ..) وهو يعنى المسلمين .

ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الذين يؤيدون رأيه هذا ، ثم يقول : (قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، واختبروا الامور وجربوها ، وكانوا أول من أدرك هذا المنهاج فى العالم ؛ وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا) (٢) .

فى ميـــدان الســـلام

٥ ــ **واخيرا ارسى الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام** ، فالاسـلام والسلم والسلام من اصل لغوى واحد ؛ والله تبارك وتعالى هو السـلام . ولقد بلغ من حرص الاسـلام على السـلام ان اتخذه شـعارا له ؛ فكان أول ما يذكر فى اللقاء بين مسلمين ؛ بل كان هو شـعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم (تحيتهم يوم يلقونه سـلام) .

والحق أن الاسلام منح السلام للعقل الانسـانى الذى كان قلقا يبحث عن الخالق وأسرار الكون ؛ فلا يهتدى ؛ ومنح السلام للنفس الانسانية التى كانت مضطربة تعتقد أنها فى حرب دائمة مع الآلهة والارواح الشريرة ؛ فهى دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها ، فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن بإله واحد ، وهو إله يحبها ويفرح باهتدائها ، ويدعوها لإنهاء الخصومة ، والاستسلام له أو الاسلام له « وانيبوا الى ربكم واسلموا له » (سورة الزمر) . « ومن

---

(١) انظر الحضارة الاسلامية لغرونباوم ص (٣٠٩) .

(٢) انظر كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون ص (١٢٦) و (٤٢٥ــ٤٢٧) .

احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن » (سورة النساء) . ومتى وجد السلام فى النفس والعقل ، ومتى وجد فى الارض بين بنى البشر . فقد وجد الاستقرار ، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

قوة تحرس السـلام

٦ ـ على ان الاسلام لم يترك فكرة السلام مجرد دعوة او مجرد فكرة قد تضعف او تعصف بها شهوات النفوس الجانحة ، وانما دعمها بالقوة تحرسها ، وتسهر على تحقيقها . انه يؤثر السلام « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ولكنه يدعو الى أن تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق ، وتنتصر له ، فامر باعداد القوة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وامر بقتال الفئة الباغية « فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله » .

وهكذا هيأ الاسلام العالم للحضارة اذ أوجد لها ظروفها الملائمة ، واية ظروف اجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقـل البشرى الى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير ، وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتأمين السلام ؟؟

واى دليل اصدق على ملاءمة هذه الظروف من دليل الواقع الحى الذى يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادىء الاسلامية بالنجاح الواقعى ، وشهد انه بفضلها اخصبت الحيـاة وازدهرت فى ميـادين التجارة والصناعة والزراعة والعمران ، ويكفى أن نتذكر ما كانت عليه عواصم العالم الاسلامى ـ يوم سادت تلك المبادىء ـ من تقدم ، وما بلغت الحياة فيها من رقى ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليشهد ان تلك الاسس وهذه الآثار الحضارية ليست شـيئا يزينه الوهم او يبدعه الخيال ، كما هو الامر فى أكثر الدعوات ، وما تزخرفه للناس او تغرى به السذج ، وانما هى اسس عرفها واقع الحياة الاسلامية ، وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال (**لم يفتح الاسلام العالم ولكنه غزاه بحضارته**) (١) وكان منهم من قال (**الحق أن اتباع محمد ظلوا اشد من عرفته أوروبا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وانهم كانوا عندما لا يرهبوننـا باسلحتهم ـ كما فى زمن الحروب الصليبية ـ كانوا يذلوننا بافضلية حضارتهم الساحقة**) (٢) وقال (**أن للحضارة الاسلامية تاثيرا عظيما فى العالم . وان أوروبا مدينة بحضـارتها للعرب**) (٣) .

ونختتم بحثنا هذا بالتأكيد على أن هذه الاسس التى وضعها الاسـلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها اسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية . فهى تمتاز :

اولا : **بالنزعة الانسانية** التى لا تعرف حدود الارض او القوم او اللغة ، ولا تقبل تفرقة للجنس او اللون أو غيرهما من العصبيات .

---

(١) الحضارة الاسلامية لغرونباوم .

(٢) حضارة العرب لغوستاف لوبون (٥٧٧) .

(٣) انظر حضارة العرب،ص (١٧٦) وما بعدها .

ثانيا : **بالبساطة** وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : **بالشمول** لجميع جوانب الحياة التى تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : **يمتاز الجانب الاخلاقي فيها بشمول رائع** للفرد والجماعة والدولة . فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا أن يكذب أو يخدع أو يخون أو يعتدى من أجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفاسد من الجماعة أو الدولة من أجل القوم أو الوطن أو سياسة الدولة . .

وبعـــد ..

فان الحضارة الاســلامية ذات أساس ايمانى . لأن الايمـــان بالله هو الاساس الاول الذى ترتكز اليه — وهو ايمان يحرسها ، ويجنبها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهى حضارة تنبعث كما رأينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التى تعطى كل شيء فى الحياة نصيبه ، وتضع كل شيء موضعه ، فللايمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليفان يساعد أحدهما الآخر ، ولا يطغى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطغى فيها العبادة حتى تشل العمل أو تعيق الانتاج .

نظـــام شـــامل

على أنه يجدر بنا أن نشير الى أن الاسلام نظام شامل ، وانه اذا أردنا له أن يقيم نظاما حضاريا ، وان يؤتى ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الاسس التى نادى بها جميعا ، وانه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعضه الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك أن ندرك أنه ما من مذهب من مذاهب الارض ، ولا دين من أديان السماء جاء كالاسلام ، بانيا للحضارة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فاذا هو فى حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها فى الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو فى نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ، ويحضه على الاتقان فيه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك أمر للانسان بالعمل الدائم ، وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة فى الارض .

هذا هو الاسلام وتلك هى نظرته ، فما أحوج عالمنا اليوم اليه والى نظرته ، لينظر من خلالها الى الكون والى الانســـان ، وليبنى على أساسها حضـــارته الجديدة .

ما أحوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلى العظيم . وما أحوجه الى النظرة الاسلامية ، التى تتفرد بأنها وحدها من بين أديان السماء ومذاهب الارض تجمع ما فى الدين من سمو روحى ، الى ما فى العقل من طموح علمى ، الى ما فى العمل من فعالية دائبة ، مستثمرة ذلك كله فى سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسالنى سائل بعد الذى ذكرت : اين هى اليوم اسس الاسلام فى حياة المسلمين ؟ ولا اين هى حضارة الاسلام فى واقع المسلمين ؟ فما أصدق من قال : ان الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .

واحات الروح

وخاطرة من سيرة الإمام علي

رضى الله عنه فى العلماء الزاهدين ، والحكام العادلين والمجاهدين الصابرين ، والمؤمنين الصادقين

للأستاذ : سعيد الأفغاني
كلية الآداب ـ جامعة دمشق

ما اقصر عمر الانسان ، سنوات معدودة عليه ان يقطعها الى نهايته فى مراحل ، كالعربى القديم يخرج من مكة على راحلته الى الشام ، مكابدا حر الشمس فى صحارى الجزيرة ، تسلمه مفازة الى مفازة ، يسير الليل ويقبع فى النهار ، لا جديد بين يدى سفره ، غير وهج الصخور ، وسعير الهواجر ، وبحار من الرمال عن يمين وشمال ، ثم كسر يابسة ، يتبلغ بها ، وصبابة من ماء يحرص على الا تنفد ، فيهلك هو وراحلته عطشا ، فاذا لمح فى طريقه الشاق الطويل مورد ماء او قليلا من ظل او نزرا من خضرة ، مال اليه ، كانه ظفر بجنة الخلد والنعيم المقيم ، يريح راحلته وبدنه من سفر مضن وعرق متصبب .

هذا حال الروح اليوم مع صاحبها الغارق فى عيشه المادى الكادح ، الطافح بالهموم والافراح والأحزان ، هى مسافر فى صحراء ، جائعة ظماى مكدودة ، على شفا المهالك ، اما اللحظات التى نصلها فيها بعالم المثل والفضائل ، فهى الواحات النضرة فى سفرها ، تروى فيه ظماها ، وتبعث نشاطها ، وتبل شوقها ، وترد حياتها ، وتشعر بالسعادة فتحلق فى عالمها العلوى .

وشهر ذى الحجة والمحرم واحة من واحات الروح ، تبلغها بعد احد عشر شهرا من سير حثيث جاهد ، فتجد عليها عالما آخر فى انتظارها ، تأنس به ، وتحن الى مباهجه : تخفيف من اعباء المادة ، بل هروب منها ، ورياضة النفس على شىء من هجر الراحة ومن وعثاء السفر ، واخذ البدن بشىء من الشظف والحرمان فى المطعم والمشرب والمبهج والمسكن والملبس ، ثم اقبال على الاتصال بالله

فى منازل وحيه ، ومهابط رحمته ، ليلا ونهارا ، يراقبه ويبتغى رضوانه فى مغداه ومراحه ، وبيعه وشرائه واخذه وعطائه . وهو ان صلى او قرا القرآن أو صام أو تهجد ، شعر فى قرارة نفسه باشراق لا يألفه فى غير هذه الأيام ايام الحج .

ثم حين يودع العام الراحل ، ويستقبل المحرم من عامه الجديد ، سائلا ربه خيره وخير ما فيه ، وعائذا من شره وشر ما فيه ، وان لم يكتب له حج وزيارة ، وجد كل شىء قد اعد حوله من وسائل الاعلام ليلائم الجو العلوى لهذه الأيام ، شأنه فى ذلك شأنه فى رمضان : محطات تتزود فيها الروح زادها من العام الى العام ومن هذا الزاد سير العظماء الصالحين ، الذين عاشوا على الأرض وكأنهم الملائكة طهرا ونزاهة وسموا ، ايثارا لخير الناس على النفس وهواها ، ولرضاء الله على رضا غيره ، وللآخرة على الأولى .

....

من هؤلاء العظماء الصالحين الصحابى الجليل ، احد العشرة المبشرين بالجنة ، وخاتمة الخلفاء الراشدين ، أول الناس اسلاما بعد السيدة خديجة ، وربيب النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته صغيرا ، واخوه كبيرا ، البطل الشجاع ، والفارس المغوار ، أبلغ الخطباء بعد النبى ، ومفزع الخلفاء فى الشورى والعلم والقضاء ، **امير المؤمنين على ابن أبى طالب .**

ومن ظن أنه يستطيع المرور ببعض مآثره فى صفحات ، فقد ظن جهلا ، ان ضخام المجلات لتضيق عن ذلك . والذى سنذكره فى هذه الأسطر خطرات عن الرجل ، الذى امتحنته الدنيا بكل مغرياتها ، فذلت مغرياته تحت قدميه ، ثم حطت عليه الدنيا بكل بلاياهاو مضايقاتها ، لتزيحه عن صلابته فى الحق ، فخسئت البلايا والمضايقات ولم يتزحزح ، وبقى على ابن ابى طالب معلما من اشمخ المعالم فى تاريخ الانسانية ، ومثلا أعلى للحاكمين ، الذين لا يعيشون لأنفسهم وانما يعيشون للخير العام ، والفضيلة الخالصة ، والمثل الرفيعة النبيلة ، هازئا بكل المرغبات والمرهبات ، التى تقوم اعذارا لكبار الرجال ، حين يميل فى أيديهم الميزان .

ومن قرأ التاريخ وكتب الطبقات وجد عليا فى الصف الأول من كل طبقة : فى مقدمة الفرسان الشجعان وفى طليعة المجاهدين القواد ، وعلى راس العلماء الزهاد ، وأول القضاة ، وفى المحدثين والمفسرين ، وفى البلغاء الخطباء ، وفى المتصدقين الأجواد .. انه امة فى رجل ، وليس هذا بكثير على ربيب النبوة فى منزل الوحى .

وخاطرة اليوم تحوم حول منقبته راعيا للأمة ، وأميرا للمؤمنين ، وكلنا راع ذو سلطان قل او كثر ، لكننا لا نملك من أنفسنا ما ملك من نفسه ، فاذا استطعنا ان نتمثل مواقفه ، كلما جمحت بنا الأهواء فاقتدينا به ما وسعنا الاقتداء ، كان هذا حسبنا نفعا وخيرا .

لم يكن لهوى النفس ولا لسكرة السلطان سبيل على هذا الراعى العظيم ، حتى فى المواقف العصيبة الدقيقة التى لا ينجو فيها العظماء من ضعفهم البشرى :

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، فطاشت العقول ، واخذت الناس غشية المصيبة ، كبارهم وصغارهم فى ذلك سواء ، حلماؤهم وضعفاؤهم ، ثم رجعوا الى انفسهم قليلا قليلا ،

وعرفوا أن لا بد من خليفة للرسول يقوم بأمر الناس ، والتفتت أذهان كثير من الصحابة الى على ، فلما بويع أبو بكر كان له على نعم المشير ، ونعم المعين ، ولم يأنف أن يكون جنديا في خلافة أبى بكر ، ولو كان لنفسه عليه سلطان كما نعهد فى المرشحين ، ودعا الى نفسه ، لوجد المؤيدين ، لكن عليا وعمر وعثمان وأبا بكر طبقة من البشر كبار النفوس ، قل أن يجود الزمان بمثلها .

ثم بايع الناس عمر ثم عثمان ، فخلص على النصح لهما ، ويبقى كعهده أمام أبى بكر حسن طاعة وسماحة وخلوص نصح ، وعرفوا له جميعا عظمة نفسه ، وأنه ركن من أركان المسلمين ، حتى حين تغلب على عثمان آخر حياته بطانة فى اخلاصها شك ، وجعلته يطرح رأى على ؛ ويأخذ برأيهم ، حتى فى ذلك الحين لم تأخذ عليا موجدة ما على عثمان ؛ واستمر على تقديم كل خير يطيقه .

ثم آلت الأمور — كما يعرف قراء التاريخ — من سىء الى أسوأ ، وحوصر عثمان ، وتألبت عليه زمر الشر ، فجرفت معها الصالح وغير الصالح ، ولم تخامر نفس على فى هذا الموقف نزوة ولا انتصار لرأيه ، بل عذر عثمان ، وهب ينافح عنه ، ويخفف من غلواء أهل الأمصار .

ولما بلغ السيل الزبى ، وغلب رأى بطانة السوء ، ترك ابنيه الحسن والحسين بسيوفهما على باب الدار — دار عثمان — يحميانها مع نفر من خيار الصحابة وأبناء المهاجرين والأنصار ، وحذرهما أن يخلص أحد من الغوغاء الى عثمان ، وفيهما عين تطرف .

ولكن الأشرار تجنبوا الباب ، وتسوروا جدارا لا حراس عليه ، ووقع القضاء بالخليفة الصابر الشهيد وهو يقرأ القرآن ، فلما بلغ عليا مقتله ، لم تسعه الأرض ، وأسرع الى الدار ، فلم يكن منه الا أن لطم ابنيه الحسن والحسين ، ظانا فيهما التقصير ، وهذا موقف يحسن أن يقف عنده طويلا زعماء الأمس واليوم ويتفهمونه حق التفهم ، حتى لا ينصروا نزواتهم وأهواءهم حين يختلفون ، وينسوا شعوبهم ومصائرها ، لقد كان أحوج الناس الى هذا الدرس زعماؤنا يوم نكبة فلسطين ، وهم الآن اليه أحوج .

ثم بويع على ، ولكن أية بيعة ؟ انها لم تكن كبيعة عمر وعثمان ، فقد آلت اليهما أحوال موافقة ، وسياسة رشيدة حازمة ، وأمر جميع ، وكلمة موحدة ، وأمة تناهض عدوها صفا واحدا ، وتسعى الى نشر رسالة واحدة ؛ وآلت الى على أحوال منتشرة ، وسياسة أفسدها بطانة السوء ، وأمر شتيت ، وكلمة متفرقة وأمة يناهض بعضها بعضا ، والعدو بها متربص .. فحمل الأعباء بعزم البطل المنفذ المؤمن بتأييد الله ، وشمر للاصلاح ، فغير الولاة الذين اضطرب الأمر على عهدهم ، وبدأ بأقواهم شكيمة وأكثرهم حزبا وناصرا : معاوية بن أبى سفيان والى الشام على عهد عمر وعثمان ، ونصح الناصحون عليا أن يبقيه سياسة ورفقا ، فأبى عليه يقينه وقوته فى الاصلاح . ومتى حسب أولو المبادىء والرسالات حسابا للسياسات ؟

خلع معاوية ، فشذ معاوية بالشام عن البيعة والجماعة ، فانشطر الصف الواحد ، ولم يكد على ينظر فى هذا الأمر حتى فوجىء بخرق أوسع : بأم المؤمنين عائشة وبطلحة والزبير وأهل البصرة ، وبعض أهل مصر ينسلون من البيعة له ، ويعلنون أن لا بيعة الا بعد الأخذ بثأر عثمان ، وكان هذا

المطلب اقرب الى التعجيز فى تلك الظروف ، فبذل على من نفسه اغلى ما يبذل مصلح مسئول ، واوشك الفريقان على الاتفاق ، بل قد اتفقا ، لكن الزمان آلى ان يجند على على كل المحن ، فبعث رءوس الشر فى العسكرين ينشبون القتال فى الظلام ، قبل ان يفرغ الفريقان ، لتنفيذ ما اتفقا عليه ، وظن كل من الفريقين الغدر بصاحبه ، وصاحبه برىء ، ووقعت الكارثة ، وانفرجت عن عشرة آلاف قتيل ، وانهزم أصحاب جمل عائشة !!

وفى الليل ، طاف على على الجرحى والقتلى من الفريقين : انصاره وخصومه ، فعاملهم جميعا المعاملة اللائقة بنبله ، وكرم نفسه وابوته ، وجعل يقول : « اللهم اغفر لنا ولهم » وامر بحمل جميع الجرحى والعناية بهم ، وحمل من الحزن على هؤلاء ما الله به عليم ، حتى كأنهم جميعا ابناؤه ، وانه ليشعر أنهم كذلك بحكم ولايته .

عاد على الى البصرة يتفقد الدور المكتظة بالجرحى من الداء خصومه ومحاربيه ، وتسمعه احدى نسوتهم فى دخوله وخروجه من الطعن والدعاء عليه ما يضيق به صدر الحليم ، فيتجاوز تجاوز النبلاء ، ويأمر بالاحسان والاكرام ، ويجهز السيدة عائشة زعيمة المعارضة اكرم جهاز الى المدينة ، ويعطيها ، ويصحبها فى سفرها الموكب الضخم تعظيما ، ويخاطب الناس فى وداعها فيقول :

« ايها الناس ، صدقت والله وبرت ، وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة » ثم يشيعها أميالا ويسرح بنيه معها فى موكبها الى المدينة .

اما الزعيمان الآخران طلحة والزبير فقد تقطع قلبه حسرة عليهما ؛ ولما رأى طلحة فى القتلى متعفرا ، جعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول : « أعزز على أبا محمد أن أراك متعفرا تحت نجوم السماء وبطون الأودية ، انا لله وانا اليه راجعون . والله انى لأرجو أن اكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » وصدق والله .

انصرف على بكل عزمه الى ما يصلح أمر الأمة ، لم يلن فى حق ، ولا جامل قريبا ولا اخا ، ولم يحتمل الناس ذلك ، فجفاه اخلص الأقارب والأصدقاء ، واحدا بعد واحد ، ادركهم ضعف البشر ونصرة الهوى ، فارقه ابن عمه واخلص نصحائه واقواهم ، عبد الله بن عباس ، وانحاز اخوه عقيل بن أبى طالب الى عدوه معاوية ، ثم انشق عليه الخوارج فحاربوه ، وهو ثابت كالجبال الرواسخ لا يغير من سيرته . وصلابته واقدامه قيد شعرة ، واخذ الناس ينفضون من حول الأمير الحارس الأمين ، الذى حرم نفسه راحتها ، ولم يمتعها من الدنيا بمتاع ، انصرفوا الى الملك الذى يكسب لنفسه ويعطى غيره . ومضى قدما صادقا ما عاهد الله عليه ، أميرا اجيرا ، حتى لقى الله على سنة النبى الكريم وخليفتيه الراشدين ، لم يغتر ، ولم يبدل فكان الراعى القوى الأمين .

يقول السطحيون من متفلسفى التاريخ : (ان عليا ضعيف السياسة) وفاتهم انه اختار السيرة التى سارها عن بصيرة وروية وتصميم ، حين

جعل هدف الحياة ارضاء الله واسعاد البشر ، والا فأهون الأمور ، أن يبقى معاوية على عمله ، ويزيده فيه ، ويعطى فلانا وفلانا ، وبذلك يكون عند هؤلاء من الدهاة السياسيين . انه اراد الله فى كل ما فعل ، فلم يقسم لغيره وزنا . وصدر عن ذلك فى كل ماتيه ، وليس عليه أن تواتيه الأمور او لا تواتيه ، لقد قال الحق ، وعمل بالحق ، وابتغى الحق ، وهذا كل ما على اصحاب الايمان .

اختلف عليه الناس فى حياتهم ، لكنهم اتفقوا جميعا منذ وفاته ، الى يوم الناس هذا على الشهادة بانه كان الحاكم المثالى فى كل الفضائل المطلوبة من الحاكم . وليس عليك الا ان تقرأ فى كتب الأدب والتاريخ تلك المجالس التى كانت شيعته تبكيه فيها امام خصمه القوى العنيد معاوية ، وترثيه بمناقب تلحقه بالأنبياء والمرسلين ، يجهرون بهذا صدعا بالحق ، معرضين أنفسهم لانتقام الحاكم وسطوته ، ثم تنجلى هذه المجالس عن عكس ما اراد منها معاوية ، تنجلى عن تقديس على ، وانتصار الذين كان على اماما لهم ، ثم صار عقيدة فى قلوبهم ، وعن اقرار معاوية حزينا متحسرا بكل ما قالوا . لقد خضعت القوة القوية اخيرا للحق ، وصاحبه من اصحاب القبور ، وهذا غاية ما يخلد به ناصر للحق مخلص له .

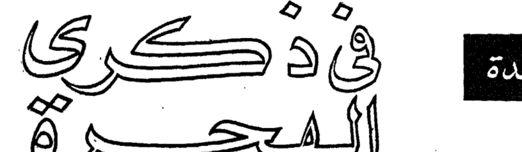
قال معاوية لضرار الصدائى : « يا ضرار صف لى عليا » فقال : « اعفنى يا امير المؤمنين » قال : « لتصفنه » قال : « اما اذا اذنت فلا بد من صفته :
كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . وكان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كاحدنا : يجيبنا اذا سألناه ، وينبئنا اذا استنبأناه . ونحن مع تقريبه ايانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم اهل الدين ، ويحب المساكين ، ولا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . واشهد لقد رايته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا اليك عنى ، غرى غيرى ، الى تعرضت ، أم الى تشوفت ؟ هيهات . قد باينتك ثلاثا لا رجعة لى عليك ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير ، وخطبك يسير . آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق » فبكى معاوية حتى اخضلت دموعه لحيته وقال : رحم الله ابا الحسن فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ » قال : « حزن من ذبح واحدها فى حجرها » .

....

ان وقفة عند سيرة هذا الراعى العظيم ، تملأ النفس ايمانا وطمأنينة وحفزا الى التسامى ، وتنعش الروح وتشحنها بالقوة ، فتقتحم ميادين الخير قوية مؤمنة . وهكذا يكون المثال الذي تقدمه سير العلماء اجدى بكثير من عشرات الصحف ، حكما ومواعظ .

رحم الله عليا امير المؤمنين ، ورضى الله عنه فى العلماء الزاهدين والحكام العادلين ، والمجاهدين الصابرين ، والمؤمنين الصادقين .

قصيدة



سرت بيننا كالحلم فى ليـلة الصيف ... مهفهفة الأعطاف ناعسـة الطرف

مكحلة بالسـحر ملء جفونها .. ... فنـون من الاغـراء والرفق واللطف

فيممت شطر الحسن أخطب وده ... واسرعت اسراع الكريم الى الضيف

وقلت : سلام الله يا اخت يوشـع ... ويا بنت احلامى ، ويا ربة الظـرف

حنانيك ما هذا الصـدود ، وانني ... لأبدى من الأشواق بعض الذى اخفى

صداقك لو تبديه اعطيه راضـيا ... وان كان الفا ، او يزيد على الألف

فردت سـلامى ، ثم قالت بعزة ... صداقى بحسبانى يجل عن الوصف

سل المصـطفى المختار عنه فانه ... ابو عذرة المهر الكريم الذى يـكفى

وحسـبك أن المشركين تظاهروا ... عليه بألوان من المـكر والحيف ..

وشـنوا عليه الحـرب يضرم نارها ... وقود من البغضاء والـكيد والعنف

فلمـا رأيت الظـلم جاوز حده ... وليس لتيـار الجهـالة من وقف

عرضت لخـير المرسـلين محمد ... متوجة بالطهـر والمنطق العف



وناديته : الســـيل قد بلغ الزبى ... واضحى جميل الصبر لونا من الخوف

الى : .. الى من تسلم الحر قلبها ... اذا ثار فى وجه الجبـــابرة الغلف

الى .. الى من تمنح الحـــر حبها ... اذا عاف شرب الذل فى حانة الخسف

فما هو الا الليل ارخى ســدوله ... واذ برســول الله يهزأ بالخوف

ويعبر اســوار الجحيم مظفــرا ... الى جنة فيحــاء دانية القطف

بهـا شــاد للدين الحنيف دعائما ... موطــدة الأركان مأمونة الــكنف

فان رمت يا هــذا اكتساب محبتى ... فدونك هــذا النهج تلق به عطفى

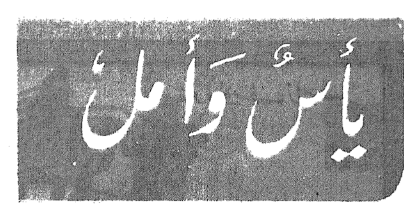
ووصلى وصل المجــد والعز والعلا ... وليس بوصل النهد والخصر والردف

فما الغزل المشــبوب ســلم نيله ... ولــكنه الاقدام فى موطن الحتف

واعزاز اهل الفضل بالعلم والتقى ... واذلال اهل الشرك بالرمح والسيف

وعيشــك فى الدنيــا بنفس ابية ... تظل ــ برغم الفقر ــ شامخة الأنف

وتخلف بعــد الموت ذكرى عزيزة ... منضرة الأفنــان مســكية العرف



حول مؤتمر القمة

للشيخ : نديم الجسر
مفتى طرابلس ـ لبنان

اخشى على قلبى ، وانت حبيبه ، ... ان يستشيط اذا ظللت تذيبه
ما بى ، وحقك ، ان يكون منعما ... سيان ، عندى ، برده ولهيبه
كلا ، ولا بى ان يقر قراره ... هين على سكونه ووجيبه
لكن اخاف فراره واباقه ... ان طال من هذا الجفاء نصيبه
ويلى اذا انتهت الحياة ولم اجد ... قلبا منيبا فى الحساب .انيبه
فتن الحياة امرها تلك التى ... تاتى على القلب الكسير تريبه

★

واحسرتا للعبد يظلم نفسه ... ويظل يعلو بالثبور نعيبه
ويقول ربى شاننى واهاننى ... ويخوض فى قدر السماء يعيبه
واذا اصاب الخير قال ، بجهله ... هذا على علم لدى اصيبه
يكبو ، ويطلب ان يقال عثاره ... يجنى ويرجو ان تقال ذنوبه
وينام عن سنن الحياة ويشتهى ... ان المحال اذا دعاه يجيبه

★

يا سادة جمع « الكتاب » شتاتهم ... ووقاهم من فرقة تهذيبه
بالله ، بالاسلام ، بالجرح الذى ... ما زال ينهر فى القلوب صبيبه
لا تتركوا احقادكم تطغى على ... ايمانكم بالله فهى تشوبه
الخطب فى الاسلام فوق صغائر ... نلهو بهن وقد اطل رهيبه
لم ننس « اندلسا » وكيف اضاعها ... ذاك الشقاق ، وفى الفؤاد ندوبه
دول نكاد نكون ، فى تاريخنا ، ... صورا لها يطوى البعيد قريبه
ما كانت « الحمراء » الا ومضة ... من عهد مجد قد اطل شحوبه

عرف القراء فضيلة الشيخ نديم الجسر كاتبا مجيدا وباحثا عميقا ولكن ربما لم يعرف الكثير منهم انه شاعر ممتاز ايضا ، وهذه قصيدة من قصائده يعبر فيها أصدق تعبير واجوده عما يجيش فى صدورنا جميعا .

« الوعى »

القصر لا يبقى اذا لم يحمه ... شعب أبى فرسته حروبه
اولي علامات الزوال لأمة ... ترف يدب الى الشعوب دبيبه
استغفر الرحمن من يأس بدا ... منى على غرب الدموع غريبه
لم يجتمع ، فى صدر عبد مؤمن ... يأس مع الايمان فهو يشوبه
ثلث البسيطة ملكنا ، وعديدنا ... ثلث الورى والدين نحن قطوبه

★

ولنا من البر الفسيح عوالم ... ولنا من البحر المحيط دروبه
ولنا من الأمواه اعظم انهر ... ولنا من النفط العظيم قليبه
ولنا ، ببحر الروم ، اطول ساحل ... هو حصة الأسد اشترته نيوبه
وعلى معابره الثلاثة تلتقى ... اشداقنا ، فنجبه ، ونجوبه
ويشد وحدتنا كتاب واحد ... نلقى عليه الله وهو حسيبه
مهما تفرقنا فلا معدى لنا ... عن الفة يقضى بها تاديبه
هذا بمعركة البقاء سلاحنا ... لم يجتمع عند الشعوب ضريبه

★

ان مسنا قرح فما من معشر ... الا أتاه ، من القروح ، نصيبه
دول هى الدنيا يداولها الذى ... خلق الوجود وصرفته غيوبه
هى نكبة لكن اكاد ارى بها ... خيرا لشعب اترفته عيوبه
ما الخطب ، عندى ، ان يباغت نائم ... فى غفلة ، بالمترفات ، تنوبه
الخطب ان يبقى الخمار ملازما ... شعبا توطا بالنعال جنوبه

نديم الجسر



للأستاذ : علي الجندي
عميد دار العلوم ــ جامعة القاهرة سابقا

التسبيح ــ الصلاة ، ومنه قوله ــ تعالى ــ « ... وكان من المسبحين » والتسبيح ــ التنزيه ، وسبحان الله ، معناه : التنزيه عن المصاحبة والولد ، وقد نصب على المصدر ، كأنه قال : ابرىء الله من السوء براءة .. او معناه : السرعة اليه والخفة فى طاعته ، والتسبيح ايضا : صلاة التطوع .

وسبح ــ كمنع ــ سبحانا ــ وسبح تسبيحا : قال : سبحان الله ، وسبحة الله ــ بضم وسكون ــ : جلاله .

والسبحة : خرزات تعد ، يسبح بها ، وهى ايضا : التطوع من الذكر ، والدعاء ، تقول منه : قضيت سبحتى .

جواز التسبيح باداة :

وفى ترجمة أبى الدرداء : انه كان يسبح فى اليوم مائة الف تسبيحة .
وكان خالد بن معدان يسبح فى اليوم اربعين الف تسبيحة ، سوى ما يقرأ .
قال السيوطى : ومن المعلوم المحقق : ان المائة الف ، بل الاربعين الفا . واقل من ذلك لا يحصون بالانامل . فقد صح بذلك وثبت انهما كانا يعدان بآلة .

التسبيح بعقد اليد :

أخرج ابن ابى شيبة ــ وابو داود ، والنسائى ، والحاكم ، وصححه عن ابن عمر ــ رضى الله عنه ــ قال : « رايت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعقد التسبيح بيده » وأخرج ابن أبى شيبة ، وأبو داود ، والترمذى ، والحاكم عن « بسيرة » ــ وكانت من المهاجرات ــ قالت : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليكن بالتسبيح والتهليل ، والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين التوحيد واعقدن بالأنامل ، فانهن مسئولات ومستنطقات » .

وفى كتاب « تحفة العباد » (قال بعض العلماء : عقد التسبيح بالأنامل افضل من السبحة ، لحديث « ابن عمر » المتقدم .

ولكن يقال : ان المسبح ان امن الغلط ، كان عقده بالأنامل افضل ، والا فالمسبحة أولى .

التسبيح بالحصى والنوى :

اخرج الترمذى والحاكم والطبرانى عن « صفية » — رضى الله عنها — قالت : « دخل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبين يدى اربعة آلاف نواة اسبح بهن » .
فقال — « ما هذا يا بنت حيى » ؟
قلت — « أسبح بهن » .
قال — « قد سبحت منذ قمت على راسك اكثر من هذا » .
قلت — « علمنى يا رسول الله » .
قال — « قولى سبحان الله عدد ما خلق من شىء » .
وكان سعد بن ابى وقاص — رضى الله عنه — يسبح بالحصى أو النوى .
وعن سعد بن ابى وقاص ايضا : انه دخل مع النبى — صلى الله عليه وسلم — على امراة — وبين يديها نوى او حصى تسبح به .

فقال : « أخبرك بما هو ايسر عليك من هذا وافضل (قولى : « سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، سبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، ولا اله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مثل ذلك » .

وعن ابى بن كعب عن جده عن ابى صفية مولى النبى — صلى الله عليه وسلم — انه كان — اى ابا صفيه — يوضع له نطع (١) ، ويجاء بزنبيل (٢) فيه حصى ، ليسبح به الى نصف النهار ثم يرفع ، فاذا صلى الاولى اتى به ، فيسبح به حتى يمسى .

وعن يونس بن أبى عبيد عن أمه ، قالت : رايت ابا صفية — رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — وكان جارنا ، قالت : فكان يسبح بالحصى .

وعن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : كان لأبى الدرداء نوى من نوى العجوة فى كيس ، فاذا صلى الغداة (٣) اخرجها واحدة واحدة ، يسبح بهن حتى ينفذن .
واخرج ابن سعد عن ابى هريرة — انه كان يسبح بالنوى المجزع (٤) .
واخرج ابن ابى شيبة عن ابى سعيد الخدرى : أنه كان يسبح بالحصى .
وعن رجل من الطفاوة (٥) قال : نزلت على ابراهيم — وفى بعض النسخ ابى هريرة — ومعه كيس فيه حصى أو نوى ، فيسبح به حتى ينفذ .

---

(١) النطع — بساط من الاديم .
(٢) الزنبيل — القفة .
(٣) الغـداة — الصبح .
(٤) المجزع — ما فيه سواد وبياض .
(٥) الطفاوة — بضم الطاء — هى من قيس عيلان .

وقال شيخ من الطفاوة ــ بينما انا عند ابى هريــرة بالمدينة ، وهو على سرير له ، ومعه كيس فيه حصى او نوى ، واسفل منه جارية سوداء وهو يسبح به ، حتى اذا انفذ ما فى الكيس ، القاه اليها فأعادته فى الكيس ، فدفعته اليه يسبح به .

التسبيح بالعقــد :

وكانت فاطمة بنت الحسين ، تسبح بخيط معقود فيه عقد .

وكان لأبى هريرة خيط فيه الفا عقدة ، فلا ينام حتى يسبح به .

وعن عكرمة ــ فكان لا ينام ــ أى ابا هريرة ــ حتى يسبح به اثنتى عشرة الف تسبيحة .

التسبيح بالسبحة :

عن أم الحسن بنت جعفر بن الحسن عن ابيها عن جدها عن على ــ عليه السلام ــ مرفوعا « نعم المذكر السبحة » .

وقد قال عمر المالكى لأستاذه الحسن البصرى ــ وراى فى يده سبحة ــ انت يا استاذ مع عظم شأنك ، وحسن عبادتك ، وانت الى الآن مع السبحة .؟

فقال له الحسن ــ شىء كنا استعملناه فى البدايات ، ما كنا نتركه فى النهايات ــ احب ان اذكر الله بقلبى ، ويدى ولسانى .

وذكر ابن خلكان « فى « وفيــات الأعيان » انــه راى فى يد « ابى القاسم الجنيد » يوما سبحة .

فقال له ــ انت مع شرفك ، تأخذ بيدك سبحه ؟

فقال ــ طريق وصلت به الى ربى ، لا افارقه .

وكان الامام ــ ابو عبد الله محمد بن ابى بكر بن عبد الله ، وشيخه الامام ــ ابو العباس أحمد بن ابى المحاسن ، وشيخه ــ ابو المظفر الترمذى ، وشيخه ــ ابو الثناء ، وشيخه عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر ، وشيخه ــ ابو محمد يوسف بن ابى الفرج ، وشيخه ــ ابو الفضل بن ناصره ، وشيخه ــ ابو محمد عبد الله السمرقندى ، وشيخه ــ ابو بكر محمد بن على السلمى الحــداد ، وشيخه ــ ابو نصر عبد الوهاب المقرى ، وشيخه ــ ابو الحسن على بن الحسن الترفق الصوفى ، وشيخه ــ ابو الحسن المالكى ، وشيخه ــ الجنيد ، وشيخه ــ السرى السقطى ، وشيخه ــ معروف الكرخى ، وشيخه ــ ابو بشر الحافى ، وشيخه ــ عمر المالكى ، وشيخه ــ الحسن البصرى ، كل هؤلاء كانوا يمسكون السبح .

قال السيوطى — وقد اتخذ السبحة سادات ، يشار اليهم ، ويؤخذ عنهم . ويعتمد عليهم ، فلو لم يكن فى اتخاذ السبح غير موافقة هؤلاء السادة ، والدخول فى سلكهم لكفى ، فكيف بها وهى مذكرة بالله — تعالى لأن الانسان قل ان يراها الا ويذكر الله ، وهذا من اعظم فوائدها ، وبذلك كان يسميها بعض السلف المذكرة — أى المذكرة بالله .

ومن فوائدها أيضا — الاستعانة على دوام الذكر ، كلما رآها ذكر انها آلة للذكر فقاده ذلك الى الذكر ، فيا حبذا سبب موصل الى دوام ذكر الله — عز وجل .

وكان بعضهم يسميها — « حبل الوصل » .

وبعضهم يسميها — « رابطة القلوب » .

ولم يُنقل عن أحد من السلف ولا من الخلف ، المنع من جواز عد الذكر بالسبحة ، بل كان أكثرهم يعدون بها ، ولا يرون ذلك مكروها .

وقد رئى بعضهم بعد تسبيحه ، فقيل له — أتعد على الله ؟

فقال — لا — ولكن أعد له .

والمقصود — أن أكثر الذكر المعدود ، الذى جاءت به السنة الشريفة ؛ لا ينحصر بالأنامل غالبا ، ولو امكن حصره ، لكان الاشتغال بذلك ، يذهب الخشوع .

نادرة :

ويقول السيوطى — اخبرنى من اثق به — انه كان مع قافلة فى درب « بيت المقدس » فقامت عليهم سرية من الاعراب ، وجردوا أصحاب القافلة جميعا ، وجردونى معهم . فلما اخذوا عمامتى سقطت المسبحة من راسى — فقالوا — هذا صاحب مسبحة ، فردوا على ما كان أخذ منى ، وانصرفت سالما .

وصف السبحة :

قال فيهاعما د الدين المناوى :

ومنظومة الشمل يخلو بها ... اللبيب فتجمع من همته .
اذا ذكر الله جل اسمه ... عليها تفرق من هيبته .

وقال النحيمى فى سبحة سوداء :

وسبحة مسودة ، لونها ... يحكى سواد القلب والناظر .
كانى وقت اشتغالى بها ... أعد أيامك يا هاجرى .

وقال شوقى :

ما تلك اهدابى تنظم ... بينها الدمع السكوب
بل تلك سبحة لؤلؤ ... تحصى عليك بها الذنوب

وقد اهدى بعض الأصدقاء الى الشاعر المرحوم محمد الأسمر فى شهر من شهور رمضان مسبحة طريفة ، كل حبة منها ذات لونين اصفر واسود ، فقال يصفها ويصف احوال بعض المسبحين .

مسبحتي كانها	من عنبر وعسجد
ضمت تباشير الصبا	ح ، للظلام الأسود
فمن رآها ظنها	مسبحتين فى يدى
رقطاء الا انها	من معبد لمعبد
وهى ــ ولا ناب لها	تعض كل ملحد
احب بفيها الادرد	وما به من شهد (١)
عكازة المستغفر الطا	لب ، ضبط العدد
وحلية التهجد	وزينة التعبد
وربما الفيتها	يلهو بها اخو الدد (٢)
فقد ترى فى حانة	كما ترى فى المسجد
وعدة للنصب من	ادهى وشر العدد (٣)
حبالة الخاتل ان	تلق جمارا تصطد
يحملها فى كفه	وهى فساد المفسد
ومن رآها ظنها	هداية للمهتدى
شاعت وذاعت فهى انى	سرت ملء البلد
قالوا ــ اتى موسمها	يا « رمضان » فاشهد
كم صائم مسبح	لسانه كالمبرد
سبحته فى يده	كالخنجر المجرد

سبحة زيدان التاريخية :

كانت لأم المقتدر العباس قهرمانة تدعى « زيدان » وكانت ممكنة من خزانة الجواهر وفيها جوهر الخلافة ــ فاتخذت سبحة تشتمل على ثلاثين درة متشابهة فى الوزن واللون كل واحدة منها كبيضة العصفور ، مفضلة بعشر يواقيت ، لم ير مثلها فى عقد ملكة ، ولا خزانة ملك .

فصارت مثلا فى النفائس والذخائر .

---

(١) الادرد ــ من ليس فى فمه سن .

(٢) الدد ــ اللهو .

(٣) يحملها من نطلق عليهم النصابون المحتالون ليظهروا بمظهر المتعبدين ليطمئن لهم صيدهم من المغفلين .



للشيخ عبد المنعم النمر

ونحن نستقبل العام الجديد

لا ادرى — اخى القارىء — ونحن نستقبل العام الرابع من عمر مجلتنا الحبيبة ، أى الخواطر أتحدث عنها معك فى هذه المناسبة ؟ ، وهى تتزاحم كما يتزاحم الماء المتدفق عند الممر الضيق ، وانها لخواطر المجلة فى ثلاث سنوات مع قرائها ، وحديث القلب الى القلوب الكبيرة التى تعيش معنا دائما على بعدها الحسى عنا .

اننى وانا استقبل العام الرابع انظر الى الوراء ، الى ثلاث سنوات مرت فى جهاد مرير بسلاح الكلمة ، ولكنه شيق الى النفس ، من اجل هـذا الدين الذى اختاره الله طريقا وحيدا لنظام الحياة السعيدة الهادئة ، ومن اجل الوطن الاسلامى الذى حمل أمانة الله ، وأمانة التاريخ ، ثم بدا وكأنه قـد تخلى عن امانته ، وفرط فى سعادته ، ثم يبدو الآن وكأنه أحس واقعه متلمسا الخروج من هذا الواقع ، مستأنفا حمل الرسالة بجدارة وثقة ..

اتذكر الآن كيف كنا ونحن نعد العدة لاخراج هذه المجلة ، ونرسم أمامنا صورا متعددة لمجلة نريدها فى موضوعها واسلوبها ومظهرها مغرية بالاقبال عليها ، وامتصاص مادتها ، وتشرب روحها ..

نريد بها ان نحول افكار الناس وبخاصة الشباب ، عن فكرتهم التقليدية عن المجلات الدينية ، وخلوها من المادة الجذابة ، والمظهر المشجع على القراءة ، ونضع امامهم صورة جديدة مشرقة للمجلات الدينية الهادفة ، التى لا يصرفها العناية بالجوهر ، عن العناية بالمظهر ، فان اهمال المظهر ، او سوء العرض ، كثيرا ما يضر بالسلعة الاصيلة الثمينة ، ويصرف الانظار عنها .

واستعنا بكل تجاربنا وآمالنا ، وبتجارب المخلصين وآمالهم ، وبالاستعداد الكريم من المسئولين لاحتضان هذا المشروع الاسلامى وتشجيعه ، وخطـونا اولى خطواتنا على الطريق فى ثقة ، ولكن فى استحياء ، وانتظار لرد الفعل ..

والآن ، وبعد ثلاث سنوات مضت ، أشعر بكثير من فضل الله يغمرنا ، وبوعـــده الكريم للعاملين يحفنا من أول عـــدد أخرجناه .. وانما الاعمـــــال بالنيات ..

لقد كان صدى جميلا طيبا ، وجزاء معادلا ، للعمل الجاد الهادف ، وللنيات المخلصة ، فزادنا ايمانا وثقة بوعد الله ورعايته ، كما زادنا اصرارا على بذل الكثير من الجهد والاستهانة بالكثير من المتاعب ..

فما كنا نتوقع ان نصل اليه فى عشرة اعوام ــ وكان ذلك أملا ضعيفا على اساس الضوء الخافت الذى كان يحيط بالمجلات الدينية ــ وصلنا اليه بحمد الله وعونه فى مدى قصير ، ووجدنا الاضواء تسلط على المجلة من كل ركن من أركان العالم .. او وجدناها تضىء قلوبا فى كل ركن من اركان العالم وينعكس الشعاع من هذه القلوب ليصل الينا هنا ، فيزيد طريقنا نورا وبصيرة ، ويزيد من عزمنا جهدا وتضحية ..

ما كنا نتوقع ان نجد انفسنا بعد هذه المدة القصيرة من عمـــر المجلـــة ، مضــــطرين لطبع (٤٠) اربعين الفا منها ، لنلبى ما يمكن لنا تلبيته من حاجة القراء ، ويجد المسئولون انفسهم امام هذا النجاح ، مقبلين على بذل كل ما يمكن لهم بذله ، لتوفير الامكانيات التى تفسح لها الطريق الى يد كل قارىء ..

ولعلنى اضع الامور فى نصابها اذا قلت ان المسئولين يعتبرون الخـــدمة التى تؤديها المجلة للاسلام والمسلمين ، انما هى من الخدمات العامة التى تقوم بها الوزارة ، لا ينتظرون من ورائها كســبا ، بل ولا ينتظرون منها أن تغطى نفقاتها ، وحسبهم فى هذا ــ عند الله وعند الناس ــ أنهم يسهمون فى خدمة هذا الدين الذى ارتضاه الله لعباده .

ومن هنا عملت الوزارة من اول يوم على ان تكون اسعارها فى متناول كل يد ، وان تتحمل فوق مئونة طبعها واخراجها ، مئونة حملها الى كل قطـــر عربى وغير عربى بالطائرة .. وليس ذلك بالامر الهين فان العدد الواحد قد يتكلف حمله بالطائرة ما يوازى ثمنه الذى يباع به فى بعض البلاد ، ويزيد عن الثمن اضعافا فى البعض الآخر .. والوزارة مع ذلك جد مغتبطة لقيامها بهذه الرسالة الدينية .. ويضاعف من سرورها أن تجد لهذه الرسالة آثارها الطيبة فى كل مكان . وان تصل اليها الرسائل متتابعة من كل ركن من اركان العالم ، تشيد بهذا الجهد الذى تؤديه ، وتشد على كل يد تشارك فيه ..

وكم كنت أود ان يتسع المجال لأضع امامك بعض هذه الرسائل المشرقة ، التى نعتبرها باقات زهور تصلنا من انحاء متفرقة فى أمريكا وآسيا وأفريقيا .. من الافراد والجامعات والهيئات .. وكلها يشيد بمستوى المجلة الفـــريد بين المجلات الاسلامية وبحرصها على أن تعرض الاســــلام ومبادئه بلغة العصر . وتناقش قضاياه على ضوء الدين والعقل ، وعلى ان تلتزم بالادب القرآنى فى دعوتها الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنـــة ، بعيـــدة عن الخـــلافات المذهبية ، والتيارات السياسية ، مما جعل القلوب والحـــدود تتفتح لها .. وتنتظرها بتلهف مع اشراقة الهلال من كل شهر ، وجعل احد القراء من احـــد الاقطار يرسل الينا شاكيا من ان المجلة تاتى فى السر ، وتباع فى السر ، ولا

يستطيع الحصول عليها ، مع أننا نرسل الى هذا القطر اربعة عشر الفا منهـا كل شـهر ، ولكنها كمية لا تكفيه فتنفذ بسرعة . كما يعمد بعض البائعين الى حجزها لعملائه .

ولقد حرصنا مع هذا الالتزام على ان تتفاعل المجلة مع الاحداث التى تمر بنا ، والتيارات الفكرية وغير الفكرية التى تهب علينا . . لا تفاعل التابع العاجز ، ولكن تفاعل الموجه الحكيم ، والناقد البصير ، الذى يلتقط العبرة من الاحداث ، ويوجه القلوب الحائرة المضطربة الى الهدى الحكيم ، ويوقظ الضمائر النائمة لتبصر طريقها المستقيم ، بالكلمة اللينة حينا ، والقاسية غير الجارحة حينا آخر .. وبالايماء والاشـارة الواضحة حينا ، وبالصراحة التى لا تثير العنـاد حينا آخر . . وهى تهدف فى ذلك كله الى أن تجنب المسلمين خطورة الانحـلال والتفتت ، وتجمع الشمل حول كلمة الله ، ونداء العقل ، ومصلحة البلاد . . .

ومع ان التيارات المذهبية الاسلامية تكاد تفـوق فى حـدتها وتشعبهـا التيارات السياسية ، ومع ان الاشتباك السياسى يتخذ من الدين احيانا كثيرة ميدانا لمعاركه ، ومع ان المجتمع الاسلامى تغشاه آراء دينية متفاوتة البعد . . ما بين متمسك محافظ على الموروث من كلام السابقين وآرائهم لا يريد أن يحيد عنها ، وبين من يعطى نفسه حرية التحرك والفهم والاختيار من كلام السابقين او الاستنباط فى دائرة الهدى الحكيم ، وبين من لا يرضيه هذا ولا ذاك ، ويريد ان يطوع الدين لأغراضه بحجة التطور وملاءمة العصر .

اقول مع هذه التيارات كلها نشق طريقنا الى الهدف الذى نؤمن به ، وإن كنا نجد منتهى الصعوبة والحرج احيانا فى اختيار الراى ، والكلمة المعبرة عنه ، ونجد انفسنا مضطرين احيانا الى ان نجعل المجلة ميدان نقاش هادىء هادف ، بين هذا وذاك ، بقصد الوصول الى رأى ناضج ، فان الحقيقة بنت البحث كما يقولون ، والحجة تقرع بالحجة ، لا بالشتائم ، ولا بكيل الاتهامات جزافا .

ومع هذا كله لا ندعى اننا وصلنا الى ان نكون محل رضا من الجميع ، فتلك غاية لا تدرك . . . ولكن حسبنا عند الله اننا نجتهد لنصل الى الصواب ، والعقلاء يعرفون مما علمنا الرسول اياه : ان من اجتهد فأخطأ فله اجر ، ومن اجتهد فأصاب فله اجران ، ولا يبيح عاقل لنفسه امام هذا ان يجردنا حتى من الأجر الواحد ، ان اختلف معنا ، او لم يعجبه شىء مما نقدمه اليه ، ولقد قلت فى افتتاحية اول عدد اننا نرحب ونفرح بالنقد الهادف ، وشـعارنا فى هـذه المجلة : **رحم الله امرءا أهدى الى عيوبى ..**

ومع دقة الظروف والاوضاع التى تغشى عالمنا العربى ، ومع شـدة الحساسية من القراء ، ومع ما تفرضه طبيعة الحياد الذى تنبت فى ظله المجلة ومنه تخرج ، اقول مع ما يفرضه هذا كله ، فاننى لا اعتقد اننا توانينا عن واجبنا فى ابداء الراى لاصلاح حال هذه الامة ، ولا غضضنا الطرف عما جرى ويجرى فيها من امور شاركت مشاركة فعالة فى تأخرها ثم فى هزيمتها . . بل كنـا صرحاء ـ ولكن فى حكمة ـ مع انفسنا ومع قرائنا وقادتنا ؛ صراحة حتمتها حالنا ،

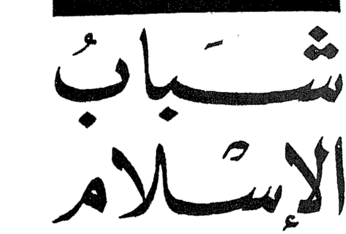
وفرضتها مرارة الهزيمة التى حلت بنا ، والرغبة فى الخروج منها ، والتخلص من آثارها . . ولا اغالى اذا قلت : ان القراء قد وجدوا فيما كتبناه وقدمناه اليهم تعبيرا صادقا حرا عما فى نفوسهم ، اعتقد أنهم لم يجدوه فى مجال آخر . .

كتب لى رئيس تحرير صحيفة يومية كبيرة تطبع ربع مليون نسخة يوميا يقول : ان ما تقوله « الوعى الاسلامى » هو ما كان يجب على كل صحيفة وعلى كل كاتب أن يقوله فى هذه الظروف . .

وكتب لى وزير عربى سابق يقول : « اود ان ابلغكم بكل صراحة لا شأن للمجاملة او المودة فيها أخلص التهنئة على ماتدمتموه فى الاعـــداد الاخيرة من « الوعى الاسلامى » من كلمات تمتاز بصراحتها ونضجها وعمقها ، ووعيهـــا الكامل لحقيقة الاحداث ، وتعاليها عن الاساليب اللامسئولة ، التى تمتلىء بها الصحف العربية ، ودنيا العرب العامة . ولقد كنت أطرب وأنا أقرأ بعض هذه الكلمات طربا عقليا شديدا ، وآلم فى الوقت ذاته ألما شديدا حين اقارن ذلك بما يبدو من تقصير الكتاب فى الصحف السياسية عن اللحاق بأسلوب المسئولية الرفيع الذى تمتاز به كلمات « الوعى الاسلامى » ، ولكم تمنيت ــ وأنا اقرؤها ــ أن تتواجد فى البلاد العربية صحافة سياسية على نسقها ، تصدر عن شعور عميق بالمسئولية ، لتلعب دورها الحيوى فى توعية شعبية حقيقية ، لا عن روح تطبعها الانانية والانتهازية ، وعدم المبالاة بكل الاعتبارات والقيم العظيمة ، التى كان التخلى عنها سببا أساسيا فى انحطاط الامة العربية وانحدارها ، عندما انغمست فيما تنغمس فيه الآن من الصفات التى تأباها الروح العربية الاصيلة ، والشمائل الاسلامية الكريمة ، مثلما كان التحلى بها سببا فى رفعة الامة العربية وعظمتها فى الايام الغابرة ، لذلك كله بورك فى « الوعى الاسلامى » صراحـــة الرواد المخلصين ، ونضج العلماء المجربين وبورك الوعى المدرك ، والاسلوب الرفيع ، وبالله عليكم زيدونا من فهمكم فهما ، ومن وعيكم وعيا ، وأنيروا دروب المنتفعين بكم ، تسهموافى خدمة أمتكم العربية ، وعالمكم الاسلامى اســـهاما عظيما » . .

صورة يرسمها قارىء من ذوى الثقافة الواسعة . والادراك الواعى . عاش فى معترك الحياة السياسية سنين طويلة ، ثم تركها ، ولم يكن من الذين يجولون فى الفلك الدينى ، ولكنه كما يقول ــ جذبته « الوعى الاســـــلامى » فأصبح من قرائها وعشاقها كما ترى . . وفى اطار هذه الصـــورة تلقى معالى الوزير ، والسيد الوكيل . كما تلقينا فى المجلة عشرات الرســـائل من جميع انحاء العالم . وكلها تجمع على انهم وجدوا فى « الوعى الاســـلامى » شـــيئا جديدا وروحا متوثبا ، لم يأنسوه فيما قرءوا ويقرءون من مجلات . .

ونحن لا نملك ازاء هذا كله الا ان نحمد الله على ما وفقنا اليه : ونسأله سبحانه المزيد من هديه وتوفيقه . . ونعاهده ونعاهد القراء على أن نظل سائرين على النهج الذى اخترناه واعلناه . لتظل « الوعى الاسلامى » مجلـــة الشباب والشيوخ والرجل والمراة ، تشق طريقها الى القلوب ، فى عالم مضطرب حائر . حاملة هداية الله اليها فى غير تزمت ولا تحلل والله الموفق والمعين .



٢



للدكتور: أحمد الشرباصي

المدرس بكلية اللغة العربية — جامعة الازهر

ونعود مرة اخرى الى ديوان « مجد الاسلام » :

اذا كان شاعرنا قد عطر صفحات هذا الديوان بذكر مواقف مليئة بالبطولة والاقدام للسابقين الأول من شباب الاسلام ، فانه لم ينس أن يخصص من هذه الصفحات جانبا لفتيات الاسلام ، وها هو ذا مثلا — وهو يعرض قصة الهجرة النبوية — يذكر الفتاة المسلمة فيها ، ويشير الى ما بذلته الشابة المؤمنة اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما ، فقد روت السيرة انه عقب خروج الرسول مع الصديق من مكة جاء أبو جهل دار ابى بكر ، فوجد عندها أسماء ، فقال لها فى غفلة : اين ابوك ؟

فأجابت وهى صادقة : الله يعلم أين هو . فلطمها أبو جهل لطمة أطارت قرطها من اذنها ، ومع ذلك احتملت أسماء ، وشاركت فى اتمام الهجرة بخطواتها ، وحملها الزاد الى صاحبى الغار ، وشق نطاقها نصفين لربط زاد المهاجرين ، حتى سميت « ذات النطاقين » .

يصور شاعرنا موقف اسماء مع أبى جهل بقوله :

ويح أسماء اذ يجيىء أبو جهـل على خدرها المصون مغيرا

صاح : أسماء ، أين غاب ابو بكـر ؟ أجيبى فقد سألنا الخبيرا

قالت : العلم عنده ، ما عهدنا أجم الأسد تستشير الخدورا (١)

فرماها بلطمة تعرض الأجيال عن ذكرها صوادف صورا (٢)

تذفت قرطها بعيدا ، ورضت من وجوه النبى وجها نضيرا (٣)

* * *

---

(١) الاجم : جمع اجمة ، وهى بيت الأسد .

(٢) الصدوف والصور : الميل والاعراض .

(٣) رضت : دقت او كسرت . انظر ديوان مجد الاسلام ، ج ٢ ص ١٠.

ويتحدث محرم عن فرحة المدينة بلقاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم الهجرة ، فقد خرجت المدينة عن بكرة ابيها تستقبل النبى المهاجر ، والرسول الفاتح للقلوب والعقول ، وفى مقدمة من خرج فتيات كالزهرات من بنى النجار ، يحيين نبى الرحمة بالغناء والنشيد ، ويقلن فيما يقلن :

نحن جـوار من بنى النجــــار	يا حبـذا محمد من جـــار !

ويثير هذا اللقاء شاعرية محرم فيقول :

ما للديــار تهزها نشــواتهــا	اهى الأناشيد الحســان ترتـل ؟
رقت نضارتها ، وطاب اريجهــا	وترددت انفاســها تتسلســل
فكانمــا فى كل مغنى روضــة	وكأنمــا فــى كـل واد بلبــل
هن العذارى المؤمنـات اتمنــه	عيدا تحييه الملائك مــن عــل
فى موكب لله اشرق نـــوره	فيه ، وقـام جلالـه يتمثــل
جمع النبيين الكــرام ، فآخـذ	بيد الامام ، وعائـذ يتوســل
يمشى به الروح الأمين مسلمــا	وجبينـه نعـم النبـى مقبــل
ايه بنى النجـار ان محمــدا	لأشـد حبا للتى هى اجمـل (١)

***

واحمد محرم يرى أن الحياة تتلخص فى امرين : البيت والولد ، وان اعداد الأبناء هو الوسيلة لاصلاح البلاد ، فيقول :

اعملت رايى فى معنى الحياة لمــن	يبغى الحياة ، فكان البيت والولدا
هذا يصــان بتدبيــر ومعرفــة	وذا يعد لاصــلاح البلاد غــدا !

وهو يؤمن بأن تربية الشباب افضل من اقتناء المال ، ولذلك يجب انشاء المدارس لتعليمهم دون مبالاة بما ننفق من مال فى هذه السبيل ، فيقول :

نبنى المدارس للطــلاب تعمرهــا	وما نبالى اقــام المــال أم نفــدا

ويطالب محرم بأخذ الشباب بالحزم ، حتى لا تضعف هممهم ، ولا تخـور عزائمهم ، ولذلك ينعى على أولئك الذين يدللون أولادهم ، فيسيئون اليهم وهـم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فيقول :

أوص البنين بما يعظم شانهــم	من خلة شرف ، وصنع ســؤدد
لا تؤذهــم بالبر تجهـل حكمـه	فترى بمنزلة العـدو المفســد
كم والد جمـح التدلـل بابنــه	حتى تمنى انــه لـم يولــد

---

(١) ديوان مجد الاسلام ص ١٧ و ١٨ .

ومحرم يؤمن بأن واجب الآب يقتضيه أن يكون قدوة صالحة لأبنائه بالقول والعمل ، والارشاد والمعاونة ، حتى ينشئوا شبابا صالحين ، تساعدهم البيئة بما فيها من حوافز الخير ودوافع الاستقامة على تحصين نفوسهم وتطهير قلوبهم ، فيخاطب الأب قائلا :

عود بنيك الخيـــر ، ان نفوســـهم — صحف بما شاءت يمينك تكتـــب
ما للبنين من الخلال سوى الـــذى — ســـنت لهـــم أم . وأورثهـــم اب
للمرء من شـــرف العشيرة زاجر — ومن الخلال الصالحات مـــؤدب !

* * *

ولاحمد محرم وصاة رائعة . وجهها الى ابنه سليمان . وهى وصاة تصلح نبراسا لكل شاب يريد ان يكون ماجدا فى حياته ، وحينما نظرت فى هذه الوصية البليغة استطعت ان اقسمها الى خمسة اقسام ، كل قسم منها يدور حول أمر له قيمته ومكانته ، فالقسم الأول من الوصية فيه تذكير بحق الوطن العظيم ، مع ضرب المثل على اعزاز هذا الوطن من حياة الشاعر نفسه ، ومن أعماله وجهوده والقسم الثانى منها فيه حث على مجموعة من الفضائل ، مـــع التحريض على الاستمساك بالدين وعصمة اليقين ، والقسم الثالث فيه تحذير من طائفة مـــن الرذائل وقبائح الأعمال ، والقسم الرابع فيه وصية بالصبر والاحتمال ، مع فسحة الرجاء وسعة الآمال ، وفى القسم الخامس والأخير من الوصية يعـــود الشاعر الى حث ابنه على الاستمساك بالدين ، لأنه عماد الأمر وملاك الحياة .

ان الشاعر فى القسم الأول من وصيته يذكر ابنه بحق الوطن ، ويحذره ان ينساه ، فانه أمانة فى عنقه دونها الأمانات الأخر ، وانه الجدير بأن يذهب فداء له والشيب والشباب ، ويقرر الشـــاعر انه عاش وفيا لوطنه ، لم يخن ولـــم ينحرف ، وراس ماله فى حياته حبه لأمته وبلاده ، وفى سبيل هذا الوطن أعـــد كل شىء : أعد المال والأولاد والروح ، وظل على وفائه من صباه الناضر الى شيخوخته التى وهن لها العظم واشتعل فيها الراس شيبا .

يقول مخاطبا ابنه :

ســـليما ن، لا تنس حق الوطـــن — فأنـــت علـــى عهـــده مؤتمـــن
شـــباب البنين لمصـــر الفـــداء — وشـــيب الرجال لمصـــر الثمـــن
رات مـــن ابيـــك فتى ماجـــدا — عفيـــف المذاهـــب حـــر الســـنن
يرى حبها من معـــــالى الامور — ويقيـــدها مـــن غوالى المـــنن
اعد لها مالـــه ، والبنـــــين — وملكهـــا روحـــه والبـــدن
رعت عهدهـــا نضرات الصبى — وبر بها العظـــم لمـــا وهـــن !
فهـــذا ســـبيلى، فـــلا تعـــده — عدتك بنى عوادى الزمـــن ! (١)

* * *

(١) ديوان محرم ، ج ٢ ص ١٠٩ و ١١٠ .

والوفاء للوطن والقيام بحقه يحتاجان الى نفس كريمة قويمة ، تستعصم بالقيم والمبادىء وتستعلى على الآفات ــ والشهوات ، ولذلك ينتقل الشاعر فى القسم الثانى من وصاته الى مطالبة ابنه ــ ومطالبة كل ابن مثل ابنه ــ بتطهير نفسه عن الفواحش والرذائل ، والا يخدعه عن استقامة من زل او انحرف ، وأن يصون عرضه وكرامته ، وأن لا يقبل الضيم أو الاذلال من انسان ، وأن يحفظ دينه ويلوذ بتعاليمه ، وأن يتحصن باليقين اذا هاجمته الخطوب أو عادته المحن .

يقول :

ونفسك صنها عن الفاحشات ... ولا يستخفنك من لم يصن
وعرضك لا تمتهنه الرجال ... فان البلية أن يمتهن
وضن بدينك ، واستبقه ... ولا تتخطفك أيدى الفتن
واما رمتك خطوب الزمان ... ونابتك أرزاؤه والمحن
فلذ باليقين ، فان اليقين ... أجل الدروع وأقوى الجنن ![1]

* * *

وينتقل الشاعر فى القسم الثالث من وصيته الى تحذير فتاه من طائفة من الرذائل وأخلاق السوء ، ومن البديهى أن النفور من الرذائل يتضمن الحث على مقابلها من الفضائل ، ويذكره فى بداية هذا القسم بأن الأصيل الكريم لا بد ان يكون محسنا ، وأن يكره القبيح ويحب الحسن ، ثم ينهاه عن الظلم فانه من سيئات الشيم ، وعن الاستجابة للسفيه فى استفزازه ، فان مجاوبته تريحه ، والاعراض عنه يقتله ، وعن العقوق فانه يشين كل مخلوق ، وعن الغضب المؤدى الى الجهالة والنزق ، ويوصيه مع هذا ببعض المكارم ، فيقول :

وأحسن الى الناس ، ان الكريم ... يعاف القبيح ، ويرضى الحسن
وايـاك والظلم ، لا تأته ... ومهما يقل قائل فاستبن
ولا يستفزك قول السفيه ... فليس يضيرك مهما يكن
وان آثر الناس دين العقوق ... فوال الجميل ، ولا تندمن
وبالرفق فى كل ما تبتغى ... ــ اذا كنت ذا اربة ــ فاستعن[2]
خذ الأمر الحزم ، ان الأمور ... لذى الحزم مأخوذ بالرسن[3]
وعود لسانك قول الجميل ... ومهما غضبت فلا تجهلن
وهون عليك اذا ما غبنت ... فلست بأول حر غبن !

* * *

---

(١) الجنن : جمع جنة ، وهى الوقاية .
(٢) الاربة : الدهاء والاحتيال .
(٣) الرسن : الحبل .

وفى القسم الرابع من الوصية نجد الشاعر يوصى ابنه بالصبر والاحتمال واذا عرضت له على الطريق ظلمات ، أو صادفته عقبات ، فلا يركن الى اليأس والقنوط ، بل ينتظر الشمس بعد ظلام الليل البهيم ، والفجر بعد الدياجى المنتشرة ، ثم يضرب المثل من نفسه ، فقد مرت عليه تجارب فى الحياة ، وذاق مرارة الفشل ولذعة الحرمان ، ولكنه صابر وثابر ، حتى مرت الصعاب وبقى ايمانه سليما ورجاؤه عميقا ، والرجل اللبيب الفطن يستطيع ان يقهر المتاعب والمصاعب بأخلاقه الثابتة ونفسه المطمئنة ، وايمانه بأن مع العسر يسرا ، وان مع الشدة لينا وان مع الضيق فرجا ومتسعا .

يقول الشاعر :

ورج العواقب ان اخلفتك	مبادى الأمور ، ولا تيأسن
لقد رضت قبلك هذا الزمان	رياضة مصطبر مطمئن
اذا غضب الخطب ابدى الرضى	وان عصف الشر يوما سكن
يثوب له خلق لين	اذا ثاب للدهر خلق خشن(١)
ويشتد حينا فيلوى به	ويهوى بركنيه ان لم يلن
وما ان يصيب اذى الحادثات	اخا اللب بين الرجال الفطن
بأخلاقه يتوقى اللبيب	فنعم السلاح له والمجن !

* * *

ويبلغ الشاعر القسم الخامس والأخير من وصاته ، فاذا هو يعود الى نصح ابنه بالايمان والاعتزاز بالله وطاعته والاعتماد عليه ، ويؤكد الشاعر الوصاة فى هذا تأكيدا بليغا واضحا ، لأنه مفتتح الأمر وختامه ، فيقول :

الى الله فاسكن ، ودع من ترى	فما لامرىء دونه من سكن
دع الكل وانس به تسترح	فكل عناء ، وكل حزن
وما ينه عنه فلا تأته	وما يرض من صالح فاعملن
فتقواه افضل ما يقتنى	ومرضاته خير ما يختزن
حملنا الأمانة من ربنا	فطوبى لنفس امرىء لم يخن !

* * *

وهكذا غنى شاعرنا احمد محرم بالشباب ، وحذرهم معاطب الطريق ، ورسم امامهم معالم السبيل ، وحاسبهم على الهفوات ، وحذرهم من السيئات ، وحرضهم على المكرمات ، واغراهم بمكارم الأخلاق ، لعلمه أن الشباب معقد الأمل ومناط الرجاء ، فعليه سلام ربه فى الخالدين من الشعراء .

---

(١) يثوب : يرجع .

حمامة الغار

لقد تجلت سخرية القدر بقوة المشركين فى ان جعلت من حمامة الغار ردا لكيدهم

للأستاذ: أحمد أبو المجد

ارأيت ما فعلت حمامة — حملت الى النور السلامه ؟!
فى هجرة ميمونة — ردت الى البشر الكرامه
حمت النبى وصاحبا — رب الورى اعلى مقامه
والشرك عبا حقده — فى موقف أحمى ضرامه
رحلا وقد ذاقا بمكة — ما تضيق به الاقامه
قامت على الدين الجديد ، على النبى ، لها قيامه !!

....

وقفت حجابا حائلا — رب البرية قد أقامه
والكفر ألقى مرغما — بحجابها الغالى سهامه
أيرد كيد المشركين على شراستهم حمامه ؟!
أرأيتها والعنكبو — ت بغارها ألقى خيامه ؟!
سلم وحرب جمعا — فى موقف بادى الكرامه !!

....

قدر الهى اتى — كانت له هذى علامه
هى قدرة الجبار كل — الراسيات بها حطامه
من ذا يرد النصر من — عند الاله له دعامه ؟!
هو اعزل لكنما الـ — ايمان ظل له حسامه
من ينصر الرحمن لم — تعوزه فى الميدان لامه

في ذكرى الهجرة

بين يدي النبي

للأستاذ: معوض عوض ابراهيم

في مقـــام النبى بين رحـابه يجـد الأنس من يلوذ ببــابه
قد بلغت المنى واســعد نفسى اننى قد دنوت من اعتــابه
واجتلى القلب نـور احمـد فى الرو ضـة من قبره الى محـرابه
فى وجـوه الألـوف خفوا مشـوقـين كشـوقى للمصطفى وصـحابه
فى دموع الخشـوع والشـكر للــه واكـرم بالدمـع فى اعرابـه
ان فى كل جـانب من ثـرى أحمـد تبـدو مشـاهد مـن جنـابـه

.. ..

هــذه البـلدة التى نضر اللـــه ثراها ، وزاد فى اطيــابه
منذ آوى الانصـار فيها أبا القـا سم بعـد الوفود من اصـحابه
ها هو المسجد الطهور فسـارع واقض فيــه للقلب بعض رغـابه
هـذه القبـة التى نسـخ الليـل سناها ، وما لهـا من مشـابه
وحمـام الحمى يروح ويغـدو كيفما شـاء ، آمنـا غير آبه
أو يخشى غوائـل الدهـر من جا ور طـه ، وعـاش بين رحابه ؟!
ذلك المنبر الـذى غمـر الـكو ن هـداه ، وعب مـن اكوابه
وسيبقى يذيع فى الناس دينـا خلد الله ذكره فى كتــابه
ووصـايا محمـد حيث لا معـدل عنهـا لـكل اصـيد نابـه
والـذى ينشىء الحيـاة على الـديـن سـعيد فى حـاله ومآبـه

.. ..

فى مقـام النبى سـاءلت ربى لى وللمذنبين حسـن متـابه
فانلنـا الرضى وثبت عـلى الحـق خطى الآخـذين فى اسـبابـه

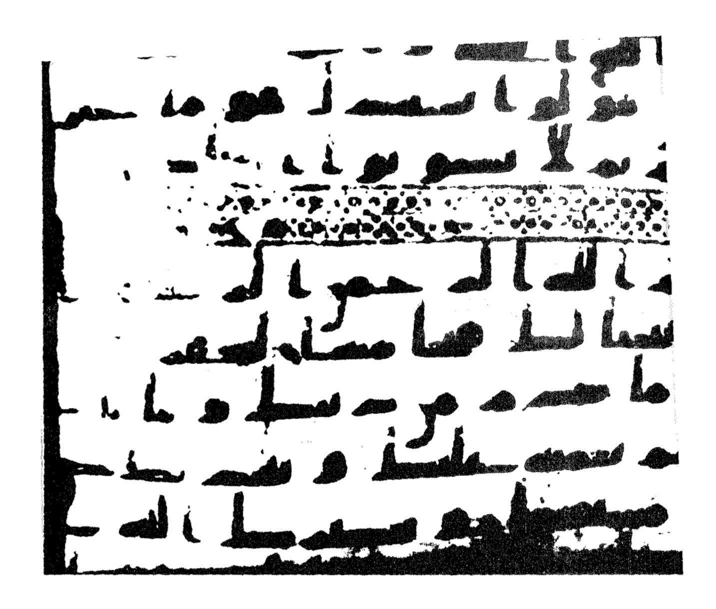


مصاحف عثمان بن عفان وجعفر الصادق وحسن البصري

فى الأيام القليلة الماضية انتهى معرض المصاحف الذى اقامته القاهرة ولمدة حوالى شهرين بدأت مع ليلة القدر الأخيرة .

وقد اقيم المعرض فى أكبر قاعات دار الكتب بميدان باب الخلق .. وتردد عليه (١٩/٨٧٢) مواطنا ومسلما من جميع أنحاء العالم الاسلامى المقيمين بالقاهرة والزائرين لها ..

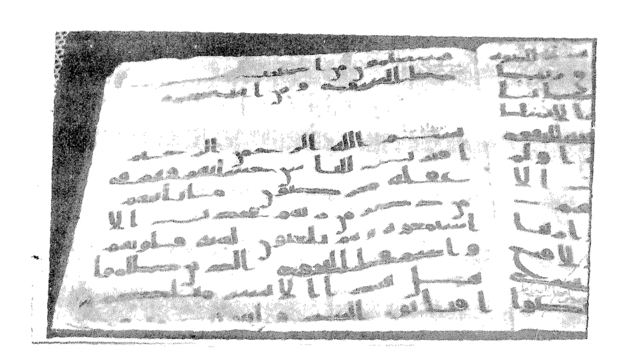
وقضيت يوما كاملا مع العدد القليل من المصاحف التى عرضت ، والتى لا تتجاوز السبعين مصحفا .. ولكنها تمثل تطور الكتابة المصحفية واحجام المصاحف .. والفن الابداعى فى اخراجها ، حتى توقفت ، عند القرن الثالث عشر الهجرى .. لتعرض نموذجا واحدا لتطور الكتابة المصحفية بعد ذلك .. بطريقة بريل للذين حرموا نعمة البصر ..



اكبر مجموعـــة

وقصة معرض المصاحف يحدثنى عنها الأستاذان : احمد عابدين مدير عام دار الكتب ، وأحمد عبـد الرحمن رئيس أمنـاء المخطوطات والمعارض بدار الكتب ، فيقولان . ان دار الكتب تضم أكبر مجموعة من المخطوطات القرآنية فى العالم .. اذ بها ٢٠٠٠ مصحف مخطوط على مر العصور ، ومن اجل ذلك رأى السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهوريـة ووزير الأوقـاف والشـئون الاجتماعية أن يكون من بين مظاهر احتفالات القاهرة بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم ، أن يكون هناك معرض قرآنى ، يعرف منه الناس : كيف كانت المصاحف فى اول العهد بها منذ ايام سيدنا عثمان الى يومنا هذا .. فسارعنا بعرض نماذج من المصاحف من اول مصحف سيدنـا عثمان ، الى أن تطورت الكتابة ، وما يكتب عليه المصاحف ــ الرق ــ والدرج ــ والجلد ــ والحرير ــ والورق ...

ويقولان : ان المعرض لم يكلف دار الكتب استعدادا اكثر من سبعة أيام .. وبعدها افتتحه السيد حسين الشافعى وبدا كلمته التى سجلها بهذه المناسبـة بقولـه .



مصحف بخط سيدى حسن البصرى

« بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذى شرف مصر ودار كتبهـــا ان تكون مقرا لحفظ المصـــاحف النادرة التاريخية ، وقد سعدت فى مناسبة احتفالنا بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم بأن أرى هذه الثروة الفخمة ليست من ناحيتها العاطفية فحسب .. بل وكذلك ما تحتويه من ثروة فنية وتاريخية لا تقدر بثمن » .

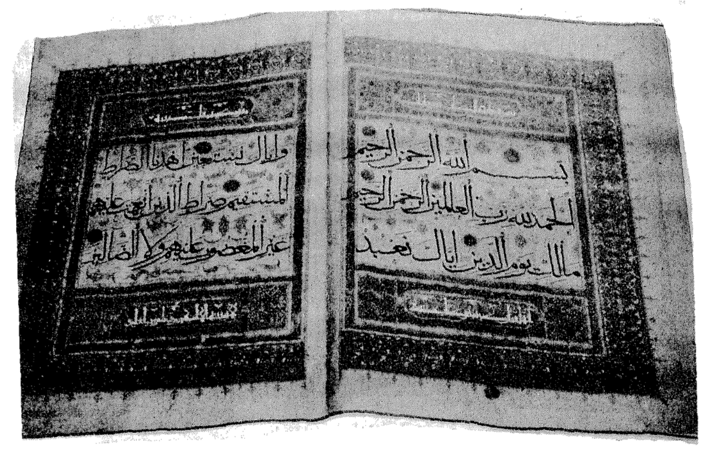
. . . . . .

وطوال أيام المعرض جاءته وفود من مسلمى العالم الـــذين يقيمون فى القاهرة أو يزورونها ...

ومن الزيارات التى لا تنسى ما يذكره لى الأستاذ احمد عبد الرحمـــن المشرف على المعرض من ان أسرة الطبيب المشهور المرحوم على ــ باشا ــ ابراهيم ، جاءتهم أسرة صديقة من لبنان عندما علمت بخبر المعرض لتشاهده ، وكان هذا فى عطلة العيد ، واتصلت الأسرة بمدير دار الكتب تذكر له الأمر ، وترجو منه السماح بفتح المعرض .. فوافق على ذلك واستمر المعرض مفتوحا أيام العطلات ، ومن الثامنة صباحا الى التاسعة مساء كل يوم ..

وكان المعرض موضوع دراسة تفصيلية لطلبة قسم الوثائق والمكتبـــات بآداب القاهرة .

وكذلك موضع دراسة فنية لطلبة الفنون الجميلة ، ومعهـــم استاذهـــم الدكتور طه حسين ــ وهو غير عميـــد الأدب العربى ــ الذين تـــرددوا على المعرض خمسة عشر يوما ، لنقل هذا الفن الاسلامى الرائع ودراسته .



مصحف قايتباى ٨١٥ ــ ٩٠١ هـ

وقد بلغ عدد الذين سجلوا اسماءهم كما سبق ان ذكرنا (١٩/٨٧٢) ، ويضاف اليهم مثل هذا العدد من رواد دار الكتب ، ولم يقيدوا اسماءهم فى دفتر زيارات المعرض كما يقول لى المسئولون .

مع النماذج المعروضة

ومن بين النماذج القرآنية المعروضة .. كانت مصاحف نادرة يقول لى المشرف على المعرض ، انها لا توجد الا فـى دار الكتب فقط .. وان المعروض منها قليل ، ولكنه يمثل اولا النادر منها .. ويمثل ايضا هذا الطابـع التاريخى المرتبط بالقرآن الكريم .. ويمثل ثالثا تطور الكتابة القرآنية ومنهـا الكتابى والزخرفى ..

اول المصـاحـف

ومصحف سيدنا عثمان بن عفان ، هو اول ما يلقاه زائر المعرض ، وهو بالخط الكوفى ، وكل الذى كتب عليه أنه مصحف عثمان بن عفان الذى كان يقرأ فيه لحظة مقتله ، ويشرح لى قصته الأستاذ نصر الله الطرازى الذى تفضـل مشكورا بصحبتى ، شارحا أن هذا المصحف نسـخة مصورة عن المصحـف الحقيقى الموجود حاليا بطشقند ، وقد أتيح له أن يراه فعلا هناك ، وعليه آثار دم سيدنا عثمان ، ومكتوب بجواره هناك نبذة تاريخية تقول : انه كان موجودا فى جامع خواجه عبد الله الأحرار ، ثم اشتراه حاكم تركسـتان ، ونقل الى



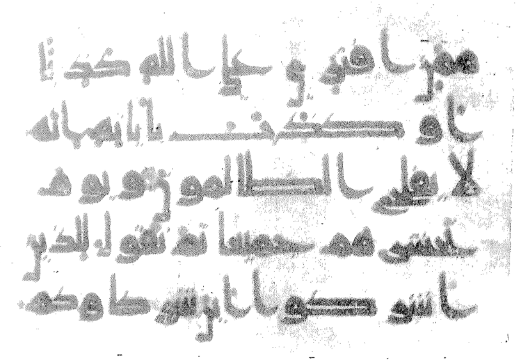
مصحف جعفر الصادق مجلد بقطع خشب الصنوبر وفى اوائل سوره وبعض آياته حليات ذهبية

بطرسبرج ، فوضع فى دار الكتب القيصرية ، حتى قامت ثورة ١٩١٨ الروسية . فنقل فى حراسة مشددة الى النظارة العربية ، حتى عام ١٩٢٣ وبعدها نقل الى تركستان ، حيث ظل مدة طويلة فى سمرقند ، حتى حوالى الاربعينيات من هذا القرن ، فنقل الى طشقند ، حيث يكون الآن بناء على طلب المسلمين هناك .

ومرة اخرى يؤكد لى السيد نصر الله الطرازى ان آثار الدم باقية الى اليوم على المصحف الاصلى .. دم الخليفة الثالث عندما قتل رضى الله عنه .

ومصحف حسن البصرى

وثانى المصاحف المعروضة .. مصحف بقلم كوفى على الرق ، ومن غير شكل ولا نقط ، وبه بداية سورة النساء .. وفى آخره انه كتب بخط سيدى حسن البصرى عام ٧٧ هـ .



اول مصـــــحف على طريقـــة (ابو الاسود الدؤلى)

ومصحف جعفر الصادق

ومصحف ثالث .. وهو الثالث فى الترتيب .. مفتوح على صفحة واحدة ومكتوب فى القرن الثانى الهجرى ، على ورق ، ومجلد بقطع خشب الصنوبر ، وفى اوائل سوره وبعض آياته حليات ذهبية ، ومكتوب فى آخره انه مصحف سيدى جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٨ هـ .

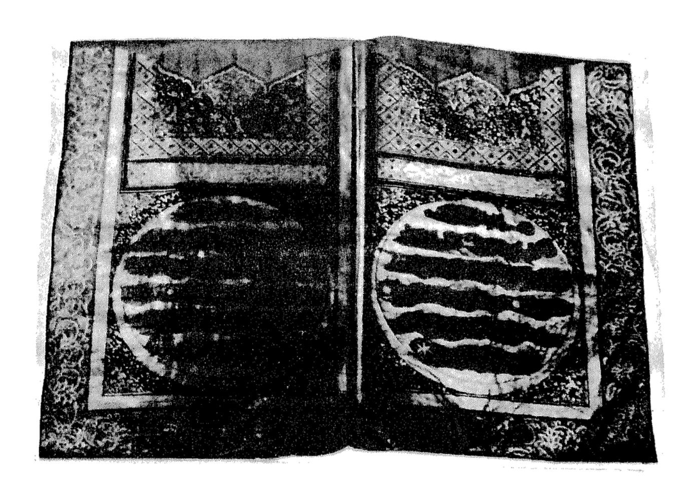
وبـــدايـــة تطـــــور

ومع بداية القرن الثالث الهجرى وطوال شهوره مع القرن الرابع الهجرى ايضا يرى المشاهد تطورا فى كتابة القرآن ومحاولات فنية رائعة ، تستعين بالذهب والحليات ، وان استمرت الكتابة على الرق وبالخط الكوفى ، وعـــدم التقيد بأن يكون المصحف فى مجلد واحد بل وجد مصحف فى ١٣ جزءا .

ويقدم المعرض فى مقدمـــة المصحفين او الثلاثة المعروضـــة تعبيرا عن القرنين الثالث والرابع الهجرى .. اول مصحف يظهر فيه النقط والتشكيل على الكلمات .

وبعدها يجمع المعرض المصاحف بدون تحديد زمنى .. وانما يضعها تحت اسم الدولة التى كانت مسيطرة على الحكم فى مصر كل فى جانب .

- فمصاحف من الدولة الفاطمية .
- ومصاحف من الدولة الأيوبية .
- ومصاحف من عصر المماليك .. وما اكثرها .



مصحف السلطان قلاوون مكتوب بالذهب الخالص ـ وصحائف ذهبية

وتقف جميعها عند القرن العاشر الهجرى .. وجميع مصاحف هذه العصور تتشابه الى حد كبير ولكن تتنافس فى روعة الفن والبذخ .. والتحلية بالذهب .. واختلاف الأحجام ما بين مستطيل ومربع .. وكبير وصغير ..

ووضعت نماذج للمصاحف الخاصة تعبيرا عن أرقى ما وصل اليه الفن الكتابى للمصاحف ، ممثلة لمصاحف السلاطين وهى بالتحديد :

- مصحف السلطان محمد بن قلاوون ٦٩٣هـ
- مصحف الأمير ارغون شاه ٧٥٠هـ
- مصحف السلطان شعبان ٧٦٤هـ
- مصحف السلطان برقوق ٨٠١هـ
- مصحف السلطان المؤيد ٨١٥هـ
- مصحف السلطان خشقدم ٨٦٥هـ

ومن أجمل المصاحف خطا مصحف قايتباى ٨١٥هـ ـ ٩٠١هـ وهو بخط جائم السيفى جانى بيك الدودار الكبير .



ومن أروع ما زخر به المعرض فى العصر المملوكى مصاحب «خوندبركة» ام السلطان شعبان ٧٧٥هـ

واربع ربعات مملوكية : تمثل تقدم الخط فى القرن العاشر الهجرى ، وقد كتبها بخطه الخطاط الشهير حمد الله المعروف بابن الشيخ خطاط السلطان با يزيد .

ومصحف السلطان برقوق ٨٠١هـ الذى يذكر ان كاتبه قد استغرق فى كتابته ستين يوما .. وبقلم واحد لم يتغير .

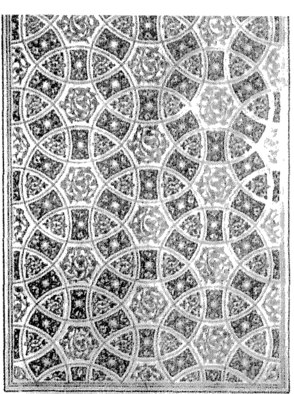
ومصحف الأمير برغتمش ٧٧٦ هـ الذى التزم الكاتب فيه أن يبدأ كل صفحة بكلمة قرآنية تبدأ بحرف أ .

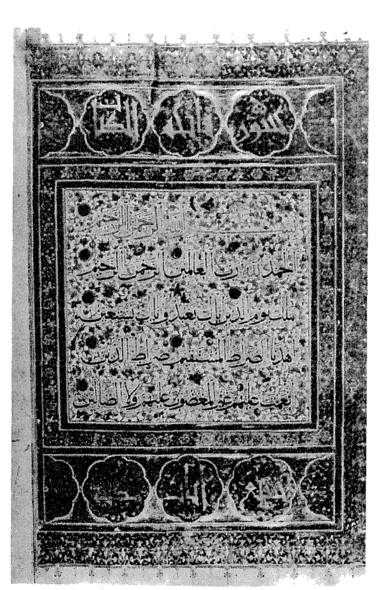
وقد بلغ الروعة مصحف قلاوون الذى كتب بالذهب الخالص وعلى صحائف ذهبيـــة .

ومن بلاد اخرى

وبعدها يقف المعرض عند هذا الحد من المصاحف المصرية ، ليبدأ جانبـا آخر من المعرض ، يمثل نماذج من الفن العالمى الاسلامى متخذا اربعة اقطـار اسلامية لا تزيد .

● تبدأ بالخطوط العثمانية .. وهنا تبدأ المصاحف فى الصغر الى احجام تصل الى حجم (الكف) الواحد ، وتختلف اوراق الكتابة من الرق الى الحريـر والورق ، مع الالتزام المستمر باستعمال الذهب والزخارف المختلفة .. ويعرض





اضخم مصحف فى العالم يزن ٢ طن
مهدى من نواب بهوبال
الغلاف من الفضة والماس
مكتوب فى القرن الحادى عشر

من الدولة الفاطمية

٤٠ مصحفا عثمانيا ، ومن اروعها ما كتبه الى صدر الصدور بروسلى محمد باشا فقد كتب القرآن كله فى ٣٠ صفحة مقاس ٢٥ سم × ٣٠ سم وبخط نسخ والمصحف كله محلى ومجدول بالذهب .

و ٣ مصاحف كتبت فى ايران ، وكلها بخط ياقوت المستعصمى ، وهو كما ذكر لى مرافقى من أكبر اساتذة الخط فى التاريخ .. ومن المدرسة النظامية فى القرن السابع الهجرى ، وقد كتب أكثر من ١٠٠٠ مصحف وقال عنه الامام عبد القادر الجيلانى : (كان فى يده سر من اسرار الله) وعلى احد هذه المصاحف بعض التفسيرات باللغة الايرانية .

وثالثة البلدان الاسلامية التى انتقى المعرض بعض مصاحفها الهند .. ومن بين مصاحفها القليلة التى عرضت واحدا بخط محمد روح الله بن محمد

حسين اللاهورى ١١٠٧ هـ وهو فى ٣٠ ورقة تزيد عن حجم (الوعى الاسلامى) قليلا ، والتزم فيه بان يكتب فى اول سطر من كل صفحة كلمة تبدأ بحرف ا .

وآخر البلاد الاسلامية .. المغرب وقد اختير منها ٣ مصاحف طومار .. للحرب .. حيث كان صاحبها يلفها حول وسطه ، وهو يحارب ، ولا يزيد طول المصحف عن مترين × ٢٠ سم فقط .. ومن الجلـد .. ومكتوب عليه بخـط النسـخ ..

وقبل النهاية : نموذجان

وقبل النهاية .. وفى مكـان متقابل يقـع نظر المشـاهد للمعرض على نموذجين غريبين .. اولهما .. المصحف بطريقة بريل وهو احدث ما كتب عام ١٩٦٧ .. ويقابله النموذج الثانى ٣٠ جزءا من مصـحف السـلطان المغولى (سلطان الجاتيو مغل همذان ٧١٣هـ . وهو مزخرف بطريقة هندسية مختلفة ، بحيث لا يتشابه جزء مع الآخر وقد آل الى الناصر قلاوون) .

ومخطوطات اخـرى

والى جانب المصاحف عرضت دار الكتب رسالة رسول الله صلى اللـه عليه وسلم الى المقوقس .

و ١٠٠ كتاب مخطوط صغير فى التفسير والقراءات من بينها :

- الحجة فى القراءات لابن خالويه فى القرن الثالث الهجرى .
- وايضاح الوقف والابتداء لابن الانبارى .
- وتحبير التيسير فى قراءات العشر لمحمد بن الجزرى .

وقبـل النهايـة

ومع نهاية المعرض يودع الزائر اكبر مصاحف العالم ــ كما يقولون لى ــ اذ تبلغ زنته طنين وحجم الصفحة منه ١٧٥ × ١٢٠ سم ، ويقع فى ٧ أجزاء ، ومكتوب بالخط النسـخ ، وعلى الجلد ، ومسـتعمل فيـه الذهب فى أجزاء مختلفة بين صفحاته ووقفاته ، وله غلاف آية فى الروعة والفن ، يتسع للأجزاء السبعة . وهو من الفضة الخالص . ومحلى بالياقوت ، وقد اهداه الى مصر نواب بهوبال (أمير بهوبال) فى وسط الهند وقد كتب فى القرن الحادى عشر الهجرى .

ومع نهاية المعرض يبدأ حديث العالم كله عنه ، بعد أن جاءته وفود .. وبعد أن طلبت اخباره وكالات انباء العالم والجامعات الكبرى .

أوروبا ترسل بعثاتها إلى الأندلس لتلقي العلوم في جامعاتها

للأستاذ: سليم طه التكريتي

اخذ الكثيرون من علماء اوربا ومؤرخيها فى الآونة الأخيرة . يتحررون من التعصب ويعترفون في كتبهم وابحاثهم العلمية والتاريخية بفضل الحضارة الاسلامية على النهضة الأوربية ، ويوردون الأمثلة الدامغة التى تؤكد ان الحضارة الاسلامية هي ام الحضارة الغربية الحاضرة ، وان ما ابدعته العقول الاسلامية كانت المعين الفياض الذى استقى منه علماء الغرب فى عصر الانبعاث الأوربى علومهم ومعارفهم وحتى فنونهم وصناعاتهم .

ولقد كانت الأندلس اول المسالك التى سلكتها الحضارة الاسلامية فى انتقالها الى الغرب واخطرها اثرا فى نقل التراث العربى الاسلامى الى اوربا ووضع اسس الحضارة الأوربية الراهنة .

ذلك ان الشهرة التى بلغتها الأندلس فى مضمار التقدم والازدهار قد حفزت العديد من ملوك اوربا وامرائها فى ذلك العهد الى محاولة محاكاة العرب والمسلمين الأندلسيين فى تقدمهم وتمدنهم فلم يجدوا امامهم من سبيل سوى ان يبعثوا بالبعثات العديدة من ابنائهم الى الأندلس للدراسة فى معاهدها وجامعاتها الكثيرة .

يقول المؤرخ الفرنسى « فالبير FALIER » فى كتابه « استرداد الأندلس Raprisa oaindeloussia » ان البعثات العلمية كانت قائمة فى اوربا على قدم وساق لارسالها الى الأندلس الاسلامية لتلقف العلوم والفنون والصناعات فى معاهدها الكبرى وذلك نتيجة الدعايات التى انتشرت فى قصور ومراكز معظم المقاطعات الأوربية فى ذلك الوقت كانكلترا وفرنسا والمانيا وهولندا وتوسكانيا » .

اخذت البعثات الأوربية تتدفق على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد اخرى حتى بلغت سنة ٣١٢ هـ (٢٩٣م) زهاء سبعمائة طالب وطالبة .

وكانت احدى هذه البعثات من فرنسا برئاسة الأميرة « اليزابث » ابنة خال لويس السادس ملك فرنسا .

وراست الأميرة « دوبان » ابنة الأمير جورج مالك مقاطعة ولز الانكليزية احدى البعثات من بريطانيا واقبلت بعثات اخرى من سافوى . وبافاريا ، والرين وسكسونيا وغيرها .

وبعث فليب ملك بافاريا الى الخليفة هشام الأول بكتاب يطلب اليه ان يأذن له بارسال بعثة من بلاده الى الأندلس للاطلاع على احوالها وأنظمتها وشرائعها وثقافتها وذلك لاقتباس المفيد المثمر منها لبلاده .

ووافق الخليفة هشام على هذا الطلب وعندئذ ارسل الملك فليب بعثة برئاسة وزيره الأول المدعو « ويلمبين » الذى يسميه المؤرخون العرب باسم وليم الأمين .

وسار ملوك آخرون من أوربا على المنوال ذاته . فالبعثة التى اوفدها جورج ملك ولز برئاسة ابنة أخيه كانت تضم ثمانى عشرة فتاة من بنات الأشراف والأعيان وقد توجهت البعثة الى اشبيلية ورافقهن فى سفرهن النبيل « سفيلك » رئيس موظفى القصر فى ولز وكان سفيلك هذا يحمل رسالة من الملك جورج الى الخليفة هشام الثالث نشر المؤرخ الانكليزى الشهير « جون دوانيورث JOHN DOINBURTH » نصها فى كتابه الخطير « العرب عنصر السيادة فى القرون الوسطى Arabs : Element of Surerniacy in The Meadeuel Centuries

تقول الرسالة .

من جورج الثانى ملك انكلترا والغال والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير . فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر انوار العلم فى بلادنا التى يسودها الجهل من اربعة أركان .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة « دوبان » على رأس بعثة من بنات اشراف الانكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن .

ولقد ارفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل ارجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع جورج م. ا.

وقد رد الخليفة هشام الثالث على رسالة الملك جورج بهذه الرسالة الرقيقة البليغة التى تمثل كرم المسلمين وسماحتهم ولطفهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين .

وبعد .

الى ملك انكلترا وايكوسيا واسكندنافيا الأجل .

لقد اطلعت على التماسكم فوافقت ، بعد استشارة من يعنيهم الأمر من

ارباب « الشونة » (١) ، على طلبكم وعليه فاننا سنعلمكم بانه سيتم الانفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين تأكيدا على مودتنا لشخصكم الملكى .
أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد . وبالمقابلة ابعث اليكم بغالى الطنافس الأندلسية وهو من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافى للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا والسلام .

خليفة رسول الله على ديار الأندلس
هشـــام .

ويقول المؤرخ التركى عبد الرحمن شرف ان هدية ملك ولز الى الخليفـــة هشام كانت تتألف من شمعدانين من الذهب الخالص طول الواحد منهما ثلاثة أذرع ، واثنان وعشرون قطعة ذهبية من اوانى الطعام .

أما بعثة ملك بافاريا التى راسها ويلمبين فكانت تتألف من مائتين وخمسة عشر طالبا وطالبة وزعوا على جميع معاهد الأندلس لدراسة الفلسفة والعلوم وصناعة النسيج والنقش والتطريز ، والطبابنة والتمريض وصناعة الاسلحة . والزجاج ، والورق ، وبناء السفن وصنع البارود وبناء القلاع ، بالاضافة الى دراسة علم الفلك والكيمياء والفيزياء والعلوم الزراعية وغيرها ولقد اعتنـــق ثمانية من افراد هذه البعثة الدين الاسلامى ومكثوا فى الأندلس ورفضوا العودة الى بلادهم . ومن هؤلاء ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس فى ذلك الوقت وانجبن عددا من العباقرة كان منهم عباس بن مرداس الفلكى .

وهناك عدد آخر من الفتيات أقدمن في بعثات الى الأندلس من فرنســـا وهولندا وايطاليا والمانيا وبلجيكا اقمن فى الأندلس واعتنقن الاسلام وتزوجن من المسلمين من امثال الأميرة « مارى غوبيه » من بلجيكا ، وروبيكا ستارت مـــن المانيا ، والراهبة جانيت سمبسون من انكلترا ، وشوتا ابنة الكونت سيرجاك من هولنـــدا .

* * *

وبالاضافة الى البعثات العديدة التى بعثت بها اوربا الى الأندلس . عمد بعض **ملوك أوربا وأمرائها الى استقدام** الأساتذة والخبـــراء والمهندســـين من الأندلس لتأسيس المدارس والمصانع ونشر الوية التنظيم والعمران .
ففى خلال القرن التاسع الميلادى وما بعده وقعت حكومات انكلترا وهولندا وسكسونيا وغيرها على عقود مـــع حوالى تسعين من الأســـاتذة العرب فى الأندلس بمختلف العلوم لانشاء مختلف المعاهد فى اقطار تلك الحكومات . وقد اختير هؤلاء الأســـاتذة العرب من بين اشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين اللاتينية والاسبانية الى جانب اللغة العربية .
ووقعت تلك الحكومات عقودا أخرى مع حوالى مائتى خبيـــر عربى فى مختلف الصناعات ولا سيما انشاء السفن وصناعة النسيج والزجاج والبنـــاء وفنون الزراعة .

---

(١) يقصد بعبارة ارباب الشونة . اركان الدولة .

ولقد اقام بعض المهندسين العرب إعظم جسر على نهر التيمس في بريطانيا هو جسر « هليشم Helichem » . وهذه الكلمة تحريف لكلمة « هشام » خليفة الأندلس الذى أطلق الإنكليز اسمه على ذلك الجسر اعترافا بفضله لأنه ارسل اليهم أولئك المهندسين العرب .

وكذلك كان المهندسون العرب هم الذين شيدوا قباب الكنائس في بافاريا . ولا تزال توجد بمدينة « شتوتغارت » بألمانيا حتى اليوم سقاية ماء تدعى « اميديو Amedeo » وهو تحريف لكلمة « احمد » اسم المهندس العربى الذى صنع تلك السقاية .

وكان الأسطول الهولندى الذى قهر الأسطول الانكليزى في لشبونة سنة ١٥١٢م من صنع العرب وكان قائد ذلك الأسطول الهولندى يسمى نفسه « اميرال البحر طارق » .

* * *

كان من بين الذين درسوا في معاهد الأندلس العلمية وساهموا بقسط كبير في نقل الحضارة الاسلامية الى اوربا الراهب الفرنسى « غربرت » المولود سنة ٩٤٥م . فقد رحل غربرت هذا الى الأندلس فأمضى فيها ثلاث سنوات درس في معاهدها بأشبيلية وقرطبة الرياضيات والفلك والعلوم الأخرى ثم عاد الى بلاده واخذ يبشر فيها بالثقافة الاسلامية فرماه بعض قومه بالكفر والسحر واذ ذاك رحل الى أوربا فعين مستشارا لقيصر روما ثم ما لبث ان اصبح كبيرا للأساقفة هناك وأخيرا ارتقى سنة ٩٩٩م كرسى البابوية وسمى بالبابا سلفستر الثانى . وكان هذا البابا أول من ادخل الأرقام العربية ونظامها الى أوربا والتى لا زالت سائدة فيها .

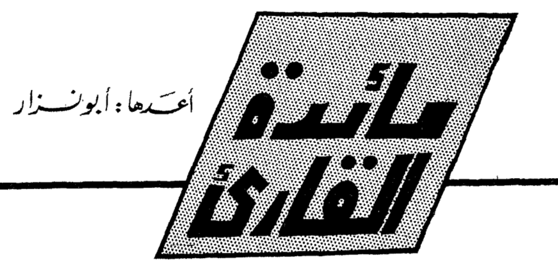
وهناك راهب فرنسى آخر يدعى « ابيار » تفقه في الفلسفة والعلوم الأخرى على المصادر العربية الاسلامية واشتهر بها في القرن الثانى عشر الميلادى .

وممن درس في قرطبة وتخرج على ايدى علمائها المسلمين « شانجة » ملك ليون واستوريا في شمال اسبانيا .

ومنهم « هرمان » الكسيح ابن امير والماسيا الذى نقل مآثر الحضارة الاسلامية في ألمانيا ودول البلطيق عن الطلاب الأوربيين العائدين من الاندلس والذين كانوا يمرون بدير « ريخناو » الذى يمكث فيه هرمان ويقضون فيه أياما عديدة قبل تفرقهم الى أهليهم . وعن هؤلاء نقل هرمان كل ما جلبوه من الآلات الفلكية العربية وفي مقدمتها الاسطرلاب الذى صنع أول واحد منه في أوربا على الأسس العربية في القرن الرابع الميلادى .

ومن المعاهد الطبية في مدن اشبيلية والفوصة وزردقة وقرطبة في الاندلس تخرج ما لا يقل عن عشرين طبيبا أوربيا كان من بينهم الراهب الانكليزى « سبيرومان » الذى اتخذه البابا يوس الثالث طبيبا خاصا له .

ولقد ظلت الأندلس تلعب دورها الفعال هذا في نقل الحضارة الاسلامية الى اوربا حتى بعد ان قضى على الحكم العربي فيها واجهز على المسلمين تقتيلا وتجهيزا وتنصيرا في عصر محاكم التفتيش الفظيعة . فلقد تفرق فطاحل العلماء من المسلمين الأندلسيين في مختلف الولايات الاسبانية وفي فرنسا وايطاليا وغيرها يحملون معهم علومهم وفنونهم التي لم يضنوا بها حتى على الكفار الذين انزلوا بهم وباهليهم سوء العذاب مما كان له اثره في ازدهار حركة البعث الأوربى ونشوء الحضارة الأوربية الراهنة .



الرسالة المهاجرة

ان الرسالة الاسلامية التى هاجرت مغلوبة من مكة الى المدينة . هاجرت غالبة من الشرق الى الغرب . بفضل مبدئها الالهى الذى قامت عليه . ودعت اليه . وفازت به . وهو توحيد الله ، وتوحيد الكلمة . وتوحيد القوى ، وتوحيد الغاية .

أين عمر ؟

سمع عمر بن الخطاب بكاء طفل آخر الليل . فأتى أمه فقال : انى لأراك امرأة سوء . مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ قالت : يا عبد الله : انى امرنه على الفطام . قال : ولم ؟ قالت : لان عمر لا يفرض للرضيع . وانما يفرض للفطيم . قال : وكم له ؟ قالت : اثنا عشر شهرا . قال : لا تعجليه وذهب . فصلى الفجر . وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه . فلما سلم قال : يا بؤسا لعمركم قتل من أولاد المسلمين .. ثم أمر . فنادى : الا تعجلوا اولادكم عن الفطام فاننا نفرض لكل مولود فى الاسلام . وكتب الى الآفاق كافة .

مؤول الأحلام ؟

كان سعيد بن المسيب من أعلم الناس بتعبير وتفسير الرؤيا . جاءه رجل فقال له : انى أرى كأنى أبول فى يدى فقال له : اتق الله فان تحتك ذات محرم . فنظر فاذا امراته بينها وبينه رضاع .

وقال الحصين بن عبد الله بن نوفل : طلبت الولد . فلم يولد لى فقلت لابن المسيب : انى أرى انه طرح فى حجرى بيض . فقال ابن المسيب : الدجاج اعجمى . فاطلب سببا الى العجم . قال : فتسريت فولد لى .

امسلم هو ؟

مما يذكر من سرعة جواب المتنبى أنه حضر مجلس الوزير ابن خنزابة ، وفيه ابو على الامدى الاديب المشهور ، فأنشد المتنبى ابياتا جاء فيها :

انما التهنئات للأكفاء

فقال أبو على : التهنئة مصدر ، والمصدر لا يجمع .
فقال المتنبى لآخر بجنبه : أمسلم هو ؟
فقال : سبحان الله . هذا استاذ الجماعة ابو على الامدى .

قال المتنبى : فاذا صلى المسلم وتشهد أليس يقول : « التحيات »
فخجل ابو على وقام .

عظامى عصامى

يروى أن الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل ، فأراد اختبـاره ، فقال له : اعظامى أم عصامى ؟ يقصد : اشرفت بآبائك الذين صاروا عظاما ، أم بنفسك .

فقال الرجل : عظامى عصامى ، فقال الحجاج : هذا افضل الناس ، ثم تبين له بعد ذلك من مناقشته انه اجهل النـاس ، فتعجب الحجاج ، وسـأله : كيف اجبتنى بما أجبتنى به حين سألتك .

فقال الرجل : لم أعلم اعصـامى خير أم عظـامى ، فخشيت ان أقـول احدهما ، فقلت كليهما ، فان اضرنى احدهما نفعنى الآخر .

فقال الحجاج : المقادير تصير العيى خطيبا .

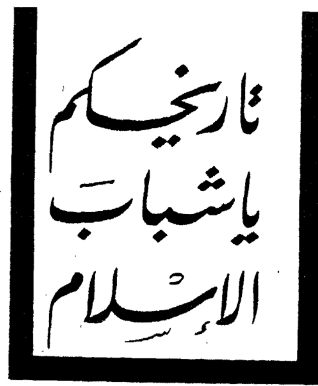
ساعة هارون الرشيد

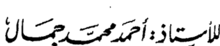
ذكر فولتير المؤرخ الفرنسى أن أول ساعة عرفت فى أوربا هى الساعة التى اهداها أمير المؤمنين هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا سنة ٨٠٧ ، وكانت بدعا فى ذلك العصر ، حتى انها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا .

كان لها اثنا عشر بابا صغيرا بعدد الساعات ، فكلما مضت سـاعة فتح باب وخرجت منه كرات من نحـاس صـغيرة تقع على جـرس فيطن بعـدد السـاعات ، وتبقى الابواب مفتوحة ، وحينئذ تخرج صور اثنى عشر فارسا على خيل تدور على صفحة الساعة .

لا نتركه يبرد !!

قيل لاعرابى : ما تسمون المرق ؟
قال : السخين
قال : فاذا برد ؟
قال : لا ندعه يبرد





نواصل الحديث عن (سوابق) الفكر العربى والاسلامى فى المجالات المختلفة للحضارة الانسانية . فنذكر نظرية « العقد الاجتماعى » للمفكر الفرنسى جان جاك روسو — التى يتحدث عنها كثير من الكتاب العرب ، المفتونين بكل ما هو (أجنبى) أو (غربى) على انها نظرية حديثة وابتكار غربى !

لقد كنت اقرأ بعض رسائل النبى صلى الله عليه وسلم ، التى يزود بها بعض عماله وولاته ، ويرسم لهم فيها منهج الحكم وكيفية سياسة المحكومين . فوقفت على كتابه الذى كتبه عليه الصلاة والسلام لعمرو بن حزم حيث بعثه واليا على اليمن ، فماذا فاتحته تقول :

(بسم الله الرحمن الرحيم — يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ..) ثم مضى الكتاب يفصل لعمرو بن حزم مسؤولياته كحاكم مسلم : من التقوى ، والأخذ بالحق ، وامر الناس بالخير ، وأن يلين لهم فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، وينهاهم عن التعصب للعشيرة ، وان يعلمهم أمور دينهم من وضوء وصلاة وجمعة وحج ، وان يفقههم فى القرآن الخ (1) .

وفى افتتاح الرسول عليه الصلاة والسلام كتابه عن موضوع الحكم ومسؤولية الحاكم بهذه الآية القرآنية : (يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) اشارة تغنى عن عبارة — الى نظرية العقد الاجتماعى التى طلع بها جان جاك روسو خلال القرن الثامن عشر الميلادى ، أى بعد نحو اثنى عشر قرنا من نزول القرآن بهذه الآية ، واستدلال الرسول بها فى موضوع الحكم وواجبات الحاكم ،

---

(1) القى الكاتب محاضرة بعنوان (مهمة الحاكم المسلم) فى أحد المواسم الثقافية بمكة المكرمة — تحدث فيها باسهاب عن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم .. وهى تحت الطبع .

كاشارة بليغة وجيزة الى ان الحكم انما يقوم على اساس التعاقد والاتفاق بين الحاكم والأمة — وهو مضمون نظرية روسو عن العقد الاجتماعى .

ويؤيد رأينا فى هذا السبق الاسلامى الى نظرية العقد الاجتماعى — ما تواتر من احاديث الرسول وآثار الصحابة وقواعد البيعة : من ان (السمع والطاعة) من المحكوم للحاكم انما هما (فى المعروف) . وما يشترط الناس على الحاكم حين مبايعته : ان يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله .

فبذلك يتضح ان (الحكم) فى الاسلام عقد اجتماعى يتم بين الحكومة والأمة .. على ان تكون طاعة الأمة رهنا بقيام الحكومة على العدالة والمعروف .

وفى مجال التشريع :

صدر قبل شهور معدودة كتاب للدكتور بيران وولف اسماه (افضل سنوات المرأة) تحدث فيه عن الطلاق ، واقتراح ان تبذل محاولة للشورى والتوجيه بين اهل الزوجين ، قبل اقدام الرجل على توقيع الطلاق ، او قبل عزم المرأة على طلب الانفكاك من زوجها . ويرى الكاتب الغربى أن يكون الذى يتدخل بين الزوجين المقبلين على الفراق خبيرا محنكا ، او صديقا للطرفين ، أو رجلا من رجال الدين ، أو محاميا ، أو عالما نفسيا .. فاذا رئى بعد ذلك انه لا جدوى او لا مصلحة فى استمرار الحياة الزوجية بينهما . فان الطلاق عندئذ يكون هو الدواء الشافى والحل الوحيد ..

ونحن المسلمين نجد تشريعنا الاسلامى قد سبق الى هذا الرأى الاصلاحى منذ اربعة عشر قرنا .. اذ شرع لنا هذا المنهج الاجتماعى فى آيتين من سورة النساء فى القرآن الكريم احداهما تقول : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » والثانية تقول : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

أن الدكتور بيران وولف يرى الرأى نفسه الذى نزل به القرآن الكريم ووجه به الناس الى بذل محاولة مخلصة ، فى سبيل التوفيق بين الأزواج المتنازعين ، قبل ايقاع الطلاق ، وما يترتب عليه من تشريد أطفال وترميل نساء ..

وفى مجال التخطيط العمرانى :

تظن اجيالنا الناشئة او الصاعدة ان ما يسمونه « تخطيط المدن » من مبتدعات العصر الحديث ، وأنه من ابتكارات الحضارة الغربية العصرية . ويعتذر لهم عن خطأ هذا الظن بعض الكتاب فيزعمون بأن تاريخنا الاسلامى لم يكتب بعد حتى يقرأه الجيل الصاعد ، ويعلم به ما جهل من سوابقنا الحضارية ..

ان تخطيط المدن .. الذى يعنى تنظيم العمارات والشـــوارع والطرقات والميادين والحدائق العامة ، والذى يظن بدعة غربية عصرية ـــ قد عرفته عهود الصحابة رضى الله عنهم ،كما يروى القـــاضى ابو يعلى فى كتابه (الأحكـــام السلطانية) اذ يقول : لقد مصر الصحابة البصرة على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وجعلوها خططا لقبائل اهلها . وجعلوا عرض الشارع الأعظم ستين ذراعا . وجعلوا عرض ما سواه عشرين ذراعا . وجعلوا عرض كل زقاق سبعة اذرع . وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لربط خيلهم .

وبتحويل الأذرع الى امتار نجد ان عرض الشارع العـــام كان منذ ذلـــك العهد السحيق نحوا من اربعين مترا ، والشارع الفرعى خمسة عشر مترا ، والزقاق خمسة امتار او اربعة امتار . وذلك ما لم يتحق فى عصرنا الحاضر .. فى كثير من الشوارع والدروب والأزقة ، فى عدد من البلدان العربية المتطورة ، بل وفى البلاد الأوروبية ايضا :

ويلاحظ ان الرحبة الفسيحة ، التى ذكرها ابو يعلى فى تخطيط البصرة . هى (الميدان) فى تخطيطنا الحديث ، وهو ما يخصص جزء منه موقفا للسيارات وما بقى مدارا لحركة المرور .

ويتحدث الأستاذ حيدر بامات فى كتابه (دور المسلمين فى بناء المدنيـــة الغربية) عن الهندسة المعمارية الاسلامية ، التى اقتبس الغربيون جمالهـــا وجلالها ونفسها العربى ، ويشير الى مدينة الزهراء التى بناها عبد الرحمـــن الناصر ، فى الأندلس ، والى قصر الحمراء بها . ويقول : ان الفـــن الاسلامى المقدس الذى يتجلى فى المساجد ، هو الذى يشهد بعظمة الماضى الاســـلامى وجلاله فى مضمار الهندسة المعمارية . ويؤكد فى نفس الوقت تأثير العـــرب الفنى على الفن الايطالى نتيجة لاقامة العرب فى صقلية . ويشير الأستاذ بامات الى اقتباس الهندسة والزخرفة الاسلاميتين فى كنائس بعض دول اوربا .

• • • • • •

وفى الحضارة الاسلامية سوابق اقتصادية كثيرة ..

فابن خلدون ـــ مثلا ـــ سبق المدارس الاقتصادية الحديثة التى تدعو الى حرية التداول التجارى ، وعدم ايغال الدولة فى التدخل والتسلط والتوجيـــه ، وعدم الاسراف فى فرض الضرائب .

فهو يقول : ان واجب الدولة ان تتأكد من ان الضرائب لا تثمـــر اذا هى فرضت فرضا تعسفيا ، وان الضرائب المعتدلة اعظم حافز على العمل .

ثم يتحدث ابن خلدون ـــ باسهاب ـــ عن المصادرة ، والاحتكار ، وعـــن اشراف الدولة على شؤون التجارة .. حتى ينتهى الى القول : بأن الدولة انمـــا تقوم على الشعب وعلى روح الاقدام والمغامرة التى يتحلى بهـــا ، وعلى مدى انتاجه . ويؤكد : ان المبالغة فى تدخل السلطات الحكومية تعيق التطور الطبيعى للاقتصاد والتجارة ، وتسبب نقصا فى الثروة وضعفا فى الانتاج ...

.. وهذا ما حدث ويحدث فى تجارب بعض المذاهب الاقتصادية الجديدة .. اذ تنقص الثروة ويضعف الانتاج .

• • • • • •

والطب العربي القديم :

وننتقل الآن الى ميدان آخر ، ميدان الطب العربي وسوابقه . حيث نجد الشباب العربي والاسلامي لا يكتفي باهماله مطالعة صفحات التاريخ الاسلامي من سوابق المسلمين الطبية — بل يضيف الى جهله بحضارة الاسلام انكارا لها واستهزاء بها ، ويخوض في حديث الطب العربي القديم ، فيقف منه ذلك الموقف الذميم حيث يصفه بالتخريف والشعوذة :

ولقد كان « الطب » خلال القرون الأولى بعد الهجرة النبوية جزءا لا يتجزأ من الثقافة العربية الاسلامية العامة .. وظهرت مؤلفات عربية طبية ، وقام الأطباء المسلمون بدور فعال في تقدم العلوم الطبية لدى الغرب ، اذ ظلت كتب الرازي — وابن زهر — وابن سينا — وأبي القيس أساسا للدراسات الطبية في المدارس الغربية خلال قرون عديدة . ومن أوسع المؤلفات الطبية العربية وأشهرها كتاب (الحاوي) وكتاب (المنصوري) للرازي ، وكتاب (القانون) في الطب لابن سينا ، الذي نشر بالعربية في روما في أواخر القرن السادس عشر الميلادي ، واتخذ أساسا لتدريس الطب في جامعات فرنسا وايطاليا خلال ستة قرون كاملة .

وقد تحدث الرازي في كتابه (الحاوي) عن الحميات الطفحية ، كالجدري والحصبة . واستحدث الرازي في الصيدلية استعمال المسهلات الخفيفة ، والحجامة في حالات الفالج ، والماء البارد في حالات الحمى المستعصية واستعمال فتيلة الكي .

كما تحدث ابن سيناء في كتابه (القانون) عن علم وظائف الأعضاء ، وعلم الصحة ، وعلم الأمراض ، وعلم المواد الطبية . والف ابن سينا — أيضا — كتابا في علامات أمراض القلب ، ونظم قصائد في الطب وبلغت علاجاته الطبية (٧٦٠) علاجا .

ويعترف العالم الفزيولوجي (هاللر) بأن أبا القاسم خلف بن عباس القرطبي كان اهم جراح عربي ، وكانت مؤلفاته مصدرا ومرجعا لجميع الجراحين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر .

ويقول جوستاف لوبون : ان مدرسة سالون أول مدرسة في أوروبا ، مدينة بكثير من شهرتها للطب العربي .

وقد سبق المسلمون الى « الطب الوقائي » الذي كان معروفا يومذاك بعلم الصحة ، وهو علم يبحث في طرق الوقاية من الأمراض قبل حدوثها . كما سبقوا أيضا الى تدريس الطب في المستشفيات نفسها ، حيث يدرس الطلاب المعارف الطبية بالقرب من أسرة المرضى . وهو ما يتبع الآن في تدريس الطب الحديث ، حيث يقضي الطلاب بعد خروجهم من الكلية عاما في بعض المستشفيات للتمرس بشؤون الفحص ، وطرق العلاج الى جانب الأطباء السابقين المتفوقين ، وقريبا من المرضى الذين يعالجونهم .

كما سبق الطب العربي الاسلامي الى افراد كل نوع من المرضى بمصح خاص كالمجانين — والمجاذيب . وكانت عندهم جمعيات للبر والاحسان تقوم بعلاج المرضى الفقراء في أيام معينة من كل أسبوع . وارساليات طبية في الأماكن البعيدة لمداواة المرضى فيها ، وتوزيع الأدوية عليهم .

وهذا ما يجري عليه الطب الحديث ، حيث تقوم المستشفيات الخاصة لكل صنف من المرض .. كمرض السل ، والجنون ، والعيون الخ .. وكما نرى ونسمع الآن عن المستشفيات المتنقلة ، أو السيارة ، التي ترسل الى القرى والمدن النائية لمعالجة مرضاها .



للأستاذ: أحمد العنانى

كلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقفتنى طويلا .. طويلا ..
واحسست بها راحة هانئة عميقة .. عميقة
ونقلتنى من متاهة نكراء موحشة الى درب امم . صراط سوى
واستشعرت روحى هادئة فى جسدى
وقلبى مستقرا مستريحا فى صدرى
وعينى وجدتهما اهالا دمعتين ثم تحررتا من كرب محتبس كدمعتى طفل ضل عن أهله فى سوق مزدحمة بالناس
ثم فجأة عثر عليهما . وتعلق بأهدابهما . من بعد ان ظن الا تلاقى

□□□

كلمة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم
كانت المفتاح الرئيسى العميد ، الذى يفتح كل الابواب فى عمارة كثيرة الحجرات ، متعددة الابواب .
او الطاقة الصغيرة الخفية ، يتسرب منها النور فى سفح جبل ، فاذا اهتدى اليها عابر سبيل فنظر منها كشفت له من ورائها ومن تحتها عن عالم من الآثار ، وعمائر الحفائر لم تكشف نفسها لكل سائر ..

□□□

ارحنا بها يا بلال
بلال بن أبى رباح الحبشى الذى كان قبل سنوات من هذه الكلمة عبدا حبشيا أسود يجرجره فى وحول المهانة كما يشاء رجل من قريش يسمى أمية ابن خلف .
بلال بن بى رباح الذى كان مولى مهانا . فأصبح اليوم فى مركز صدارة . بين احرار مكة والمدينة المؤمنين ، ثم اذن للصلاة ، لندخل فى فترة من الحياة ، ليس فيها شىء من هذا الذى يزعجنا فى دنيانا ، وبذلك ننتشى ، وننسى وننشط ونتجدد .

□□□

كأنما رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول لبلال بن أبى رباح : هذه الحياة متعبة يا بلال .

متعبة لأن نفوس الناس من داخلهم تتعرض لوساوس تحبب اليهم الكسل وقلة العمل ، وتغريهم مع ذلك بسريع المغنم ومفاجىء الربح .

لأن نفوس الناس من داخلهم نزقة هشة ملولة يصعب عليهـا ان تصبر وتنتظر حتى مطلع الحق ، ويشق عليها ان تجانب الهوى فى الحكم ، وتحتمل عبء النزاهة فى الرأى .

لأن نفوس الناس هلوعة جزوعة ، وعقولهم مشاكسة مجادلة ، وهواهم لجوج ، وقلوبهم حارة قلقة تغاديها الغيرة ، والحيرة ، ويداخلهـا الحسد ، والحسرة ، وتسارع الى القنوط للتافه التافه ، وتضج بالغرور للعارض الزائل .

واذا فالمخرج المخرج .. ومخرج المسلم من ذلك هو الصلاة .

وليس التخدير مثلا بالخمر ، ولا اللهو الشرود بالقمار ، ولا ما دخل فى باب الخمر او اندرج تحت فصيلة القمار .

وانما هى الصلاة يا بلال .
واذا كانت الصلاة كان بالله اتصال

وهناك يكون الصبر الجميل بغير ضجر
واسلام الروح لهداية غراء لا تضل ولا تغدر .

□□□

من لى ببلال يريح المؤمنين بها وهم جماعة !

يصغون لدى التهيؤ لتلك الراحة الى تقى منهم يعلن حلول موسمها .

تقى لا هو ناظر بحسرة الى لونه الاسود أو الاحمر

ولا الذين يسمعونه فى انفسهم شىء له غير الاعجاب والمحبة

كلهم خالصون من الكبرياء والحقد

وهل افسد دنيا الناس اليوم الا كبرياء القوة ، وحقد الضعف ؟

□□□

من لى بالصلاة تؤدى على وجهها حقا ، فتوفر على جيل الضياع الحائر كل هذا الضجيج الذى لا يولد الا ضجيجا مثله واقسى .

نوفر هذه الموسيقى المحمومة الثملة فى حفلات النفاق ، واهتزاز الاجساد الرعن فى حركات كحركات القردة البلهاء .

وهل مسخ الناس الضالون الا قردة بغير أذناب ، وهم فى رقصهم المختلط المجنون ، يفرون من أوصاب الضمائر الملطخة بمظالم النفوس ، فاذا هم فى اسوأ مما فروا منه يرتكسون .

يناديهم لموسيقى « الجاز » رجال اكثرهم من العبدان السود لأن هذه الموسيقى أصلا انفجرت من مظالم المنبوذين فى حضارة الانانية والفساد .

والعبدان يعزفون وهم حاقدون ، يتميزون غيظا على الوافدين والعابثين الراقصين .

والعابثون يفرون من فراغ الكبرياء والنفاق الى كؤوس يشربون فيها مع الخمر دماء المستذلين السوداء .

□□□

وكأنما يقول محمد صلى الله عليه وسلم أرحنا بها يا بلال

اى انقل انفسنا بهذا التغيير المسعد من رتابة الحياة الى الاتصال بالله

انقلها من حالة الاجهاد ، من الصراع ضد الشر والظلام ، الى واحة نغتسل فيها بالضياء ، فنعود أحد عزما ، وأعظم مضاء ، لنستأنف المعركة تحت لواء الحق .

فترة تجدد وتأهب واستعداد

لاستئناف المعركة ، لا للفرار كما يفعل اولياء الشيطان
لأن صلاتنا ونسكنا ومحيانا ومماتنا لله رب العالمين .

□□□

لكن واضحا من كلام الرسول عليه السلام ان الصلاة اذا لم توجد راحة فلا تكون صلاة .

فمن حيث الشكل والاسلوب والاداء — كما نقول اليوم — ثبت أن الرسول عليه السلام قال — وهو يرى مصليا معجلا ينقر فى صلاته نقرا — عن ذلك الرجل « كأنه لم يصل »

ومن حيث الموضوع والمحتوى فان صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ليست ابدا بصلاة .

وانما هى تماوت يميت على المسلمين دينهم كما أشار عمر بن الخطاب عليه رضوان الله . .

□□□

ولكى نستطيع ان نجد الراحة بالصلاة يجب ان نهيىء اسباب الاداء الصحيح لها شكلا وموضوعا . . ففى نطاق الفرد طهارة لا تقبل الاثم ، ولا تسيغه ان يستمر اذا وقع ، ولا تلبث ان تغسل آثاره بالتوبة ونفس لا تستمرىء الكسب الا حلالا ، ولا تعيش على الناس عالة ، وقلب اذا احس القوة لم يجنح الى الكبرياء ، وان استشعر الضعف لم يرتكس فى المذلة او الحقد .

واستعداد دائم لأداء الحساب امام الله عن النفس والاسرة ، وكل ما دخل فى نطاق المسئولية ضاق ذلك ام اتسع .

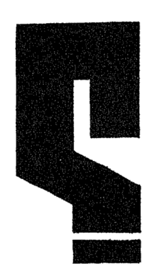
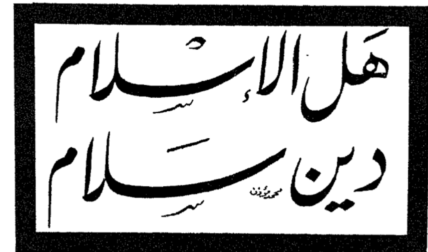
وفى نطاق الامة تباعد عن الشح والانانية ؛ والترف والتبذل ؛ وتاهب نعال للجهاد والتضحية . وبث الحقيقة وحمل الرسالة ولو الى أقاصى الارض ؛ فى محبة مطلقة للمؤمنين . وشدة شديدة على المقاومين والمحاربين .

□□□

وبلال يرفع الاذان قرير العين ساكن البال
يقف فى صف كأنه صف الملائكة حيث ينتهى به المكان
لا يدافع عن موقف لأنه فقير . ولا عن منزلة كرامة لأنه اسود
ولا عن حق لأنه ضعيف
لو عمل لأخذ اجره على تمامه قبل أن يجف عرقه
ولو استأذن على عمر لدخل بسابقة الايمان قبل ابى سفيان
ولو اقعده ضعف او شيخوخة فله فى بيت المال سبيل الى الامان
اما بعد أيها الناس فنحن عبيد الله لا محالة
نعيش اطوارا محتومة بقضائه وننتهى الى حساب عنده
وليس لنا مفر من الله الا اليه
ولذلك يرحمنا ويشرفنا باستقبالنا خمس مرات اليه . يؤتينا من نوره ماتجدد به العزم . ونستأنف النضال والصيال .
فمن كان سبيله غير هذا السبيل . فانما فراره من صعوبة الى مصيبة . ومن قلق الى هم وداهية
واذا سألتم لماذا تظلم دروب الحياة كل هذا الاظلام
فان لكم جوابا لبقا حصيفا من مدرسة فى جامعة ميلانو
هى الدكتورة الدارسة فاجليرى التى تقول :
لقد اشتد الظلام بهجران القرآن
وهل آلة الصلاة ومادتها غير القرآن !

□□□

ليت شعرى هل تنهض العدالة فى الارض كما نهضت ذات يوم !
هل تعلو كلمة الحق كما علت فأضاءت الارض فى ذلك العهد !
هل تصبح الموازين هى العمل والتقوى والفداء فى الله !
هل يرتفع فى الآفاق صوت صادق الاداء كصوت بلال !
فتجد الانسانية المعذبة تلك الراحة الحقة دون راحة القرار القلقة التعسة فى حمأة الشيطان . .
ونسمع صوت الرسول الكريم ونحس ابعاد كلمته المنيرة الخالدة
« ارحنا بها يا بلال » !

هل الاسلام دين سلام ؟

للشيخ : محمد محمد أبو خوات
المدرس الاول بالازهر ــ الاسكندرية

كلما احتفل المسلمون بذكرى الهجرة النبوية ، ثارت ، تساؤلات تتناول اسباب الهجرة ، وما حدث فيها من احداث معجزة ، وقد تتفرع عن هذا احاديث تتناول حقيقة هذا الدين ، أدين حرب أم دين سلام ؟ .

واذا كان هذا الدين دين سلام ــ كما يصفه دعاته ، وكما يبدو من حادث الهجرة ــ فلماذا حمل المسلمون السلاح ؟؟ .

ونحن من جانبنا ــ انطلاقا من حادث الهجرة وبمناسبته ــ نعطى هذا التساؤل حقه من البحث ، اسهاما فى تجلية أمره للمتسائلين ، وردا مقنعا ــ ان شاء الله ــ على المتحاملين ، فنقول وبالله التوفيق ..

اولا : الاسلام دين سلام ، سواء فى دعوته ومبادئه ، أم فى واقع اعتناقه ونشره ..

أ) الدعوة والمبادىء .

فأما الدعوة فهى بطبيعتها دعوة الى السلام ، وذلك لان اكثر ما يثير الخلافات بين البشر ، شعور الجماعة بوضع متميز ظالم يفرض عليها لصالح فرد أو افراد .... ودعوة الاسلام تجردت عن هذا المعنى تجردا كاملا سواء فى ذات المدعو له سبحانه وتعالى ، أم فى شخص الداعى ..

فأما ذات الخالق سبحانه وتعالى ، فقد دعا الاسلام للايمان به ، على اساس من العدل يلجىء كل ذى عقل غير معاند الى الايمان به ومحبته والخضوع له ، .. فعن طريق مخاطبة العقل ومساءلته فى خلق السموات وما فيها من أجرام ، وخلق الارض وما فيها من معادن وماء وزروع وثمار ، وخلق الانسان نفسه وما يميزه عن غيره من اسباب التكليف والتكريم ، وذلك كله من غير ان يزعم احد ــ سواء من الداعى أم المدعوين ــ بأنه هو الذى خلق ، او

بأن شيئا من هذه المخلوقات . هو الذى خلق غيره ، مع اعتبار حب الانسان للعدل والشعور به فى نفسه لدرجة أن يسأل . افمن يخلق كمن لا يخلق ؟ .

اقول . عن طريق مخاطبة العقل ومساءلته فى ذلك كله وغيره ، مما زخرت به صفحات الكتاب الكريم ، يشعر المدعو الى الايمان ، بأن المدعو له حقيق بالايمان به ، جدير بالخضوع له ، وبأن من الظلم العظيم سلب حقه فى العبادة واعطاء هذا الحق لغيره من شمس أو قمر ، أو نبات أو انسان أو حجر ، ومن هنا اعجب المشركون بأسلوب القرآن فى دعوته للخالق ، وأخذوا به وتحيروا فقالوا . « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ،

واعتمدت الدعوة على تأثير القرآن فى نفوس العرب حتى جعلت مجرد سماع المشركين لآياته الباهرات هدفا من اهدافها . « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه » ... ولقد بلغ من تأثرهم به أن تواصوا . « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » ...

وهذه الطريقة فى الدعوة الى الله طريقة سلام ما فى ذلك شك . لانها تعتمد على الاقناع العقلى . والايقان النفسى دون تقلد قوس أو امتشاق حسام ، ولكن اصحاب الزعامة الدينية . والأغنياء السادة المستغلين للتجارة والزراعة والناس من العبيد والفقراء ، تصوروا فى الدعوة الجديدة سلبا لزعاماتهم وقضاء على استغلالهم ، فوقفوا ضد الدين الجديد يحاربونه بكل ما يملكون ، على أن هناكطائفة ثالثة تحجرت عقولها وعميت بصائرها فلم تعرف الى الحق أى سبيل ...

هذا ما سلكته الدعوة بالنسبة الى ذات الله والايمان به . وان شئت فاقرأ الآيات من اول سورة الرعد ، أو آيات سورة النمل من قوله تعالى . (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آلله خير ام ما يشركون ؟.. الى قوله تعالى . (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والارض األه مع الله ؟.قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) .. بل ان شئت فاقرأ القرآن كله تجد الدعوة الى الله قد تجردت عن كل ظلم وقسر ، فهى كما ترى تطلب من المدعوين — بالحق وبالعدل — الايمان والخضوع لمن يستحق الايمان والخضوع ...

وأما شخص الداعى ، فقد حرص على ابراز عبوديته وخضوعه لمن يدعوهم للايمان به والخضوع له : وعاضده القرآن فى ذلك ايما معاضدة فلم يطلب لنفسه ، ولم يطلب له القرآن وضعا متميزا على غيره من المدعوين . « ان عليك الا البلاغ .. ان انت الا نذير . قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ...

ولئن كانت نشأة النبى وحياته نشأة الفقراء وحياتهم . مما جعل المعاندين يأنفون أن يؤمنوا برسالته . لقد كان لهم من مقام أرومته وأصالة محتده ومنزلة آبائه ، ما يجمعهم عليه ان كانت دوافع ايمانهم بصدقه ترتبط بعراقة الاصل ومجد الآباء والجدود ...

وبهذا ثبت ان طبيعة الدعوة . من حيث ذات المدعو اليه وهو الله سبحانه ، ومن حيث صفات الداعى الأصلية ، وما تحلى به بعد تكليفه بالرسالة ، طبيعة سلام ، لأن سلاحها الحق والعدل .

وأما المبادىء التى دعا اليها داعية الاسلام ، فهى مبادىء أمن وسلام ، واصول حياة تقوم على المحبة والنظام ، ونحن اذا استعرضنا قدرا من اهم المبادىء والأصول التى قام عليها هذا الدين ، على انه علاقة بين العبد وربه ، وتنظيم اجتماعى وسياسى واقتصادى بين البشر تبين لنا صدق دعوانا حتى لكأن المقصود بكل مبادىء الاسلام واصوله وقضاياه الكبرى هو تحقيق السلام والأمن والنظام ، برغم ما يلقيه بعض النـــاس من احجـــار فى هـــذا الخضـــم الواسع ، فمهما يلقوا فى البحر يغرق . .

فتنظيم العلاقة بين العبد وربه ، من صـــدق الايمان وكامل الايقـــان ، والصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه المطلوب كما قررته الدعوة فى كتابها وعلى لسان الداعى ، امر يملأ نفس المؤمن معـــرفة للحق — وانفعـــالا بمعانى العدل ، وحبا للخالق يدعوه لطاعته ، فيأتمر بما أمر وينتهى عما نهى ، وهذا كله يصنع من المؤمن انسانا يتخلق بأخلاق الله من العدل والرحمة والأمن والسلام ، مع استحضار حصر الدعوة كلها فى رحمة الله بالخلق ، وما أرسلناك الا رحمة للعالمين . . .

وهذه المعانى تنعكس على علاقة المؤمن بغيره من المخلوقات كلها ، علاوة على مافى الصلاة والزكاة والحج والصيام ، من تجسيد هذه المعانى فى علاقة كل مؤمن بغيره من المخلوقات ، وهذا شىء واضح . ، وكذلك تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين الناس ، لم يكن له من هدف فى الاسلام الا أن تقوم هذه العلاقات على العدل الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، مع ما يغرسه فى نفوس معتنقيه من المحبة والاخاء والايثار .

وبهذه العجالة نستطيع أن نحكم — مستريحى الضمير — بأن الاســـلام فى دعوته ومبادئه دين سلام يكره العنف والاذلال والاعنات ، لانه يكره الظلم ويقيم للحق والعدل أعلى الدعامات . . .

ب) تاريخ الاسلام وواقع نشره واعتناقه .

اما أن الاسلام — من واقع نشره ، وتاريخ اعتناقه — دين سلام ، فذلك باب واسع ، يطول بنا البحث لو تقصينا الاحداث التاريخية والوقائع المروية عن الثقات من الرواة ، التى تدل عليه . .

فالاســـلام عقيدة يمتلىء بها القلب والوجدان فيندفع الانســـان — بها ومن اجلها — الى القيام بمختلف العبادات التى تدل على صدق المعتقد فى اعتقاده ، ولئن كانت العبادات الظاهرة صالحة للمراقبة البشرية والحساب الدنيوى ، فان العقيدة القلبية لا يمكن ان تكون محلا للمراقبة والملاحظة ، لأن عقيدة اى شخص سر من أسرار نفسه ، لا يعرفها على الحقيقة سواه ، ومن هنا لم يكن من الممكن كشف المنافقين الا عن طريق الوحى . . ولننظر . بماذا تكون نجاة المسلم ؟ أبقيامه بالعبادة الظاهرة دون ايمان وايقان ، أم الايمان بالخالق وما يجب له من العبادة والخضوع ايمانا يدفع صاحبه راغبا للعبادة والخضوع ؟ .

وهذا الايمان المطلوب لا تمكن مراقبته ، لانه أمر نفسي . كما لا يمكن القسر عليه ، لان العقائد لا تكتسب بالقوة ولكن تتحقق بالاقتناع . . والا فماذا صنعت قريش حين لجأت الى تعذيب من آمنوا بمحمد ورسالته باقسى انواع التعذيب ؟ . . .

هل ردوا احدا بالقوة وعن طريق القسر عن ايمانه ؟ وهذا جانب من البحث له دلالته على ما نحن فيه . . وفرق بين رجلين يقفان فى صف واحد . احدهما يؤمن بأن عقيدته تستحق ان يبذل فى سبيلها نفسه ، لأن بقاء عقيدته أسمى واعز عنده من بقاء نفسه ، والآخر ياتى الى الصف بلا عقيدة ، فان تحقق النصر فهو مع المنتصرين . وان راى الهزيمة فر وتولى لا يلوى على شىء . فعلى مثل الأول قام الاسلام ونهضت مبادئه . وعلى مثل الثانى تضيع المبادىء والمنادون بها جميعا . . .

واذا كان معنى الدعوة الى الاسلام غرس عقيدة مكان عقيدة . فهل باشر محمد مع من آمن به فى اول آلامر شيئا من اساليب الضغط او الاكراه ، وهو الفقير الذى لا يستطيع أن ينثر الذهب على تابعيه ، البعيد عن مجالس الحكم والرياسة والجاه . بحيث لا يطمع طامع ان ينال من آثار هذه المجالس ادنى نصيب ؟؟ . . . وحين يحدثنا رواة التاريخ عن الحقبة التى قضاها النبى فى مكة قبل الهجرة ، لا نجد فى حديث واحد منهم ، سواء المسلم وغير المسلم ، ما يدل على ان محمدا اكره احدا على الايمان بالله وبرسالته ، بأى نوع من انواع الاكراه . .

وبعد الهجرة ، يثبت التاريخ أن الدعوة الى الله لم تأخذ صورة العنف ابدا ، فقد دخل الرسول يثرب وما يكاد يوجد فيها بيت فيه مسلم ، وقبل الانصار وجود المهاجرين معهم ، واوسعوا لهم فى السكن وفى العمل وفى القلوب جميعا ، واحلوا الرسول من ذلك كله محل الكرامة والعزة والمنعة . ومع ذلك لم يقاتل اليهود الموجودين بها ، بل عقد معهم المعاهدات التى تجعل لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، ولما صارت للمسلمين بالمدينة دولة اصبح عليهم — كما تقضى بذلك سنة العمران — ان يحافظوا على حدود دولتهم . وعلى حقوق مواطنيها من المسلمين وغير المسلمين ، وان يمنعوا عنها بالقوة — اذا لزم الامر — كل من يحاول ان يعتدى على حرماتها او يخترق حدودها ، وذلك شىء من طبيعة العمران لا شأن للدعوة الى الله أو لغير الله فيه . ونخلص من هذه النقطة ، بأن الدعوة الى الله فى المدينة هى نفس الدعوة اليه فى مكة وفى كل مكان ، سبيلها الاقتناع بالحق وبالعدل .

ورغم الغزوات التى خاضها المسلمون بقيادة الرسول الكريم ، والتى اضطروا فيها لحمل السلاح دفاعا عن دولتهم ومواطنيها ، فاننا لا نعدم فى كل غزوة منها روح السلام تبدو من جانب المسلمين ، وروح الاعتداء والغدر والتفاخر بالقوة تبدو من الجانب الآخر . . .

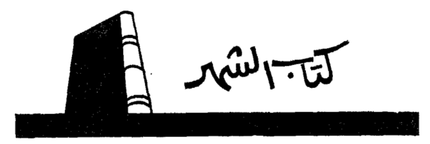
ويروى التاريخ أن من كان يبعثهم الرسول لاسكات من يشغبون على الدولة ؛ كان يأمرهم بألا يقاتلوا الا المقاتلة ؛ أما المسالمون والشيوخ والنساء والمستضعفون . فعلى قادة البعوث الا يتعرضوا لهم بسوء . ومن هذا القبيل قول الله تعالى : « فلا عدوان الا على الظالمين » . .

ويروى التاريخ بمداد من نور موقف النبى والمسلمين فى الحديبية ، ففى سبيل حقن الدماء ، ورغبة فى السلام للجميع قبل النبى شروط الصلح التى عرضها اهل مكة ، رغم ما فيها — فى ظاهر الامر — من اجحاف بالمسلمين الذين كانوا يستطيعون القتال لو كانوا يريدونه ، فقد كانوا الفا واربعمائة ، كل رجل منهم يحب الموت اكثر من حب غيره للحياة . . .

كما يروى التاريخ ان النبى يوم فتح مكة اوصى خالدا بعدم القتال ، وكان خالد قد قاد جزءا من جيش المسلمين عن طريق أسفل مكة (المسفلة) ، وقاد النبى سائر الجيش من طريق أعلى مكة (المعلاة) ، وعزل سعد بن عبادة لما بلغه عنه انه تكلم بلسان الحرب فى موكب السلام ، وأمر أبا سفيان أن ينادى بالأمن والسلام لكل من يفعل اى فعل يدل على رغبته فى السلام ، فمن القى سلاحه ومن دخل المسجد وحتى من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ، وقال لمن اخرجوه منذ ثمانى سنوات بعد أن دبروا قتله ، وقد كانت حياتهم وموتهم على كلمة منه يومئذ ، قولته الخالدة . اذهبوا فأنتم الطلقاء ، وعاتب خالدا عتابا شديدا لما بلغه انه قاتل ، حتى اعتذر خالد بأنه لم يقاتل الا من بدءوه بالقتال .

وبعد الفتح زال الحرج الذى كان مسيطرا على اكثر قبائل العرب ، الذين لم يريدوا أن يغضبوا قريشا ، ولا يودون محاربة الرسول ، فدخل الجميع — دون قتال — فى دين الله أفواجا . . .

ثم لنقف هنا وقفة لنسأل الذين يرمون الحديث من أفواههم ، ترديدا لمن سبقوهم به ، أو انفعالا ببعض المواقف دون بحث ظروفها وأسبابها ، فيقولون . ان هذا الدين فرض على المؤمنين به بالسيف والقوة ، لنسأل هؤلاء . أى الاوقات بعد الهجرة وبدر كان أخصب فى ظهور الدعوة وكثرة المؤمنين بها ، اوقات التربص والخوف أم أوقات الصلح والامن والسلام ؟؟ . ان التاريخ الصادق يحدثنا أن عدد من آمن بهذه الدعوة فى ظل الامن والهدوء والحرية والسلام فى سنتين بعد الحديبية يفوق اضعافا مضاعفة من آمن قبل ذلك فى خمس سنين فى ظل التربص والحذر والخوف — . . . افبعد هذه الحقيقة الواقعة الدامغة ، يكون هذا الدين من واقع نشره والايمان به دين حرب واعنات واكراه ؟؟ . . وهل تصلح هذه الصفات وسائل لتثبيت عقيدة أو تخليد مبادىء أو تأسيس حضارة ، اللهم ان العقيدة ثابتة والمبادىء خالدة والحضارة قائمة ، ولا يمكن أن ينهض هذا كله على الاكراه والاعنات . . . وصدق الله العظيم . «لا اكراه فى الدين» . « افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » . . ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . . . انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء . . . ومن هذا القصص التاريخى المختصر يتبين لنا أن هذا الدين من واقع نشره واعتناقه ، لا تزدهر مبادئه ، ولا يربو عدد تابعيه الا فى ظل الامن والسلام . . .



كتاب "ميلاد الفرق في الإسلام" أو مدخل إلى دراسة الدين الإسلامي

عرض وتلخيص الدكتور محمد غلاب

مؤلف هذا الكتاب استاذ شهير فى الكليج دى فرانس ، وقد الف قبل هذا الكتاب دراسات عن الاسلام ك « محاولة على المذاهب الاجتماعية والسياسة لابن تيمية » و « رسالة عن الحق العـــام عند ابن تيمية » وهى ترجمة مهمشـــة ل « السياسة الشرعية » تأليف ابن تيمية . و « عقيدة ابن بطة » و « الخلافة فى رأى رشيد رضا » وهى ترجمة مهمشة ايضا لكتاب « الخلافة » لهذا الاخير .

وغاية هذا الكتاب الذى نحن بصدده الآن ـ كما يقول المؤلف فى تمهيده ـ هى أن يقدم الى الطلاب الجامعيين الغربيين ، والصفوة العقلية المتطلعة الى التثقف ، سفرا أكثر شمولا وتعمقا فى الفروع المتباينة ؛ وأنواع الثراء الداخلى للاسلام الذى اصبح دوره عظيم الاهمية فى العصر الراهن ، الذى صار من الضرورى فيه أن تتبادل الاديان الكبرى فيما بينها علائق التفاهم والاحترام .

موضوع هذا الكتاب اذن هو تقديم عرض واف للاختلافات الداخلية التى وقعت بين مدارسه وشيعه التى يطلق عليها اسم « الاسرة العقلية العظمى » والتى اختفى كثير منها على مر الزمن ، ولكن عددا منها ـ ولا سيما اقدمها ـ قد برهن على حيوية قوية ثمينة بمقاومة الزمن .

ولـــا لم يكن من الممكن وجود عامل أقوى فى ابراز النشاط ، واستحقاق الاجلال والخلود من عامل التباين فى الآراء والاختلاف فى الفكر ، فقد كان من الطبيعى أن يكون موضوع هذا الكتاب الذى يهدف الى الكشف عن الثراء العقلى فى الاسلام ، هو ابانة هذه الاختلافات .

ولـــا كانت هذه المذاهب وتلك الشيع ابعد ما تكون فى الاختلاف بينها . فقد صح لدى المستشرقين ان يطلقوا عليها عنوان « الانشقاقات الداخلية او التشققات فى الاسلام » .

نبذ المؤلف منهج دراسة هذه الفرق مستقلة بعضها عن بعض ، بمعنى انه لا يعنى فيها الا بالتحليل وحده وسبر اغوار كل فرقة على حدة سائرا على النظام التالى : اى السنية ، والخوارجيـــة ، والشيعية ، والاعتزالية ، والفلسفية ، والصوفية ؛ لأن من عيوب ذلك المنهج الذى نبذه انه لا يسمح للدارس بابراز علائق كل منها بالاخريات ولا بفهم الظروف التى احاطت بها ، ولا بايضاح الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما ، ولا بتحليل الاحداث السياسية والاجتماعية التى احدقت بها . واذن فقد فضل المنهج التاريخى الذى سمح له بالنجاة من هـــذا المأزق ، وان كان قد الجأه الى تخصيص مكان واسع للتاريخ . ولذا يشير الى أن كل مذهب من تلك المذاهب الاســـلامية له جوانب سياسية واقتصـــادية واجتماعية ، لا يمكن فصلها فى سهولة عن مظاهره المذهبية . وهذا ناشىء عن انه لا ينبغى الاغضاء عن أن الناحيتين الروحية والمادية فى الاسلام مرتبطتان ارتباطا غير قابل للانحلال .

ولكي يكون هذا المنهج نزيها ومحايدا ــ كما يحدثنا المؤلف ــ يجب الا يصدر مبتدئا من مدرسة معينة يدرس الباقيات على ضوئها ولو كانت اكثرية او ظافرة بالرجحان ، بل هو يقتصر على دراسة الظروف والاوقات والبيئات التى نشأت فيها هذه المدارس وتطورت عبر التاريخ ، كما يعول فى دراسته على المؤيدات السياسية التى سندتها ، والخصوم الذين شوهوها أو هاجموها ، فاذا فرغ من هذا ، شرع فى تحليلها ، ووضع طوابعها التى تميزها عن سوابقها ولواحقها ، وابان زعماءها وعلماءها .

يتألف هذا الكتاب بعد التمهيد الذى اشرنا اليه آنفا ــ من احد عشر فصلا وخاتمة علمية تحليلية طويلة . فأما الفصول العشرة الاول ، فقد خصصها لدراسة الشيع والفرق مقترنة بتاريخ الخلفاء وآرائهم ، منذ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى نهاية القرن الثامن عشر . وأما الفصل الحادى عشر ، فانه يهجر فيه التاريخ نهائيا ويخصصه لتلخيص واف يحتوى أهم الحركات الدينية والسياسية والاصلاحية او التطورية . وأما الخاتمة فهى تعنى على الاخص بالنقاط البارزة التى يحدث فيها الجدل من كل مذهب ، والتى تسفر المناقشات فيها عن اتفاقات جامعة ، أو اختلافات مفرقة . وقد اعتمد فى هذا كله على آراء علماء المسلمين الادقاء التى وردت فى كتبهم المعتمـــدة . ولم يعول فى هـــذه المناقشات على الباحثين الغربيين الا قليلا وفى كثير من التحفظ والاحتياط .

عرض سريع :

يبدأ مؤلفنا هذا العرض السريع بانه لا يكاد النبى صلوات الله عليه يلتحق بالملأ الاعلى حتى تبدو مسوغات الانشقاقات . وسر هذا كله هو أولا اختلاف الامزجة والاهواء والغايات بين الصحابة الذين انبجست منهم منابع الخلاف . ثانيا : سخط الذين آمنوا فى مبدأ الرسالة على من آمنوا اخيرا !! وكان الاولون يتهمونهم بالانتهازية ، بل وصل بعضهم الى حد القول بأن عددا من المسلمين الاخيرين لم يؤمنوا الا للفوز بالغنائم والمناصب ، ورغم هذا وضعوا فى صفوف السابقين ، وعلى نفس مستواهم بلا تفريق ولا تمييز !! ثالثـــا : تمرد البدو والمنقسمين على انفسهم فى الشمال والجنوب ، والذين كانوا حديثى عهد بالاسلام من جهة ، وساخطين على تقدم قريش عليهم فى الرياسات من جهة اخرى . غير أن قوة الخليفتين الاولين ، وحزمهما وايمانهما وشجاعتهما قد قضت على هذه الفتنة الاولى فى مهدها . على أن هذه الجهود الجبارة التى بذلها ذانك الخليفتان العظيمان لم تمنع بعض متأخرى الشيعة من مخـــالب الهررة التى حاولوا ان

يخدشوا بها تصرفاتهما الحكيمة فيما نقله مؤلفنا عن ابن تيمية وابن كثير ، كان اخذوا على ابى بكر مثلا انه غاصب للخلافة فرضه عمر بن الخطاب على المؤمنين فرضا ، وانه اعتبر منع الزكاة ردة يستحق عليها فاعلوها القتل ، وقتلهم فعلا ، وانه ارتكن على حديث آحادى لم يروه الا هو ، فمنع فاطمة من ميراث ابيها . واسندوا الى عمر عدم تطبيق الحدود كما وردت عن الله ورسوله ، وانه منح عائشة وحفصة ابنته نفقات أكثر مما تستحقانه .

ولكن التشققات الحقيقية الاولى ، قد بدات تكشر عن انيابها فى عهد عثمان وانتهت بقتله . ذلك الحادث الجلل الذى تسببت الاحكام المتباينة عليه — فيما بعد — فى اختلافات جسيمة من جانب اهل السنة والشيعة والخوارج . وعلى اثر ذلك فتحت مسألة خلافة الامام على كرم الله وجهه ابواب الانشقاق الاول ، وهو وجود عصبة الخوارج والاحكام التى صدرت عليها فى القرون التالية ، ونشأة الشيعة المغـالية التى رمى مؤسسوها الاولون بالزندقة ، ثم انتشار الشيعة بوجه عام وفى شىء من العنف بعد فاجعة كربلاء .

ثم يتابع المؤلف بعد ذلك دراسة نشأة الفرق الشيعية المختلفة على مر الزمن مع أحكام علماء الاكثرية لها أو عليها كالكيسانية ، والحربية ، والبيانية ، والباقرية ، والمنصورية . وكذلك نشأة المرجئة . ثم يستمر فى دراسة الخوارجية بأفرعها الثلاثة : الصفرية ، والاباضية ، والازارقة ومناضلاتها السياسية والدينية ضد الامويين . ثم يحدثنا كيف أن خلفاء بنى امية — بعد أن حطموا الشيعية والخوارجية — يهاجمون القدرية التى اسسها معبد الجهنى ، والجهمية التى اسسها جهم بن صفوان . ثم يصل بعد ذلك الى المعتزلة فيحدثنا أنها نشأت فى أواخر حكم بنى امية ، وان مؤسسها هو واصل بن عطاء ، وانها كانت فى أول أمرها مذهبية محضة قبل أن تختلط بالسياسة وتظفر بالاهمية العظمى ، وتتأرجح بين عواصف أهواء الخلفاء فى العصر العباسى . ولم تكن المعتزلة وحدها هى التى قاست أهوال الخضوع للخلفاء ، بل ان الشيعة ايضا قد كان لها معهم مواقف عنيفة ، فلم يكد الخلفاء الاولون من العباسيين ينتهون من القضاء على الامويين حتى تفرغوا للعلويين فصبوا جام غضبهم واضطهادهم على الشيعة عامة ، والزيدية خاصة . وليس هذا فحسب ، بل ان الفروع الشيعية التى نشأت بعد جعفر الصادق كالناوسية ، والموسوية ، والخطابية وغيرها من المذاهب والفرق التى نشأت فى ذلك العهد ، والتى كان تعددها وتعارضها سببا فى تكون المذهب السنى وتسميته بهـذا الاسم أملا فى العثـور على الصراط المستقيم الذى يقتاد اتباعه الى أهداف الرسول التى لم تشوهها البدع ، ولم تنل منها الاغراض . وكان من بين المؤسسين الاولين لهذه الجماعة تحت اسم « اهل السنة » عدد من تلاميذ الحسن البصرى ، وابن سيرين ، وابو قلابة ، وابو حنيفة ، ومالك بن انس .

ولمـا ولى المأمون الخلافة اراد محو الشقاق بين العباسيين والعلويين بحجة أنهم جميعا هاشميون ، فدعاه ذلك الى رعاية الشيعيين وحمايتهم لأنهم انصار اهل البيت الهاشميين ، وقد سند الاعتزال ، وايد المعتزلة بكل ما لديه من قوة ، بل صار هو نفسه معتزليا مقتنعا قوى الشكيمة ، ولكن هذه المناصرة للمعتزلة جعلتها تطغى وتضطهد زعماء أهل السنة ، وعلى الاخص الامام احمد بن حنبل الذى يحدثنا ابن الجوزى أن الخليفة المعتصم قد أمر بجلده وسجنه فجلد وسجن ، ولم يظفر بحريته الا بعد ثمانية وعشرين شهرا .

بيد أن هذا لم يدم طويلا ، اذ لم يكد الخليفة المتوكل يلى الحكم حتى جعل رد الفعل يظهر ويتجلى فى حياة أهل السنة فيستعيدون قوتهم ويكافحون ضد الشيعة والمعتزلة .

وليس هذا فحسب ، بل ان شأن هذه الجماعة جعل ينمو ويعظم . وفى ذلك العهد ظهر فيها عدد من العلماء حملوا لواءها بهيئة مشرفة ترفع الرؤوس ، وتسجل مواقف العقلية الاسلامية بأحرف الخلود كالترمذى . والنسائى ، وابى بكر الخلال . وابى بكر السجستانى ، وعلى الاخص توجت اعمالها فى هـذه الحقبة بمنتجات ابى الحسن الاشعرى الذى كان مذهبه على قمة الاعتدال بين الحنابلة والمعتزلة . والذى رفع نجاحه راس أهل السنة خاصة . وعلماء الكلام عامة . وقد ظلت الحال على هذا المنوال من التقدم ووفرة الانتـاج حتى تم الامر لأسرة البويهيين فى سنة ٣٣٤ هـ وجعل الخلفاء السنيون يضعفون شيئا فشيئا . ويهبط معهم حظ أهل السنة من التلألؤ . وكان الاشعرى قد توفى منذ سنة ٣٢٤ هـ .

وعند ذلك رفعت طوائف الشيعة رؤوسها لا سيما فرعى الاسماعيليين القرامطة . والفاطميين الذين كان لهم فيما بعد شأن عظيم فى مصر ثم فى أصقاع الدروز . ومعنى هذا أن جماعتى السنية والشـيعية المعتدلة فى مطلع حكم البويهيين كانتا قد وقفتا على اقدامهما . وكذلك الصوفية كجماعة محددة ، والفلسفة التى ان كانت قد تأثرت بالعناصر الاغريقية ، فانها لا تزال اذ ذاك فى داخل المحيط الاسلامى .

وفى منتصف القرن الرابع الهجرى استولى الفاطميون على مصر ونشروا فيها مذهبهم . وبهذا أحيط مذهب أهل السنة بعوامل المحاربة والاضعاف من كل جهة ، فالفاطميون فى مصر . والبويهيون فى بغداد قد ضيقوا عليها الخناق ، ولم يبق لها ولى ولا نصير سوى السلطان محمود الغزنـوى . وفى اثناء هذا الاحداق الخانق من كل الجوانب هب السلاجقة السنيون واستولوا على بغداد فى سنة ٤٤٥ للهجرة ، فتنفس أهل السنة الصعداء ، وجعلت مدارسهم تنتعش . ولهذا كان القرنان الرابع والخامس ساطعين فى المعارف الدينية بأنواعها : فمن أهل السنة ظهر ابو بكر الآجرى ، وأبو حسين الملطى ، وابن بطة العكبرى ، وابو بكر الباقلانى ، والحاكم النيسـابورى ، وأبو منصور البغدادى وامام الحرمين الجوينى . والامام الغزالى . ومن المحيط الشيعى برز الشيخ المفيد ، والشريف المرتضى ، وابو جعفر الطوسى فى الشرق . وابن حزم فى الغرب ، وكان فى عصره أقوى المدافعين عن المذهب الظاهرى .

وعندما هزم الايوبيون الفاطميين فى مصر وسوريا زادت قوة اهل السنة واخذ نجمها فى الصعود . فظهر ابن الجوزى الذى يعتبر كتابه « تلبيس ابليس » موسوعة جامعة لكل المذاهب المغالية والشيع المتطرفة التى نبذها أهل السنة وهاجموها مهاجمات تتفاوت عنفا ولينا بتفاوت ابتعادها فى رأيهم عن مبادىء الدين .

وفى أواخر ذلك العصر ازهر امام العارفين محيى الدين بن عربى ، وكان متمتعا برعاية الملك الاشرف الايوبى فى دمشق تلك الرعاية التى انبثق منهـا هدوؤه الصـافى الذى سمح له بتسـجيل تلك النفحات القدسية فى كتاب « الفتوحات المكية » .

بيـد أنه لم يكد القرن السـادس الهجرى ينتهى حتى تغيرت الظروف والاجواء ، فجعل الخلفاء العباسيون الثلاثة : الناصر ، والظاهر ، والمستنصر يحسون بشـدة الضيق من السـلاجقة ، ويفكرون فى التخلص منهم ، وقـد اضطرهم هذا الى الاستعانة عليهم بوزراء شيعيين دون أن يلتفتوا الى مذاهبهم الدينية ما داموا سيحققون لهم أغراضهم السياسية . ولما تولى الخليفة الضعيف المستعصم ، لم يستطع أن يقاوم غزو المغول الذى لم يكد يتم حتى اعتنق الغزاة

مذاهب الشيعة وتحولوا الى جانبهم ، فعلا نجمهم ، وقويت شوكتهم . ولكن سلاطين المماليك السنيين — بعد أن انتصروا على فلول الايوبيين فى مصر وسوريا — اخذوا يكافحون الشيعية المغولية المنتشرة فى بغداد ، وجعلوا يناصرون المذهب السنى حتى استعاد حيويته وانتعاشه فى القرون الاربعة : من السابع الى العاشر .

ومما ساد فى عصر المماليك بعث الحنبلية الذين كانوا مضطهدين فى بغداد فى عهد المغول ، وقد مثل هذا البعث على الاخص ابن تيمية الذى كافح — بمنتجاته القوية فى القاهرة ودمشق حتى وفاته — ضد اسلام المغول المشتبه فيه من اساسه ، وضد الشيعة والمبتدعة ، والباطنية ، وضد المتكلمين عامة ، والاشاعرة خاصة .

وفى نهاية الربع الاول من القرن العاشر الهجرى . تم للعثمانيين الاستيلاء على مصر بعد أن شنقوا طومان باى آخر سلاطين المماليك ، وفى هذه الفترة عينها حاربوا الشيعة حتى هزموها فى شخص الشاه اسماعيل الذى كان قد جمع حوله الايرانيين والعراقيين والمغول . وبعد أن انتصر السلطان سليم على الشيعة من جهة ، والمماليك من جهة أخرى ، وفاز بسبب هذا ، بلقب السلطان السنى الاقوى فى العالم الاسلامى ، بل اعلن أنه اصبح الوارث العملى للخلافة غير أن النضال ضد اسرة الشاه اسماعيل قد استمر بحظوظ مختلفة ونتائج متباينة . ولم ينقطع الا فى القرن الثانى عشر الهجرى حين عقد نادر شاه معاهدة السلام مع العثمانيين سنة ١١٦٠ هـ .

وفى عهد المماليك والعثمانيين السنيين ، نلتقى بعدد من المتكلمين المتأخرين، والمؤرخين المحققين كعضد الدين الأيجى مؤلف كتاب « المواقف » الذى شرحه الجرجانى ، والدوانى ، وكتاب « العقائد العضدية » الذى همش عليه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . وكتاج الدين السبكى مؤلف « طبقات الشافعية » : وابن خلدون ، والمقريزى ، والسيوطى الاشعرى الشافعى الشاذلى المؤرخ المعروف ، وابى البركات النسفى الماتريدى الحنفى مؤلف كتابى « العمدة » و « الكنز » . وقد اعتمد فى تأليف هذا الاخير على كتاب « الهداية » وسعد الدين التفتازانى شارح كتاب نجم الدين النسفى الماتريدى .

وبهذا ينهى مؤلفنا الفصول العشرة الاول من كتابه التى لخصناها تلخيصا عاجلا ، بل خاطفا ، ولم نكد نرسم منها سوى خطوطها العريضة التى دلت على سعة اطلاع داعية للاعجاب بهذا المؤلف المثقف الدقيق النزيه . .

غير أن هذا العرض السريع لم يمنعه من أن يخصص جانبا عظيما من الاهمية للسنية والشيعية المعتدلة ، ولكن ذلك التمييز من جانب المؤلف لم يكن بعنوان السلفية بل بسبب أهميتها من وجهة أن زعماءهما من اكبر علماء الاسلام . وأن اتباعهما هم الاكثرية الغالبة من المؤمنين . وأنهما كانتا دائما دين الدولة الرسمى على التوالى . او متعاصرتين فى هذه المنزلة الرسمية فى امتين مختلفتين من الامم الاسلامية . وقد دفع هذا الاعتبار مؤلفنا الى الاحساس بهذه الضرورة العلمية . وهى ابراز آراء اكبر علماء الاسلام من هاتين الطائفتين كل منهما فى الاخرى على التبادل . ثم معرفة آرائهم فى المذاهب الباقية . ولما كانت كل طائفة من هاتين الطائفتين تضم بين دفتيها شيعا كثيرة وفرقا متباينة (تنقسم امتى الى اثنتين وسبعين فرقة) فقد تباينت احكام كل فرع من كل طائفة على الاخر من اتباعها وخصومها . وقد اعتمد مؤلفنا — فى فهمه وتحليله واحكامه — على أمهات كتب هذه المذاهب وأساسياتها الرئيسية ، وكتب التاريخ الموثوق بها مثل : (كتاب السنة) لاحمد بن حنبل و (منهج السنة النبوية) لابن تيمية . و (تلبيس ابليس) لابن الجوزى ، و (أصول الدين) لعبد القاهر

البغدادي ، و (الفرق بين الفرق) لنفس المؤلف ، و (مقالات الاسلاميين) للأشعرى ؛ وكتاب (الفصل) لابن حزم ، و (الطبقات الكبرى) لابن سعد ، و (الملل والنحل) للشهرستاني ، وكتاب (الخطط) للمقريزى ، و (الخطط) لابن الأثير ، و (تاريخ الامم والملوك) للطبرى . وكتاب (الارشاد) للشيخ المفيد ، و (منهاج الكرامة في معرفة الامامة) لجمال الدين الحلى ، و (فرق الشيعة) لحسن بن موسى النوبختي ، و (فهرست كتب الشيعة) لأبى جعفر الطوسى . وكتاب (طبقات المعتزلة) لابن المرتضى . وكثير غير هذا من المصادر الاسلامية والاوروبية التى يعتبر مؤلفوها من أعيان الباحثين ك (ماسينيون) و (هنرى كوربان) و (رينيه بلاشير) و (بروكيلمان) و (دونالسون) و (نادير) وما الى ذلك مما يؤلف مجموعة محترمة من المستندات المذهبية والتاريخية المعتمدة التى سمحت له بأن يجرى تحليلات دقيقة لعلماء المسلمين البارزين كالغزالى ، وابن حنبل ، وابن تيمية ، وجمال الدين الحلى .

ومما يلفت النظر في هذه الدراسة أن المؤلف هنا قد عنى بمذهب أهل السنة عناية فائقة يبدو من خلالها امتياز هذه الطائفة ورجحانها على بقية الطوائف الاسلامية ، فخصص لها مكانا واسعا في كتابه تناول فيه نشأتها وطرفيها : السلبى والايجابى اللذين وضعهما لها مؤرخو الحركة العقلية الاسلامية الذين وصفوها في النظرة الاولى بأنها تنبذ جميع المذاهب التى شققت الاسلام قبل تكونها . وصوروها في النظرة الثانية مرتبطة بالكتاب الكريم والسنة الصحيحة والاجماع المعتبر احكم انواع الارتباط . ويستنبط المؤلف من هذا أن من العناصر الرئيسية التى هيأت الانتصار الرائع للسنية على جميع الفرق عنصر ذلك الوضع المعتدل بين الشيعة والخوارج . ومن هذه العناصر أيضا الواقعية السياسية التى تأمر بطاعة السلطات الحاكمة ما دامت لا تأمر بعصيان الله ورسوله « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » . ومن ذلك أيضا الاغضاء عن جميع الانشقاقات التى وقعت بين الصحابة ، أو تصغيرها ، أو تصيد الاعذار لفاعليها بقدر المستطاع . ومن هذه العناصر كذلك اعتبار الخلفاء الراشدين الاربعة شرعيين ، وقبول من جاءوا بعدهم من خلفاء المسلمين وأمرائهم مهما قيل في شأنهم . وقد جعل هذا العنصر الاخير أهل السنة جديرين حقا باسم مذهب (جمع الامة الاسلامية) . ولكى توفق هذه الجماعة بين الآراء الداخلية لدى طوائفها الفرعية اقرت مذهبى أهل الحديث وأهل الرأى ، ذلك الاقرار الذى لا أدرى لماذا يطلق عليه مؤلفنا — وهو دقيق معتدل — اسم الوسيلة التى تشوبها الصناعة قليلا . وكان ينبغي له أن يسميه بالوسيلة الحكيمة أو السياسة الرشيدة . ومن آيات استحقاق هذا الاقرار للرشاد والحكمة ما أنتجه من ثمار مفيدة خالدة .

ومهما يكن من الامر ، فان الدور الذى مثله أهل الحديث وأهل الرأى وكل ما يتصل بهم على مر الزمن من قريب أو من بعيد والخلفاء أو السلاطين الذين كانوا ينعطفون نحو المذهب السنى ، والاهمية التى ظفر بها مذهب أهل السنة ، كل ذلك قد فاز بنصيب الاسد من عناية مؤلفنا .

وتلى هذه المنزلة عنده منزلة الشيعة المعتدلة ، اذ يعنى بقيمة زعمائها العقلية والعلمية وبنضالهم القوى ضد غلاة الشيعة ، وضد جميع الفرق التى احدثت تشققات في الصفوف الاسلامية ، أو فتحت ثغرات في الامة .

وبعد هاتين المنزلتين العظيمتين ، وضع مؤلفنا المعتزلة الذين صاروا — منذ عهد المأمون وخلفيه المعتصم والواثق — على رأس مدارس علم الكلام . وفي الحق أن هذه الطائفة من المتكلمين الممتازين ، قد طبعت العقلية الاسلامية بطابع قوى سواء أكان ذلك عن طريق التأثير المباشر أم عن طريق رد الفعل الذى تولد

من مجادلاتهم فيما بينهم من جهة ، وما وقع بينهم وبين غيرهم من جهة اخرى .
وقد خصص المؤلف فى كتابه دراســـة تحليلية هامة لمبـدأ الحركة الاعتزالية ولمؤسسـها واصل بن عطاء . وقد تتبع هذه الحركات عبر التاريخ الاســلامى مسجلا اهم الاحكام التى صــدرت لهم أو عليهم من اعاظم العلمــاء السنيين والشيعيين ، وقد اهتم على الاخص بمبادئهم الاساسية وقواعدهم الخمس التى اتفقوا عليها والتى وصفها بأنها قد احتلت المنزلة الاولى فى المجادلات الاسلامية .
وبعد ذلك علق على هذه الدراسة التحليلية النزيهة بأن المعتزلة هم مع الفلاسفة ، ابرز فرق المسلمين التى استرعت انتباه الباحثين الاوروبيين وشغلت من مؤلفاتهم عددا وفيرا .
واخيرا خصص مكانا واسعا من كتابه للصوفية وابان كيف أن التصوف ــ بسبب انبثاق اصوله من الاسلام ــ كان موضع القبول الذى لا مشاحة فيه ، بل كان فى مرتبة الحب والرعاية والثقة والدعاية من اتقياء المسلمين واذكيائهم .
ولكن هــذه الخطوة قد تبدلت عندما خضع التصوف للتــأثيرات : الهندية ، والفارسية ، والاغريقية . وقد عنى مؤلفنا ــ فى هذا الموقف كما فى غيره ــ بتسجيل الاحكام التى دانت التصوف عن دقة وتثبت حينا ، وعن ســطحية وقشورية حينا آخر ، وعن اهواء نفسية ، واغراض فردية حينا ثالثا .

الحركات التطورية :

اسلفنا أن الفصل الحادى عشر قد عنى بالحركات التطورية منذ القرن الثامن عشر حتى الان ، فعرض للوهابية وابرز جانبا واضحا من حرص زعمائها على مزج الاسرة السعودية بالمذهب الوهابى حتى جعلوا منهما وحدة لا تتجزأ .
وكذلك لخص ما يدعى « بعصر التنظيمات » فى تركيا . ثم بسط الحديث عن السيد جمال الدين الافغانى ، والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، والسيد رشيد رضا ، ثم عرض للحركة المهدية فى السودان حيث يرى أثر الاستعمار البريطانى بارزا ملموسا ، ويشاهد انقلاب الفتن الانجليزية ضــد صانعيها ، وانتصارهم حينا ، وانهزامهم أحيانا .
وبعد ذلك يقف هنيهة عند السنوسية فيشرح ميولها وحركاتهــا الدينية الممتزجة بسياسة الانعزال عن التيارات الاوروبية .
وعلى أثر انتهاء المؤلف من افريقيا يعود الى آسيا ، ويعرض للهند فيدرس فيها الحركات الدينية والسياسية التى لا يفوته أن يسجل أنها لم تدرس كمــا ينبغى ، وان الباحثين الغربيين لم يمنحوها ما تستحقه من العناية . ومن هذه الحركات مثلا حركتا الفرائضية ، والمجاهدية ، وهما كلتاهما ضد الاستعمار الانجليزى ، وحركتا البهادرية التى يتزعمها السيد سيد احمد خان بهــادر ، والاحمدية التى كان يقودها ميرزا غلام احمد ، وكلاهما من مؤيدى الاحتــلال الانجليزى . ولذا كان أكثر ابتداعاتهما خارجا على الاسلام السنى .
وبعد أن يفرغ من هذه الحركات يلقى نظرة فاحصة على حركات : الشيخية التى يتزعمها الشيخ الاحســائى ، والبابية التى يراســها السيد على محمد الشيرازى الملقب بالبابى ، والتى كان لها تاثير سياسى بارز ، وتركت وراءها انتاجا ادبيا رائعا ، والبهائية التى اسسها ميرزا حسين على نورى تلميذ البابى . وهذه الحركات الثلاث الاخيرة متفرعة عن الدوحة الشيعية .
ونحن نرى ــ بعد القراءة المتمعنة المستانية ــ انه كتاب قيم جدير بالتداول والتشجيع ، بل نرى وجوب ترجمته لا لنظرته العميقة فى الاسلام وتاييده اياه ، وتادبه الفائق مع علمائه الاقدمين فحسب ، بل لأن مجرد الاطلاع على المراجع الاصيلة التى يسجلها يشعر كثيرا من مثقفى المسلمين النزهاء الحساسين بالخجل العميق لانهم لم يروها قبل استعراضهم هذا السفر الجليل .

قصة من التاريخ الإسلامي

السيدة أسماء

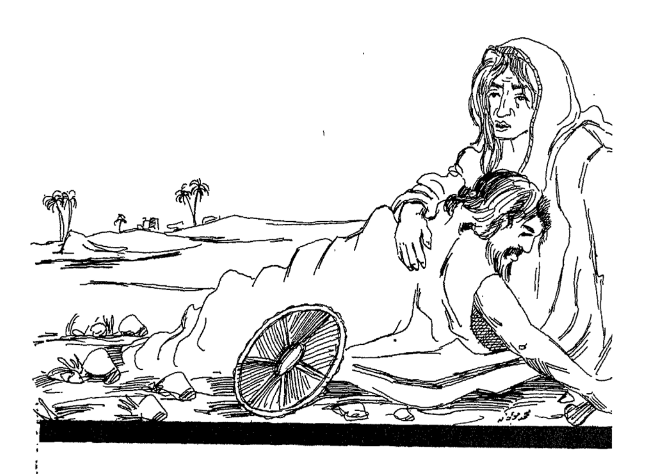
للأستاذ: محمد لبيب البوهي

دار دولاب الأيام بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وقد أتم الله نعمته على الناس ، وارتضى لهم الاسلام دينا ، وأشرقت الارض بنور ربها ، وامتلأت عدلا وفضلا وعلما ، وانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار مولاه الكريم ، ولحق به بعد ذلك ابو بكر ، ثم عمر ، ثم بقية الراشدين ، وتقف بنا الأحداث عند سيدة مؤمنة فاضلة هى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وعن ابيها وعن كل المؤمنين والصالحين الى يوم تقوم الساعة .

ذات النطاقين

وأسماء هى صاحبة القصة المعروفة يوم الغار ، اذ ضربت المثل الأعلى فى الشجاعة فى حادث الهجرة يوم كانت تحمل الطعام الى النبى صلى الله عليه وسلم وأبيها اذ هما فى الغار ، وكانت من الذكاء بحيث أدركت بأن تدميها ستتركان أثرهما على الرمال حين تسير ، فيعرف المشركون المكان ، فكانت تأخذ معها خادما لها يرعى الغنم ، وتسير بحيث تجعل الأغنام من خلفها ، فتطمس الأغنام معالم قدميها ، وقد شدت الى كتفيها اناءين بحزام لها هو نطاق قد شقته ، فجعلته شطرين ، ولذلك سماها النبى صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين ، وهى التى وضعت بعد الهجرة اول مولود يولد فى الاسلام هو عبد الله بن الزبير الذى حملته حين وضعته الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فتناوله بيديه الشريفتين ثم قبله ، ودعا له بالخير .

هذه مقدمة يسيره عن أسماء ، لندخل بعد ذلك الى بعض الأحداث التى أشرقت فيها فضائل هذه السيدة الكريمة ، فقد كانت قد نيفت على المائة من عمرها ، وما زالت تجلس لتعليم المؤمنين الذين كانوا يأتون الى حلقة درسها من كل فج عميق ، فقد كانت فى شيخوختها مصباحا منيرا من مصابيح العلم ، وامتحنتها بعد ذلك الأيام باقسى ما تمتحن به امراة وام ...



ذلك انه لما تولى معاوية الثانى أمر الخلافة ، لم يرض عنه أهل الحجاز ، واسرعوا الى عبد الله بن الزبير وهو ولد السيدة اسماء ـ يبايعونه فى مكة ، لما يعلمون من علمه وورعه ، وعجز الأمويون عن اخضاع عبد اللـه ، فحاربوه فأرسل عبد الملك بن مروان قائد جيوشه الحجاج بن يوسف على راس جيش كبير ، فحاصر مكة ، وذهب يضربها بالمنجانيق ، وهى اشبه ما تكون بالقنابل تصنع من الحجارة ، فتوضع فى المقاليع الهائلة ، ويرمى بها الناس والدور ، وذهب الحجاج يلتمس من أنصار عبد الله ضعاف النفوس ، فيغريهم بالمال الكثير ، والجاه العريض ، والضعف في كل زمان ومكان كائن فى الناس ، والشيطان يغوى هؤلاء بالعاجل من زينة الحياة وترفها ، ويهون لهم ما يكون من شأن الخيانة وعاقبتها ، ويلتمس لهم من ذات انفسهم أسبابا ينيم بها ما قد يكون هناك من بقايا الضمير ، فانفض عن عبد الله أنصاره أو أكثرهم ، وبقى وحيدا او شبه وحيد ، يلوذ بالحرم ، يسأل الله من هذه الفتنة النجاة .

وعلمت امه العجوز أسماء بمأساة ولدها عبد الله ، وما هو فيه من شدة وبلاء ، وانصراف أعوان ، ووقوفه فى مواجهة الشر الكبير وحيدا .

وكانت الأم حينذاك فى المدينة ، فأسرعت بالسفر الى مكـة ، تتحامل على ضعفها ، وفى قلبها ما يكون فى قلوب الأمهات من الهم والغم ، والاشفاق على ولدها الذى لا تدرى اتصل الى مكة فتراه حيا ، أم تكون سيوف الفتنة قد ناشته من كل جانب ، وأذاقته كأس المنايا ، فلا يقدر لها أن تراه .

وأسرع اليها الحجاج يطلب اليها أن تطلب الى ولدها تسليم نفسه ، وسيضمن له حينذاك العفو والعافية ، وتركها على هذا الرجاء تذهب الى ولدها فى مكانه من داخل الحرم .

وشدت من قامتها حتى علت على الأحداث . وتصاغرت الدنيا تحت قدميها ، وتداخل بعضها فى بعض ، وتركت كل شىء جانبا ، وأمسكت قلب الأم بقبضة من حديد ، ونحت كل عاطفة جانبا لتشد من أزر ولدها بما يجعله يواجه الدنيا والأحداث والفتن بروح المؤمن الذى لا يساوم فى الحق ولا يلين .

لقد لقيها عبد الله قرير العين ، واسرع فدفن وجهه فى صدر الأم الحنون ، وشعر بدفء الحياة والأمن فى أحضان الأمومة ، ثم أخذ بيدها ، وأجلسها الى جانبه ، وراح يلتمس منها نصحا ، فقال رضى الله عنه : « يا اماه لقد خذلنى الناس حتى من كان منهم من خاصة اهلى ، فلم يبقى معى الا الله ، وها هى ذى جيوش الحجاج تحاصرنى ، وان قوتى لن تقوى على مواجهة بأسهم ، وان رسل الحجاج وعبد الملك يصلون الى تباعا يعرضون على اقصى ما يتمنى المرء من رغد ودنيا ونعيم ، ويضمنون لي الأمن والعافية والسلامة .

ونظرت الأم المحطمة القلب ، الملتساعة الفؤاد الى ولدها ، واطرقت راسها ، وظن انه لمس وترا من قلبها ، وانها ستوصيه بما توصى به كل أم فى مثل هذه الساعة ، وهى تتمنى لودها العافية والنجاة .

وطال صمتها ، واربد وجهها ، وارتعشت شفتاها ، وهبت بعد ذلك واقفة كالطود ، واخذت تمسح رأس ولدها فى عطف ومودة ، فأسرع مرة أخرى ، ولاذ برحاب حنانها وعطفها وبرها ، يلتمس آخر ما فى الوجود من قطرات الحنان ، وجاءه صوتها هادئا قويا وقورا مستأنيا تشرق كل حروفه بنور الايمان ..

اى ولدى عبد الله . تلتمس منى الراى والمشورة !؟ انك اعلم يا ولدى بنفسك فان كنت على حق ، واليه تدعو فقد قتل على الحق اصحابك ، فلا تمكن من نفسك بني امية ، وان كنت انما تريد الدنيا فبئس العبد انت ، اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك .

وعاودت تمسح راسه في رفق ، ثم ودعته بنظرة تتصارع في وميضها اقصي ما عرفته البشرية من حنان وحب ، وهي تدرك انها تودع أحب الناس في الدنيا الى قلبها ، لا تودعه وداع السلامة والنجاة من الاحداث ، وانما تودعه وهي تلقى بقلبها الى سيوف الطغيان .

لقد تصورت دماء الولد العزيز تترقرق تحت لحيته ، تحت ضربة منتظرة من سيف أحمق مجنون ، فشدت من جفنيها حتى تحبس الدمع بارادة لم تعرف لها الدنيا مثيلا ، وانصرفت وهو ينظر اليها ، وكانها تعلو بقامتها ، وتعلو فوق هضاب مكة وفوق الدنيا باسرها ، واخذ ينظر اليها قبل ان يتوارى شبحها ، وفى اذنيه طنين يملأ عليه رحاب نفسه « لقد قتل على الحق اصحابك ، فلا تمكن من نفسك بني امية ، وان كنت تريد الدنيا فبئس العبد انت ...

وصرخ صرخة ارتجت لها أعماق نفسه ، وأسرع من خلفها يصيح بجماع قلبه وروحه وايمانه ، رحماك يا أمى رحماك ... لبيك ربى لبيك .. وحمل سيفه وحيدا ، وتقدم ليلقى سيوفا ظامئة منذ بعيد الى دمه ، فتوقفت امه لتراه فى معركة لا امل له فيها . **توقفت الأم لترى السيوف تناله من جميع انحائه حتى سقط امامها ، فانحنت تقبله ، ولم تزل تضمه الى صدرها حتى أمر الحجاج أن تنحى ، وان تعلق جثته اياما ثلاثة فى مكة عبرة للآخرين .**

وظلت فىمكانها أمامه لم تبرحه ، وكان حديثا صامتا تعجز عن فهمه الدنيا يدور بين روحه وروحها من وراء عالم الفتنة ودنيا الناس ..

كانت عيناه مفتوحتين ، وكأنه يريد أن يعبر بهما تعبيرا يلمس به قلبها ، ويلتمس رضاها ، ويشكرها على برها ونصيحتها ، ويطمئنها على ايمانه ، ويبشرها بما لقى هناك .

تباركت يا أماه فهل أنت راضية ؟ لقد محضتنى خير نصح يا أماه ... فما دنيا الحجاج !؟ وما دنيا بنى أمية !؟ وما دنيا الناس جميعا بازاء ما يلقاه فى سبيل الحق شهيد ؟!!



في الايـــلاء

قلت لزوجتى (تحرمى على لمدة اربعين يوما) ولا اقصد الطـلاق ورجعت اليها وعاشرتها معاشرة الازواج بعد اسبوع من اليمين . فما حكم الشريعة .

(ن . ع ــ وزارة الكهرباء والماء ــ الكويت) .

الاجـــابة :

الحلف على تحريم الزوجة المدة المذكورة يعتبره بعض الفقهاء من قبيـل الايلاء وبعض الفقهاء يرى أن اقل مدة الايلاء أربعة أشهر ، وبناء على ذلك لا يكون قوله المذكور ايلاء .

وبما أن السائل قرر انه لا يقصد به طلاقا ــ فعلى راى من يقول انه ايلاء فيكون حنثه فى يمينه خيرا قال عليه السلام : « من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه ، وليأت الذى هو خير ، ويجب عليه كفارة اليمين . وهى اطعام عشرة مساكين يوما أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة وعلى راى من يقول ان القول المذكور لا يعتبر ايلاء يكون قوله من قبيل الكنايات ، وحكم ذلك انه لا يقع به يمين الا بالنية وما دام لم يقصد طلاقا فلا يقع به شىء ولا كفارة عليه .

الحج عن الغير

شخص مقيم في الاراضى المحتلة التى اغتصبتهـا اسرائيل ولا يستطيـع الخروج منها منذ مدة طويلة وهو مسلم بلغ من العمر اكثر من تسعين عاما . فهل يجوز لابنه أن ينيب عنه فى الحج ويسقط عنه بذلك فريضة الحج .

(عبد الله تدوم) .

الاجـــابة :

الحج من الاعمال التى تقبل الانابة عند الاحناف والشافعية والحنـابلة ولا تقبل الانابة عند المالكية .

وبما أن الشخص المسئول عنه يعتبر زمنا لكبر سنه فضلا عن عدم تمكنه من تأدية فريضة الحج فيعتبر عاجزا عن أدائه ومن أسباب العجز كبر السن ومنها أيضا وجوده فى مكان لا يستطيع الخروج منه ، فيجــوز لابنه أن ينيب عنه من يحج عنه ، باعتبار أن ذلك من قبيل البر بالوالدين والاحسان اليهما قال تعـالى « وبالوالدين احسانا » .

واذا حج عنه فيسقط فرضه ــ ويرى الحنابلة انه لو قدر على الحج بعــد ذلك فلا يلزم بأدائه مرة اخرى ــ ويشترط فى النائب أن يكون قد حج الفرض .

حج الصبى

رجل يريد الحج ومعه ابنه الصغير وعمره سنة . فماذا يفعل له من اعمال الحج وهل ينوى عنه الاحرام ويطوف عنه .

(ف ــ ق ــ الكويت) .

الاجـــابة :

من شروط وجوب الحج البلوغ فلا يجب على الصبى ، وان فعله صح منه ان كان مميزا ، ولا يجزئه عن الفريضة لقوله عليه السلام : (أيما صبى حــج عشر حجج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام) . والصبى غير المميز لا يصح منه الاحرام ولا مباشرة اى عمل من أعمال الحج ، ولكن الولى يحرم عنه ، وعليه أن يحضره المواقف ، فيطوف ويسعى به ويأخذه الى عرفة .

وفى الحديث : ان امرأة أخرجت صبيا من محفته وقالت يا رسول الله هل لهذا حج ، قال نعم ولك أجره .

ويتبين مما سبق أن مثل الطفل المذكور لا يصح منه الاحرام ولا مباشرة اى عمل من أعماله ، ويحرم عنه الولى ويحضره المواقف ويطوف ويسعى به ويأخذه الى عرفة ولكن لا تسقط عنه الفرض حين يصل سن التكليف وهو البلوغ .

فى النكـــاح

زنا رجل بامرأة وولدت بنتا من مائه . فهل يصح للزانى الزواج من هـــذه البنت ؟

(حسين عبد الله حسين / قطر) .

الاجـــابة :

يقول أبو حنيفة : ان من زنى بامرأة او لمسها او نظر الى العضو المخصوص منها بشهوة ، ترتب على ذلك حرمات المصـــاهرة ، فيحـــرم على الزانى التزوج بفروع المزنى بها ، وبأصولها وتحرم المزنى بها على أصول الزانى وفروعه .

ويقول الشافعية : انه يجوز للرجل أن يتزوج بنته المخلوقة من مائه زنا لأن ماء الزنا لا حرمة له ، ولكن يكره له نكاحها .

ويقول المالـــكية : ان البنت المتخلقة من ماء الزانى فى تحريمها خلاف ، والمعتمد الحرمة .

ويقول الحنابلة : ان وطء الزنا يثبت به حرمة المصاهرة على الصحيح من المذهب ، فمن زنى بامرأة حرمت عليه أمها وبنتها وحرمت على أبيه وابنه .

وواضح مما سبق أن الأحناف والحنابلة والمالكية يحـــرمون على الرجـــل التزوج من بنته المتخلقة من مائه زنا ، والشافعية يقولون بكراهة نكاحها .
التزوج من بنته المتخلقة من مائه زنا ، والشافعية يقولون بكراهة نكاحها .

وبناء على هذا نفتى بأنه لا يجوز لهذا الرجل أن يتزوج من بنته من الزنا .

فى الميراث

توفى شخص عن :
زوجتين ، وثلاثة أخوة لام ، واخ من اب .
فما نصيب كل وارث ؟

(م . ع . ج ـــ طالب بمعهد الامامة بالكويت) .

الاجـــابة :

بوفاة شخص عن زوجتيه وثلاثة اخوة لام واخ لاب ، يكون توزيع التركة بينهم على الوجه الآتى :

للزوجتين الربع مناصفة بالتســاوى بينهما فرضا لعدم وجـــود فرع وارث للمتوفى ، وللأخوة للأم الثلث فرضا مثالثة بالتســـاوى بينهـــم ، لا فرق بين ذكر وأنثى ، والباقى للأخ لأب تعصيبا ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين ان كانا .



يا حـــاج

من أدى فريضة الحج في ديارنا يضاف الى اسمه تشريفا وتعظيمـــا لقب (حاج) فيقال مثلا : يا حاج ، أو الحاج فلان ، أو الحاجة فلانة ، فهـل يجـوز هذا في الاسلام .

(رمضان ارسلان بابا) .
مفتى دارنده ــ تركيا

ونجيب الاخ الكريم بأن هذه عادة مستحـــدثة لم تكن معـــروفة في عصر الرســـول الـــكريم ، ولا في عهـــد الخلفـــاء الـــراشـــدين ، ولا زمـــن الائمة الاربعة ، وانما درج عليها كثير من المسلمين في العصور المتأخرة ، وقد ذاعت وشاعت ، فأصبحنا نسمعها في لغة التخاطب بين الناس ، ونقرؤها في الرسائل ، ونطالعها في الصحف في اعلانات التهاني والوفيات ، بل نراها في بعض البطاقات الشخصية ، وقد اتخذ بعض الناس هذا اللقب وسـيلة لتملق الحكام والرءساء ، أو للتباهي والتفاخر وكثيرا ما نجد هذا اللقب متبوعا بالاسم منقوشا بخط جميل على الحجارة أو الواح الرخام في واجهة بعض المساجد او المنشآت الخيرية ، او القبور مثل : انشأ هذا المسجد ولي النعم جنـــاب الوالي الحاج .. أو افتتحت هذه المدرسة في عهد السلطان الحاج .. او انشيء هـــذا السبيل صدقة على روح الحاجة .. او هذا قبر المرحوم الحاج .. وهكذا .

وقد شاهدت بنفسي بعض الذين أدوا فريضة الحج يغضب على محدثه أشد الغضب اذا جرده من هذا اللقب ، ولم ينعته بهـــذا النعت ، بل انه ليذهب في دفاعه عن لقبه (الحاج) وحرصه على أن يضاف الى اسمه ــ الى القول لمن جرده منه بأنه تكبد مشقة السفر الى الارض المقدسة ، وأنفق أموالا طائلة في أداء هذه الفريضة . كأنه انما سافر وأنفق ليشتري لقبا لا ليؤدي فريضة من فرائض الله التي أوجبها على عباده القادرين .

وفريضة الحج كأي فريضة من فرائض الاسلام يؤديها المسلم طاعة لله عز وجل في اخلاص ورجاء للقبول دون اعلان ولا مباهاة ، ومثل هذه الفريضة مثل سائر الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة ، فكما لا يقال يا مصل او يا مزك أو ياصائم فكذلك لا ينبغي ان يحرص الحاج على ان يلقب بهذا اللقب .

المصاحف العثمانية

ويسأل الاخ ابو فارس من درعا ــ بسوريا ــ عن عدد المصاحف العثمانية ، وعن الموجود منها الآن .

واحب قبل الاجابة عن سؤال الاخ ان اشير الى ان جميع المصاحف المعتمدة المتداولة الآن فى جميع الاقطار — هى مصاحف عثمانية بمعنى انها موافقة تمام الموافقة للرسم العثمانى الذى كتبت به المصاحف فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، واقره عليه جميع الصحابة الموجودين فى عصره .

والثابت ان هذا الخليفة الراشد جمع القرآن الكريم من الصحف فى مصحف واحد سماه المصحف الامام ، واحتفظ به لنفسه ، وأمر بنسخ عدد من المصاحف على نسقه تكفى حاجة الامة ، وارسل هذه المصاحف الى الاقاليم الاسلامية ، وانفذ مع كل مصحف حافظا ثقة يقرىء اهل الاقاليم ويلقنهم القراءة والنطق الصحيح الموافق لقراءة امين الوحى جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكتف سيدنا عثمان بارسال المصاحف فحسب اذ أن المعول عليه فى نقل القرآن الكريم هو السماع والتلقى ، لا مجرد القراءة والمطالعة .

وقد روى انه رضى الله عنه استبقي بالمدينة المنورة مصحفا غير مصحفه الخاص ، وأمر زيد بن ثابت ان يتولى قراءة القرآن لأهل المدينة ، وبعث عبد الله ابن السائب مع مصحف الى مكة ، وانفذ المغيرة بن شهاب الى الشام مع مصحف الشام ، وارسل الىالكوفة مصحفا مع الحافظ أبى عبد الرحمن السلمى ،وسير عامر بن عبد الله القيس الى البصرة مع المصحف البصرى .

وبهذا يبلغ عدد المصاحف التى استنسخها سيدنا عثمان ستة : المصحف الامام الخاص به ، والمصحف المدنى العام ، والمصحف المكى والمصحف الشامى ، والمصحف الكوفى ، والمصحف البصرى .

وقيل انه رضى الله عنه ارسل مصحفا سابعا الى البحرين ، وثامنا الى اليمن ، وينقل أنه بعث مصحفا الى مصر .

ولا يوجد دليل قاطع على وجود شىء من هذه المصاحف الآن ، ويرجح العلماء أن المصحف الموجود ، الآن في خزانة الآثار النبوية بالمسجد الحسينى فى القاهرة منقول عن المصاحف العثمانية وليس واحدا من المصاحف التى استنسخها سيدنا عثمان .

المساجد في الكويت

ويستفسر الاخ عبد الله العبد العزيز من الكويت فى رسالته عن عدد مساجد الكويت وتاريخ بنائها واسماء مؤسسيها ، وقد أجاب عن سؤاله فضيلة الشيخ عبد الرحمن الفارس مدير ادارة شؤون المساجد فقال :

عدد المساجد بدولة الكويت (٢٢٥) مسجدا منها (٥٣) مسجدا بمدينة الكويت (محافظة العاصمة) و (٣٩) مسجدا بضواحيها و « ١١ » بقراها .

و (٣٣) مسجدا بضواحى محافظة حولى ، و (٥٩) بقراها و (٩) مساجد بمدينة الاحمدى (المحافظة) و (٣١) بقراها .

وايمانا من الوزارة برسالة المسجد ودوره فى التربية فقد قررت انشاء مسجد (الدولة الكبير) على مستوى عالى وعالمى ، وتسمى المساجد بأسماء مؤسسيها أو بأسماء الصحابة والتابعين وتابعيهم من رجالات الاسلام الاعلام .

وقد طبعت الوزارة سجلا مصورا بأسماء المساجد ومؤسسيها وتاريخ بنائها ، وهو موجود بالمكتبة العامة للوزارة لمن شاء أن يستزيد من هذه المعلومات .

بأقـــلام القـــرّاء

الهند فى القرن ١٩ م

كتب الاستاذ حبيب ريحان الندوى المدرس بمعاهد الجامعة الاسلامية بليبيا تحت هذا العنوان يقول :

يعتبر القرن التاسع عشر فى تاريخ الهند الاسلامية قرنا مهما جدا . ففى هذا القرن بدأ الاستعمار الغربى يوطد أركانه بعد فشل الثورة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ وبدأ المسلمون فى الهند يشعرون بكيانهم المستقل وبدينهم وشريعتهم وعلومهم ، فقام العلماء المسلمون المخلصون بواجبهم وقامت حركات عديدة من اهمهـــا :

١ ـــ حركة ديوبند . السلفية التى تدعو الى الكتاب والسنة ، ولكنها لا تؤمن بالتطور حتى فى وسائل التعليم .

٢ ـــ وقامت (حركة عليكره) : الحديثة التى تؤمن بالتطور وتدعـــو الى الاخذ من الغرب فى كل شىء بدون قيد ولا شرط .

٣ ـــ وقامت حركة ندوة العلماء الجامعة بين القديم والحديث التى تؤمن بالله المشرع وبمحمد خاتم الأنبياء وتؤمن بالدين الاسلامى وتؤمن بالتطور والأخذ من الغرب أيضا ولكن فى الحدود التى رسمها الاسلام وفى ضوء القوانين التى سنتها الشريعة السمحاء وتؤمن بأن العقيـــدة غير متطورة لأنها حقيقـــة أزلية طبيعية أصدق من الحقيقة الهندسية .

ولكل من هذه الحركات الثلاثة كيان مستقل ، فبتأثير حركـــة « ديوبند » قامت « دار العلوم ديوبند » لتعليم العلوم الاسلامية ، وقامت (جامعة عليكره) لتعليم العلوم الغربية ، وقامت (دار العلوم لندوة العلماء) لتدريس العلـــوم العربية والاسلامية بمنهج حديث مع البحث فى العلوم الحديثة أيضا .

دائرة المعارف : ولا يمكن لأية نهضة علمية ان تقوم على التعليم المدرسى فحسب ، بل لا بد لها من المقومات الثلاثة : وهى الترجمة والنشر واحياء التراث القديم ، فقامت فى الهند دائرة المعارف العثمانية سنة ١٨٨٨م بحيدر آباد لتقوم بهذه الأعباء الثلاثة الكبرى . وهى تعتبر هيئة علمية كبيرة .

النشر : ومن حيث النشر فعندها مطبعة عربية حديثة ومطبعة انجليزية كاملة ومطبعة اردية نشرت منها مئات الكتب فى اللغة الاردية .

ترجمة التراث الغربى : ومن حيث الترجمة فانهـــا ترجمت كل التـــراث الغربى فى العلوم والرياضيات والاقتصاد والفلسفة والطب وغيرها الى اللغـــة الاردية ، وتترجم كل يوم جهود العباقرة من الغربيين الى اللغة الاردية ، وادت دائرة المعارف بهذا العمل فائدتين عظيمتين . اولهما أنها أعطت للغة الارديـــة ثـــروة ضخمة لا يستهان بها . وثانيهما ان الجامعة العثمانية فى حيدر آبـــاد كانت تدرس من قديم كل العلوم الغربية الحديثة فى اللغة الاردية مستندة الى كتب دائرة المعارف المترجمة واصطلاحاتها بينما الجامعات الأخرى تدرس العلوم الغربية الانجليزية ، وبهذا العمل المجيد احيت دائرة المعارف اللغة الاردية ، وجعلتها صالحة للنمو والبقاء رغم كل الظروف ورغم كل الأعداء .

مجلة انجليزية : وتصدر دائرة المعارف العثمانية مجلة اسلامية فى اللغة الانجليزية من ٣٠ سنة ، تحت ادارة الدكتور عبد المعيد خان ، والدكتور نفسه رئيس دائرة المعارف الآن .

احياء التراث الاسلامى : ولكننا فى هذه المقالة القصيرة لا نريد تبيان اعمال النشر والترجمة من اللغة الانجليزية أو الاردية وغيرها ، بل نتكلم على احياء التراث الاسلامى القديم ، فدائرة المعارف العثمانية لم تقتصر فى هذه الناحية بل تعتبر اعمالها فى هذا المضمار مشرفة للغاية فانها طبعت حتى الآن اكثر من ٤٠٠ من المخطوطات العربية القديمة مع تصحيحها وتنقيحها .

زرع قلب محل قلب آخر ليس عمراً جديداً للانسان

ويتناول الأستاذ محمود سليم دوعر من الكويت هذا الموضوع فيقول :

نشرت وسائل الاعلام المختلفة ان اطباء بجنوب افريقيا زرعوا قلب انسان محل قلب انسان آخر ، وشغل الناس بهذا الحادث ، حتى ان بعضهم جعله من ابرز ما كان بعام ٦٧ وقالوا عن هذا المريض انه (اشهر مريض فى العالم) .. ولا شك ان هذا يدل على تقدم الطب وفنونه ، وهذه ليست الطفرة الأولى بالتقدم الانسانى ، بل الانسان هذه سنته ، يسير بتقدم كلما تقدمت به الحياة ، منذ آدم حتى تقوم الساعة بفضل ما انعم الله عليه (بالعقل) .

ولكن .. ليس هذا هو الموضوع الذى اردناه ، بل اردنا ان نضع بعض النور على تساؤلات قسم من الناس حول زرع القلب ، هل هو عمر جديد للانسان الذى زرع به القلب الجديد .

والجواب ان عمر الانسان محدود وأجله معلوم لا يتعداه ولا ينقص عنه لحظة واحدة ، وما مسألة وتوقف قلب انسان ثم حركته بعد تدليكه وما وجود قلب محل قلب ، الا حالات للانسان وليست أسباباً للحياة .

وان زرع القلوب لا يطيل عمراً لا لانسان زرع له قلب ولا ينقص من عمر انسان أخذ منه قلب ، بل لا يجوز أن نعد الانسان ميتا الا بنهاية أجله .

فلا يستغربن مسلم من زرع القلوب ، وكل ما فى الأمر تقدم فى الطب لا ينكر دون اختصاص ذلك بالحياة أو الموت .

ساعود للأقصى

وتلقينا من الشيخ محمد على قطب ـ صيدا ـ لبنان ـ هذه الأبيات الملتهبة :

مزقت طرسى قد هجرت قصيدى ... وسئمت لحنى بعد كل نشيد
أخفيت لحظى كى أوارى عبرتى ... خجلا وعارا بعد كل مجيد
وجرعت كأسى مترعا بمرارة ... كالسم يسرى او دبيب صديد
وسفحت دن الحب فوق ربوعها ... (قدسى) فديت ترابها بوليدى
لن أغبق اللذات .. أو نمسى معا ... فالمجد ظلى والخفا لليهودى
سأهدم الأسوار عبر حدودها ... سأغز فى الأعداء كل حديد
سأسعر النيران فى جوف الثرى ... حمما تحطم فى (جنين) تيودى
سأثور بالقرآن فوق جبالها ... سألقن التاريخ صدق وعودى
سأعود للأقصى أقبل ركنه ... وأبث فى أفيائه تغريدى
فتشع من فوق المآذن هالة ... ويرجع الناقوس لحن العيد

قالت صحف العالم

المقاومة العربية
ومصير اسرائيل

تتحدث صحيفة الشعب اللبنانية عن المقاومة العربية فى الأرض المحتلة فتقول :

ان اسرائيل باصرارها على احتلال أراضى الدول العربية وباصرارها كذلك على أعمال القمع والارهاب الجماعى للمواطنين العرب فى المناطق المحتلة ، لن تؤدى قط الى تحقيق حالة مستقرة من السلام والأمن فى منطقة الشرق الأوسط .

وان مخططات القادة والعسكريين الاسرائيليين العدوانية تحت زعم حماية أمن اسرائيل وسلامتها ، لن تجلب السلام أو الأمن للآلاف من الاسرائيليين بل سوف تقحمهم فى مؤامرات عسكرية لا يمكن الزعم قط بأنها تتعلق بالوجود الاسرائيلى ، ذلك انها تتعلق فى الحقيقة بالمؤامرات العدوانية للاستعمار ضد شعوبنا المسالمة وتحقيق المخططات الاستعمارية فى محاولة القضاء على حركة التحرر العربى ، والقضاء على حركة التصنيع والتقدم العربية ، والقضاء على أى محاولة مقبلة من جانب العرب للسيطرة على مواردهم الخاصة التى تشكل جانبا أساسيا من بعض احتياجات العالم الغربى الاستراتيجية .

ولذلك فليس هناك من نتيجة تنتظر الاسرائيليين بسبب اصرارهم على احتلال أراضى الدول العربية بالقوة سوى المزيد من المقاومة وسوى المجابهة على الصعيد المسلح ، كذلك فان دورها العدوانى فى الوطن العربى سوف يزيد بشكل مطرد من نشاط المقاومة العربية وفى اتجاهها أكثر نحو اتحاد وتنظيم أوسع لصفوفها .

الى مؤتمر وزراء التربية العرب

ونشرت صحيفة الراى العام الكويتية المذكرة التى رفعتها جمعية الاصلاح الاجتماعى الى مؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى الكويت مؤخرا ، وقد تضمنت المذكرة المقترحات الآتية :

١ — تدريس الدين الاسلامى فى جميع مراحل التعليم من رياض الأطفال الى المرحلة الجامعية ؛ واختيار مدرسى الدين من المتخصصين بهذه الدراسة ،

وان يكونوا قدوة حسنة ومثلا اعلى يقتدى بهم طلابهم ، ويكون لهم اسلوبهم واطلاعهم الواسع العميق الذى يمكنهم من عرض حقائق الاسلام عرضا يرى فيه الجيل الحاضر طريقه الى السكينة والأمان .

٢ — العناية بدروس القرآن الكريم وتعميم التلاوة حتى ختم القرآن والاكثار من آيات الحفظ والاحاديث النبوية وتنظيم المسابقات لحفظ القرآن الكريم وزيادة حصص للدين تكفى للحفظ والتلاوة .

٣ — فصل التفتيش الدينى عن تفتيش اللغة العربية ، وتخصيص موجه دينى لكل مدرسة وانشاء مصلى فيها مهيأ بما يناسبه وتخصيص وقت يكفى للصلاة .

٤ — الاهتمام بدراسة السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى ، ودراسة الفتوحات الاسلامية واعلام الفكر الاسلامى ورجالات التشريع وما لهم من مواهب متعددة وما ظهر لهم من انتاج اثار دهشة العلماء ، والعناية بالفقه الاسلامى وتوضيح مزايا التشريعات الاسلامية وافضليتها على غيرها .

٥ — تدريس الجغرافيا الاسلامية لتوضيح كيفية انتشار الاسلام فى العالم وحدود الوطن الاسلامى وثرواته وامكانياته والأماكن الاسلامية المقدسة ، وبيان ما لها من تاريخ مجيد فى نشر الدين وتدريس قضية فلسطين على انها قضية اسلامية .

٦ — ربط المناهج الرياضية والكشفية والجوالة بمعنى الجهاد فى الاسلام .

٧ — يراعى فى وضع المناهج أن تكون مبنية على عقيدة الأمة .

٨ — تقوية الصلات الثقافية مع البلدان الاسلامية والاهتمام بنشر اللغة العربية بين الشعوب والجاليات الاسلامية وتخصيص منح دراسية للدول الاسلامية وخاصة الافريقية .

٩ — فصل الطلبة عن الطالبات فى جميع مراحل التعليم باستثناء رياض الأطفال ، ويراعى فى المناهج اعداد الفتيات وتوجيههن الوجهة السليمة .

١٠ — الاهتمام بأخلاق الناشئة فى المناهج والتوجيه والاعتزاز بالتراث الاسلامى وبعث روح البطولة والعناية بالقصص والتمثيليات الاسلامية .

١١ — رفع المستوى العلمى بما يكفل تخرج الخبراء والمتخصصين فى الشئون العلمية التى تمس حياتنا ، ولكى تكتفى أمتنا اكتفاء ذاتيا بخبراتها وعلمائها عن الخبراء الأجانب .

١٢ — العناية بتعميم الروح الدينية وجعلها تسرى فى كل مرافق الحياة ، وذلك عن طريق توثيق الصلة بين البيت والمدرسة ومجالس الآباء والمسابقات التشجيعية والنشرات والمحاضرات والحفلات واجهزة الاعلام ودورها الكبير فى حماية المجتمع من وسائل الاغراء والأفكار المنحرفة .



موجز تفسير القرآن الكريم

كتاب صدر عن دار الثقافة الاسلامية فى بغداد ، وهو الجزء الثانى من مجموعة اجزاء كتاب « موجز تفسير القرآن الكريم » من تاليف الشيخ عبد الجبار الأعظمى ، وقد اورد المؤلف فى هذا التفسير الآية فتفسير مفرداتها ثم التفسير العام كما ذكر المناسبة التى نزلت فيها كل آية ، والتفسير واضح الاسلوب مرتب المعانى بعيد عن الغموض والتعقيد ، والجزء الثانى من هذا التفسير يحتوى على (١٣٠) صفحة وثمنه (٢٥٠) فلسا .

تاريخ النظم القانونية

كتاب من تاليف الدكتور محمود سلام زناتى استاذ تاريخ الشرائع بجامعة الكويت تناول فيه بالبحث والدراسة حالة المجتمعات البشرية والوقوف على صور النظم القانونية فيها مقسما كتابه الى ثلاثة اجزاء خص الاول منها بالمجتمع البدائى والثانى بالمجتمع القبلى والاخير بالمجتمع المدنى .

والكتاب يقع فى (٤٤٠) صفحة والناشر دار النهضة العربية — ٣٢ شارع عبد الخالق ثروت — القاهرة .

المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم

كتاب من تاليف اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمى العراقى ويقع فى جزاين شاملا لجميع المصطلحات العسكرية التى وردت فى القرآن الكريم . وقد فصل المؤلف كل مصطلح عسكرى ورد فى الذكر الحكيم فى ثلاث مواد فاورد فى المادة الاولى بعض الآيات القرآنية كامثلة لاستعماله وذكر فى المادة الثانية مشتقاته ومعانيه اللغوية وسجل فى المادة الثالثة مقارنة بين المصطلح العسكرى الوارد فى القرآن الكريم ومثيله المستعمل فى الجيوش العربية هادفا من ذلك توحيد المصطلحات العسكرية فى الجيوش العربية .

والكتاب من طبع دار العلم للملايين فى بيروت وقامت بنشره دار الفتح للطباعة والنشر ص . ب (٤٢٩٥) — بيروت — لبنان .

الأركان الأربعة فى ضوء الكتاب والسنة

للأستاذ السيد ابو الحسن على الحسنى الندوى وقد تحدث فيه مؤلفه عن اركان الاسلام الاربعة وعن وضعها السماوى وحقيقتها الشرعية ومكانتها فى الحياة الفردية كما قررها الكتاب والسنة وفهمها المسلمون فى مختلف العصور والأجيال ، والكتاب مطبوع فى مطابع معتوق اخوان — وقامت بنشره دار الفتح للطباعة والنشر — بيروت — لبنان ويقع فى ٢٨٦ صفحة .



الكويت

● أكد سمو أمير البلاد المعظم ان الكويت تملك قوة دفاعية عصرية رادعة قادرة على صد أى عدوان يمكن أن يقوم به عدو ، وهذه القوة العسكرية ليست للكويت وحدها بل للعرب أجمعين .

● أدى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فريضة الحج وقد التقى هناك بجلالة الملك فيصل والمسئولين وأجرى معهم محادثات حول الوضع الراهن .

● بعث ممثلو الدول العربية فى المجلس العربى لمحو الأمية المجتمعون فى دورتهم الرابعة بتونس يشكرون سمو أمير البلاد المعظم لتشجيع سموه للعلم وتبرعه للصندوق العربى لمحو الأمية .

● أقامت وزارة التربية فى مختلف معاهدها ومدارسها احتفالا بيوم المعلم ، وقد وجه سمو أمير البلاد المعظم تحية الى المعلمين والطلاب والآباء والأمهات حثهم فيها على مواجهة مسئولياتهم للحاق بركب العلم .

● طلبت بعض المدارس الاسلامية فى امريكا من وزارة التربية تزويدها ببعض الكتب التى تدرس فى المرحلتين الابتدائية والاعدادية للاستفادة بها .

● أكد سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية اننا فى الظروف الراهنة أحوج ما نكون الى عقد مؤتمر قمة عربى جديد ، ودعا الى الوقوف صفا واحدا أمام التحديات التى تواجه الأمة العربية .

● سيزور البلاد فى الشهر القادم (مايو) رئيس وزراء ليبيا على رأس وفد ليبى وستستغرق الزيارة عدة أيام .

القاهرة : وجه الرئيس عبد الناصر كلمة الى الفرقة الكويتية على خط القتال فى السويس شكرهم فيها على مشاعرهم الطيبة كما وجه التحية الى شعب الكويت وأميرها المعظم .

● زار سماحة رئيس الاتحاد الاسلامى الصينى فى ماليزيا فضيلة شيخ الازهر وقد عبر الضيف عن أمانيه فى أن يتبوأ المسلمون العرب مكانة الزعامة ، كما كانوا فى الماضى .

● يقوم مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بالاتصال بكبار المفكرين ورجال السياسة والاقتصاد لاعداد بحوث ورسائل حول قضية فلسطين والعدوان الصهيونى .

● اشترك الازهر فى المؤتمر الدينى العالمى الذى عقد فى براغ فى الشهر الماضى وقد تضمن مناقشة قضية فلسطين وبعض القضايا العالمية وموقف الأديان منها .

● زار وزير التربية والتعليم فى جمهورية اليمن الجنوبية فضيلة شيخ الازهر وقد طلب الوزير مساعدة الازهر الثقافية والدينية ، فوعده فضيلة شيخ الازهر بذلك .

السعودية : اجرى امين عام رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة عدة اجتماعات هامة مع الزعماء والعلماء المسلمين الذين وفدوا لحج بيت الله الحرام وقد تركزت المحادثات حول وسائل انقاذ القدس ونشر الدعوة الاسلامية .

● أصدر وزير المعارف تعميما على جميع المناطق التعليمية بوجوب اداء صلاة الجماعة فى حينها والمحافظة على الاخلاق الاسلامية .

● ستتعاون السعودية مع باكستان على انشاء بنك مشترك بينهما فى نطاق التعاون الاقتصادى للدولتين المسلمتين .

● بلغ عدد الحجاج الذين وفدوا على الاراضى المقدسة هذا العام لأداء فريضة الحج ترابة ٤٠٠ الف حاج .

العراق : تركزت المحادثات التى اجراها سعادة الشيخ صباح الأحمد وزير خارجية الكويت فى بغداد حول تأكيد عروبة الخليج ومستقبل التعاون الاقتصادى بين البلدين ، وقد قال سعادة الشيخ صباح لقد وجدنا أنفسنا متفقين حول كل النقاط .

● سيزور سمو أمير الكويت المعظم العراق قريبا .

الاردن : أصدرت اسرائيل عدة قرارات باعتبار المناطق العربية التى احتلتها فى الضفة الغربية وسيناء ومرتفعات الجولان مناطق غير عربية ، كما غيرت الاسماء العربية لهذه المناطق بأسماء اسرائيلية .

● وزع يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة وثيقة دولية تثبت ملكية المسلمين لحائط المبكى فى القدس .

● قدمت الاردن لمؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى الكويت فى الشهر الماضى وثائق تثبت تحريف الصهاينة للقرآن الذى يدرس فى الضفة الغربية بعد أن غيرت اسرائيل مناهج التعليم العربية .

السودان : انتقل الى رحمة الله الزعيم السودانى السيد على الميرغنى بعد عمر ناهز التسعين عاما قضاها فى خدمة الاسلام والعروبة . والوعى الاسلامى تنعى العالم العربى والاسلامى الفقيد العظيم وتسأل الله له فسيح الجنات .

● أكد الرئيس الازهرى فى افتتاح الندوة العلمية لاسبوع القرآن الكريم انه لا سبيل الى مواجهة الصهيونية والاستعمار الا باتحاد الأمة الاسلامية فى جميع بقاع الارض واعتصامها بكتاب الله الكريم .

الجزائر : سيوضع ميثاق جديد لحزب جبهة التحرير يعتمد على العقائد الاسلامية وعلى ميثاق الحزب .

باكستان : أصدر المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى روالبندى عدة قرارات باسترجاع مدينة القدس والمناطق العربية المحتلة والعمل على نشر التعاليم الاسلامية فى بقاع الارض .

موريتانيا : أصدر مؤتمر الشعب العام لتخطيط سياسة الدولة العليا قرارا بجعل اللغة العربية لغة رسمية لجمهورية موريتانيا الاسلامية بدلا من الفرنسية .

اندونيسيا : اعلن جنرال سوهارتو رئيس جمهورية اندونيسيا بالوكالة عن تشكيل حزب اسلامى جديد شكل رسميا من ست جمعيات اسلامية مستقلة ومن المنتظر ان يكون الحزب الجديد من اقوى الاحزاب الاندونيسية .

اقرأ في هذا العدد

		صفحة
مع العام الهجرى الجديد	الأستاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم وكيل الوزارة	٤
اخى القارىء	مدير ادارة الدعوة	٦
حوار	الشيخ على عبد المنعم	١٠
الهجرة منطق اليقين	الشيخ محمد الغزالى	١٤
دروس حول الهجرة	الدكتور محمد محمد خليفة	١٨
ملحمة الهجرة	الدكتور صبحى الصالح	٢٢
رحلة الى طيبة (١)	الشيخ حمد الجاسر	٢٦
اثر الاسلام فى احراز النصر (١)	اللواء محمود شيت خطاب	٣٣
صقلية تحت حكم المسلمين (٤)	الدكتور زكى محمد غيث	٤١
نظرة الاسلام الى الانسان والكون	الدكتور مازن المبارك	٤٧
خاطرة من سيرة الامام على	الأستاذ سعيد الأفغانى	٥٥
ذكرى الهجرة (قصيدة)	الأستاذ يوسف زاهر	٦٠
ياس وامل « قصيدة »	الشيخ نديم الجسر	٦٢
المسبحة والمسبحون	الأستاذ على الجندى	٦٤
خواطر	الشيخ عبد المنعم النمر	٦٩
شباب الاسلام فى شعر احمد محرم	الدكتور احمد الشرباصى	٧٣
حمامة الغار (قصيدة)	الأستاذ احمد أبو المجد	٧٨
بين يدى النبى	الأستاذ معوض عوض ابرهيم	٧٩
أول معرض للمصاحف	الأستاذ صلاح عزام	٨٠
اوربا ترسل بعثاتها الى الاندلس	الأستاذ سليم طه التكريتى	٩٠
مائدة القارىء	اعدها : أبو نزار	٩٤
تاريخكم يا شباب (٣)	الأستاذ احمد محمد جمال	٩٦
ارحنا بها يا بلال	الأستاذ احمد العنانى	١٠٠
هل الاسلام دين سلام ؟	الشيخ محمد محمد أبو خوات	١٠٤
كتاب ميلاد الفرق فى الاسلام	الدكتور محمد غلاب	١٠٩
اسماء (قصة)	الأستاذ محمد لبيب البوهى	١١٦
الفتاوى	التحرير	١١٩
بريد الوعى	اشراف الشيخ رضوان البيلى	١٢١
باقلام القراء	التحرير	١٢٣
قالت الصحف	التحرير	١٢٥
المكتبة	اعداد الأستاذ عبد الستار فيض	١٢٧
الأخبار	اعداد الأستاذ عبد المعطى بيومى	١٢٨

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ـ صب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ صب ٢٢
جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص. ب : ٢٠٤٣
بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ صب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ـ صب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

منظر آخر للمسجد النبوى من الجهة الشرقية ويظهر فى الصــورة باب جبريل عليه السلام .

تصوير : عظمت شيخ



مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت